
Devil's revelation
ساحر الكتب
مخطوطة ابن الشيطان 2
وحي الشيطان
عمرو المنوفي
دار ن للنشر والتوزيع

أولئك الذين رأوا الحقيقة،

لم يبتسم منهم أحد.

تمهيـــــــد

نحن الآن في القرن الثاني والعشرين..

حيث كل شيء زنيم وشرير متاح..

بإمكانك أن تفعل أي شيء وتمتلك كل شيء، ما دمت قادرًا على دفع الثمن المطلوب.

فالحكومات في هذا العصر مجرد واجهة للشركات العملاقة متعددة الجنسيات العابرة للقارات، التي أنشأت تكتلات وتحالفات اقتصادية وسياسية جبارة، وأصبحت تهيمن على كل مقاليد الحياة في العالم، وتدير كل شيء، وتربح من وراء أي شيء؛ حتى النفس الذي يتنفسه المواطن...

شعار العصر: لا شيء بلا ثمن..

الجميع ترسٌ في ماكينة الرأسمالية الهادرة، التي تسيطر عليها من وراء الستار جماعات ومنظمات أخطبوطية، تتحكم في وسائل الإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعيّ، والمحتويات المصورة، والمشاهير، وتقود الجماهير الغفيرة لتحقيق أهدافها غير المعلنة، بصنع عالم فاسد استهلاكيّ بلا قيود أو مبادئ أو حدود.

شركات الدعاية والإعلان الجهنمية، تعمل ليل نهار على

تشكيل الوعي والأفكار والآراء، ومهما كان نوع المنتج سواء ماديًا أو أدبيًا أو فكريًا، فهم قادرون على إقناع العقول به، وتسويقه حتى يهيم به المخدوعون، وينفقوا عليه كل ما يمتلكون، حتى لو لم يكونوا بحاجة إليه، أو يتعارض مع عادتهم وقيمهم وعقائدهم.

ونجحت الشركات العملاقة والمنظمات المعلنة منها والسرية في استعمال هذا السلاح الجبار لتغيب وعي الجماهير، وتنشر الثقافة القشرية، والاستهلاكية، وتسلع كل شيء، لتسوق لمنتجاتهم الجيدة منها والضارة، وأيضًا فكرهم الفاسد، فأصبحت المخدرات بنوعيها المخلقة والإلكترونيّة، والإلحاد، والشرك بالله، والشذوذ الجنسي، والمطالبات بتغيير النوع، وجميع الممارسات المحرمة مجرد حرية شخصية، تدعمها تلك الشركات والمنظمات دون سقف محدد، وتستثمر فيها بلا رادع.

هذا بالإضافة إلى المخططات الشيطانية المدروسة طويلة الأجل، التي تُطبق بصبرٍ وخبثٍ، ومن خلالها يتم العبث في المقررات الدراسية، والبرامج الترفيهية والتثقيفية، والأفلام والمسلسلات ذات الميزانيات الضخمة، والمحتويات الموجهة للأطفال، التي عملت بكل صبر وأناة، وعلى نحو تدريجيّ خبيث على تأصيل كل هذه الأفكار المنافية للفطرة بداخل

أذهانهم؛ إلى حد أنك أصبحت ترى بطلًا خارقًا يعلن كفره وإلحاده وشذوذه، أو صبيًا يهيم بصبي، أو فتاةً تتزوج فتاة، أو من يسبون الخالق دون رادع، أو يكفرون بوجوده.

مخطط قذر حقير، مُرر ببراعة؛ فراحت الأفكار المسمومة تتسرب إلى العقول الصغيرة، وتتأصل بداخلها، لتصنع أجيالًا مبرمجة تدافع عن المخطط الفاسد، دون أن تهتم بأخلاق أو عرف أو دين أو وطن.

كما تم العبث بالعقائد والشرائع والثوابت والمسلمات إلى حد أن ما لا يقبله البعض على أنفسهم، يطالبون بتشريعه وإتاحته لمن يمارسونه تحت مسميات الحرية وحقوق الإنسان.

وكأنّ الحرية لن تتحقق والإنسان لن ينال حقوقه، إلا بإفساد الفطرة البشريّة، وبُعدها عن الخالق العظيم.

وحدث هذا كله بعد أن أرهقوا كل فرد من أفراد المجتمع وجعلوه يلهث من أجل توفير الحد الأدنى من متطلبات حياته، وحياة أولاده، كالغذاء والدواء والمسكن التي هي حق أصيل له، فأصبح الآباء في عالم، والأبناء في عالم آخر غير محكم، يبث لهم طوال الوقت ما يفسد حتى علاقتهم بالمقربين منهم، فتفككت النظم الاجتماعية، وانفرط عقد الأسرة، ولم تعد في نظر الأجيال الجديدة هدفًا أو غاية.

لتصير الحياة مع تعاقب الأجيال كالغابة، وتنتشر الجريمة بكل أنواعها، ولتظهر عبر دول العالم فكرة المدن المُسورة أو (المدن السعيدة) كما تتغنى بها الإعلانات، التي أصبحت تعزل الأثرياء القادرين عن عامة الشعب من الفقراء والمعدمين، الذين تتعامل معهم الأنظمة المتواطئة، والعصابات المنظمة كالعبيد أو السلع، فلا يُذكرون إلا عند الحاجة إلى عمالة رخيصة، أو عند صيد نسائهم للمتاجرة بهن في أسواق الرقيق غير الشرعية.

وأصبح شعار الجميع: أنا ومن بعدي الطوفان.

وإن كان هناك استثناءات قليلة لبعض المجتمعات المتمردة، أو المنغلقة التي جاهدت لتحافظ على عقيدتها، وعادتها، وقيمها، وإن صار التشدد مع عزلتهم، ومحاولتهم عدم الانخراط في الوضع المتدهور المتصاعد، من سماتهم الرئيسة.

فلم يسلموا من المخططات الخبيثة التي راحت تستغل تشددهم، وضيق أفق أتباعهم، بطرق مراوغة في تنفيذ الكثير من خططهم الشيطانية والإرهابية.

فالأديان سلاح قاهر، وهم أجادوا استغلاله إلى أقصى مدى.

في القرن الثاني والعشرين أنت مجرد رقم، ولا تملك مصيرك أو نفسك؛ وإن لم تكن من صفوة المجتمع أو صفوة المجرمين فأنت مفعول به دائمًا.

وهذه البيئة المعادية غير الصحية وغير الآدمية كانت مناسبة ومهيأة تمامًا للشيطان وأتباعه، ليعثوا فسادًا في الأرض.

ولا أتحدث هنا عن الشر الرمزيّ الذي يمثله الشيطان ككائن سماويّ مطرود من رحمة الخالق.

بل أتحدث عن تدخل الشيطان السافر والمباشر في مصائر البشر، وخطته الخبيثة طويلة الأمد لتحويل الأرض إلى مكانٍ كريه يحتضن كل الشرور والمفاسد والموبقات.

يساعده على هذا جيش جبار من شياطين الإنس الذين فقدوا بوصلتهم الإيمانية ووهبوا أنفسهم لعبادته، ونشر عقيدته الفاسدة بكل الوسائل المتاحة.

فمَهّدَ لهم الشيطان طريق الشر، وحثهم على امتهان كل المهن غير الشرعية والمحرمة التي أدرت عليهم أرباحًا خيالية، وجهوها لتقوية نفوذهم، وشراء النفوس والذمم، فتغلغلوا في كل مفاصل وهيئات ومؤسسات في دول العالم، وسيطروا على كل النافذين والمؤثرين في معظم الحكومات

والهيئات.

وكان جوهر خطتهم الأساسي أن يستغل أتباعهم مناصبهم، ليضعوا رجالهم الفاسدين أو الأشخاص الأقل كفاءة في المناصب الهامة، ليضعفوا كيان الدول ومؤسساتها، ويسطروا على الحكام والحكومات لجعلهم مواليين لهم.

كما لم يتوقفوا للحظة بمخططات مدروسة عن نشر الفتن، وتأجيج الصراعات الدينية والعرقية، والطائفية، مستخدمين شعارات الحرية والمساواة والديمقراطية التي فقدت معناها من كثرة العبث بها.

كما أنهم سعوا بكل جهدهم لإثقال الدول بالديون والقروض، مستخدمين البنوك الدولية والأممية ذات المقاصد الخبيثة، رغبة منهم في وقف عجلة التنمية، وإضعاف الاقتصاد، لتتوجه كل عوائد تلك الدول لسداد الفوائد، لتنتهي كل مساعيها للخروج من عنق الزجاجة، ليظلوا عبيدًا لهم ولسياساتهم الحقيرة إلى الأبد.

كما حرصوا على دفعهم لقهر الشعوب بفرض الضرائب، ورفع الدعم عن مستحقيه، وسحق الطبقة الوسطى التي انتهت منذ زمن بعيد، وكانت تمثل رمانة الميزان لهذه المجتمعات.

وبعد أن سيطر رجال الأعمال التابعين لهم على الأسواق المالية، والموارد الثمينة، وأصبحت مقدرات الشعوب بين أيديهم، باتوا يقودون العالم بكل ثقة نحو خرابه.

نحن الآن في القرن الثاني والعشرين..

حيث تبدو النهاية قريبة على نحو مفزع، ولا خيارات كثيرة متاحة في الحرب الخفية الدائرة.

إما أن تذهب إلى الشيطان..

أو يأتي هو إليك..

لا مفر..

ولا منجى..

ولا مهرب..

ومن هنا تبدأ سطور مخطوطتنا الثانية..

(١)

تذكرون بكل تأكيدٍ بطل قصتنا التعس (وليد فتحي) الذي كان أحد المقيمين خارج المدن المسورة، إلى أن اختير عن طريق أحد معسكرات الفرز، كعينة بشرية جيدة للعمل في مصنع اللحوم المصنعة، مع مجموعة أخرى من المواطنين، المتوافقين مع قوانين العمل الجديدة التي لا تختلف كثيرًا عن الاستعباد والسخرة..

إن كنتم تذكرونه، فأنتم تذكرون أيضًا حظه العسر الذي قاده إلى إدمان دخول (المحاكي)، أو كما يطلقون عليه مخدر العصر الحديث، الذي يعد وسيلة الهروب الوحيدة في هذا الزمن البغيض من مرارة الواقع الأليم الذي يحيا فيه المطحونون من الشعوب، وأيضًا وسيلة الشركات لاستنزاف مواردهم القليلة، ليظلوا كالثيران العمياء يديرون عجلة الإنتاج دون توقف.

وكل من قرأ الجزء الأول من المخطوطة يعلم أنه جهاز واقع افتراضيّ شديد التطور يحتوي على ذاكرة لا نهائية تفاعلية، يصنع من خلالها وهمًا عقليًا تفاعليًا يحاكي الواقع في عقل مستخدمه، بل ويتفوق عليه في كثير من الأحيان في ثراء التفاصيل ودقتها؛ فتستطيع عن طريقه أن تعيش ألف حياة خيالية تختارها من أرشيفه المتنوع، أو تعيش

أحداثًا وذكريات المشاهير الراحلين أو تكون فردًا داخل قصة تعشقها، أو تستعيد حياة أحد الراحلين الذين تفتقد وجودهم في حياتك، أو تمارس كل شهواتك، ونزواتك ممارسة جامحة، في إطار شرعيٍّ مقنن.

كل الخيارات مفتوحة ومتاحة لمن يملك الثمن.

وأنفق (وليد) من عمره شهرين كاملين من العمل الشاق الدؤوب في مصنع اللحوم المصنعة، من أجل أن يوفر الوحدات الرقمية اللازمة، التي ستمكنه من خوض المغامرة الجديدة، ليعيش ذكريات السفاح الدمويّ، وعابد الشيطان الأشهر في القرن الثاني العشرين (مازن شهاب)، وجانبًا من حياته الجنسية، مستخدمًا خاصية الزمن الممتد التي تمكنه من قضاء عشر سنوات من المتعة خلال ساعتين يقضيهما في المحاكي.

والذي من سوء حظه أن مر بتلك التجربة الخارقة للطبيعة، نتيجة حدوث خلل تقنيّ مفاجئ ناجم عن هجوم إلكترونيّ فيروسيّ موسع من بعض قراصنة المعلومات المتمردين ضد سيرفرات المحاكي الفرعية.

تلك التجربة الرهيبة التي وصم خلالها على صدره بعلامة الشيطان الابن، وامتزجت فيها ذاكرته بذاكرة القاتل الدمويّ عابد الشيطان (مازن شهاب) التي كان من ضمن محتوياتها

نسخة كاملة من ذكريات الشيطان الابن المنبوذ الذي تحدى أباه الشيطان الأكبر، وسعى ليزيحه عن عرش مملكته، بعد أن استولى على مخطوطة أقرب أبنائه إليه الذي كان يطلق عليه لقب (المدون).

تلك المخطوطة التي كانت تضم بين دفتيها كل مخططاته السرية التي أعدها بكل خسة وبراعة، لإفساد فطرة البشر ومخلوقات العوالم الأخرى التي تسكن الكونين المنظور والمجهول، من أجل تشويه معتقداتهم الدينية، وتحويلهم لأتباع له.

كما كانت تحتوي أيضًا على جميع أسراره، ومعارفه، التي باح بها لـ(المدون) عبر العصور.

وبالطبع تعلمون أن (وليد فتحي) لم يخرج من الانفجار العنيف الذي حدث بقلب المحاكي نتيجة الهجوم السيبرانيّ الكاسح سالمًا! بل فقد خلال هذه المحنة ثلاثة من أطرافه، استعاض عنها بأطراف صناعية بديلة شديدة الكفاءة، ووجه جديد بعد أن تشوه وجهه الأصليّ، وتعويض كبير من شركة التأمين جعله من الأثرياء، وحاز بواسطته الإقامة الرسمية في إحدى المدن المسورة، بصفته مواطنًا ذا صلاحيات كاملة، لتتبدل حياته بالكامل بين ليلةٍ وضحاها.

ليحيا بعدها لفترة طويلة تحت تأثير العقاقير الطبية

النفسيّة، ويمضي من عمره ستة أشهر في علاج تأهيليّ مكثف تحت رعاية روبوت تفاعليّ متعدد المهام يمتلك ذكاء صناعي متطور، بالاشتراك مع بعض الجهات الطبية المكلفة من شركة الحراسات التي تمتلك المحاكي، لتدريبه على استخدام أطرافه الصناعية الجديدة، ومحاولة الوصول بعقله لحالة من الاستقرار بعد ما أصابه، وهم الذين ما إن اطمئنوا إلى استقرار حالته نسبيًّا، حتى سحبوا أيديهم، وأنهوا البرنامج العلاجيّ والتأهيليّ، وأوقفوا العقاقير النفسية المكلفة، وتركوه تحت رعاية روبوت متطور، أصبح هو رفيقه الوحيد في هذه المحنة.

وهنا وقعت الكارثة، فتوقف العقاقير النفسية أسقط الحاجز القويّ الذي حجب عن عقله الواعي، تلك الذكريات الدخيلة التي احتلت مكانها وسط ذكرياته، والتي بعدها أفصح الشيطان الابن عن وجوده بداخل عقله، ليمر بالتجربة العقلية الأسوأ في عمره.

فالاضطراب العقليّ الذي أصاب (وليد)، جعل عقله مهيأ ليكون مسرحًا لتلك الأحداث المرعبة دون الحاجة إلى دخول المحاكي، بعد دخوله في غيبوبة طويلة كان من الممكن أن يهلك فيها، لولا وجود الروبوت المتطور الذي راح يعتني به في غيبوبته، ويمد جسده باحتياجاته الأساسية

على نحوٍ آليّ ومنظم، تحت إشراف مراكز بحثية خاصة كانت تستنزف ثروته.

فخاض مع الشيطان الابن المنبوذ مغامرات دموية، شديدة القسوة عبر أزمنة وكواكب مختلفة، في خضم صراع رهيب مع الشيطان الأكبر نفسه الذي لم يكن غاضبا في تاريخه مثلما كان غاضبًا من أفعال هذا الابن الهجين الذي كاد أن يهز مكانته وسط أتباعه.

إن القصة طويلة ومليئة بالأحداث، وعليكم مراجعة الجزء الأول لتتابعوا الأحداث المثيرة والمخيفة في ذات الوقت، فالتلخيص يفسد متعة أي عمل.

والآن سأقص عليكم جانبًا كبيرًا من حكاية ذلك السفاح الدمويّ، عابد الشيطان (مازن شهاب)، وحياته السرية التي تقبع في أعماق ذاكرة (وليد فتحي) الذي تُعد ذاكرة الشيطان الابن جزءًا منها.

كما سأقص عليكم المزيد من أحداث حياة الشيطان الابن، وما حدث بعد صراعه الدمويّ مع أبيه، وأيضًا المزيد عن مخططات الشيطان الأكبر الخبيثة لغزو الكون واستعباد البشر، وسنذهب إلى تلك المجرة البعيدة، لنرى ما يحيكه الشيطان في الظلام.

وسنزور كواكب وأزمنة جديدة.

وسنرى أين اختفت الماردة الخائنة (آجر).

وأين ذهبت المخطوطة؟

وهل مات الشيطان الابن حقًا؟

لقد تركت لكم العديد من الأبواب المواربة في الجزء الأول!

وحانت لحظة إطفاء ظمأكم وفضولكم..

فهل أنتم مستعدون؟

(٢)

عندما بدأت أحداث مخطوطتنا الثانية، لم يكن (وليد فتحي) قد غادر بعد تلك الغيبوبة الطويلة التي حوصر عقله في أعماقها، والتي استغلها في تتبع ذكريات الشيطان الابن التي امتزجت لسبب لا يعلمه بذكريات ذلك القاتل الطقوسيّ عابد الشيطان (مازن شهاب).

وقد أجج فضوله مغامراته العنيفة في القاهرة القديمة، وعلى كوكب السينج واليورك، وحضوره تلك المواجهة الرهيبة بين الشيطان الأكبر وابنه المنبوذ التي انتهت بهزيمة الشيطان الابن واحتراقه، لتنصهر خلاياه البشرية، ويسيل جسده كماء أسود راح يتسرب داخل الهرم الأسود الموجود ضمن خمس أهرامات من عشرة كانوا في منطقة دهشور، الذي يقال إنه بُني للاحتفاظ بالطاقة غير المرئية، ليعلن الشيطان الأكبر انتصاره، ويعده من زمرة الهالكين.

ليظهر له داخل عقله الشيطان الابن المهزوم ليخبره في غموض: أن الموت ليس النهاية دائمًا..

ولم يفهم هو معنى تلميحه هذا، وإن أثار هلعه؛ فقد شهد بعينيه نهايته الرهيبة على يد الشيطان الأكبر بنفسه، فالشياطين تموت ككل كائن حي آخر، إلا لو كان يوجد سر لا

يعرفه!

ولهذا استعرّ فضوله أكثر، وقرر أن يخوض بقية التجربة.

وما مكنه من تنظيم ذكرياته المتشعبة والمضطربة، أن عقله الذي خاض التجربة من قبل عدة مرات، قد صنع نسخة وهمية مما كان يحدث في المحاكي.

لذا ففور أن شرع في خوض الرحلة، تجسدت أمام عينيه تلك الأبواب المتجاورة التي تمثل ذكرياته، وذكريات الشيطان الابن، وذكريات السفاح (مازن شهاب)، الذي كان الهدف الرئيس من زيارته إلى المحاكي.

وأمام عينيه، تألق ذلك الباب الذي يحوي ذكريات ذلك السفاح (مازن شهاب) وحياته السرية.. وكما اعتاد (وليد)، فإنه نظر إلى الباب بكل تركيز، فخرجت الدوامة الضوئية السوداء واختطفته إلى قلب الذكرى التالية..

لتبدأ رحلة (وليد) المذهلة..

وبلا مقدمات وجد (وليد) وعيه يندمج بوعي شخص مخيف، لا يقل شرًا وفجورًا عن الشيطان ذاته، إلى حد أنه أراد أن يغادر هذه الذكرى المقبضة على الفور كي يتخلص من ذلك الإحساس البغيض بالنفور الذي اجتاح كيانه؛ فعقل هذا الشخص الخبيث النجس -الذي انقرض أمثاله منذ زمن

بعيد- كان مغارة مرعبة من الذكريات الكثيفة الصادمة التي تفوح بالموت كمقبرة جماعية..

فلا يمكن لبشريٍّ مهما طال عمره أن يحوذ هذا الكم الهائل من الذكريات والأسرار والمعارف التي تعود لعصور مختلفة، وكأنّ عقله مكتبة ضخمة لكل أسرار الكون المظلمة.

إنه يخشاه أكثر من الشيطان ذاته..

وعندما فشل في تخطي تلك الذكرى الكريهة، أدرك أن الشيطان الابن لا يزال يتحكم في سير الأمور، وهو من انتزعه من قلب ذكريات (مازن شهاب)، وقاده إلى هذه الذكرى المفجعة، فقرر أن يقوم بحيلة بسيطة ليحيد بعقله ومشاعره تمامًا بخوض هذه المغامرة من وجهة نظر هذا الشخص المخيف، ليكون وقعها على روحه أقل عنفًا ودمارًا.

وعندما تعمق في ذاكرته أكثر، وتدفقت المعلومات إلى عقله، أدرك أنها كانت خطوة حمقاء، بعد أن حوصر عقله وسط الهول الذي عايشه ذلك الشخص الخبيث، فأول جملة ترددت في تلافيفه، وأثارت القشعريرة في بدنه كانت:

- الجثة التي عليه التخلص منها هذه المرة مخيفة!

وأن يصف شخص مثله جثة بأنها مخيفة، فهذا يعني أنها تفوق في بشاعتها أي تصور قد يطرأ على البال.

لقد تعامل هذا الشخص الرهيب خلال سنوات عمله المنصرمة مع عشرات الجثث المختلفة التي تغص بها ذاكرته، منها المهشمة، والممزقة، والمشوهة، والمحترقة، والمتعفنة، والمحنطة، والمتفحمة، والمسحوقة، وتلك التي فقدت أجزاء كبيرة من أعضائها الداخلية أو الخارجية، أو خضعت لممارسات طبية شاذة، أو تعرضت لتجارب كيميائية رهيبة، دون أن يهتز له جفن.

إن التعامل مع الموتى أحد أساسيات مهنته الغامضة المفعمة بالأسرار والأخطار، وأن تثير عملية التخلص من جثة مهما كانت بشاعتها، حفيظته وقلقه إلى هذه الدرجة، فهذا يعني أن وراءها سر خطير، أو شر كبير.

بات هذا يقوض من حماسه للتعامل مع هذه الجثة المفزعة.. شيء ما في أعماقه يؤكد له أن هذه الجثة تحديدًا ستفتح عليه أبواب جهنم، إن لم تكن قد فتحتها بالفعل! فكل الرؤى التي أتته من بعد قبوله بهذه المهمة البغيضة، أورثته تشاؤمًا متزايدًا من قبل حتى أن يراها!

وبصيرته الحادة، تحثه على نبذ هذه المهمة، والفرار من تلك المواجهة.

وهذا الشعور يورثه توترًا غير عاديّ، ويسحب من رصيد

ثقته في نفسه لأول مرة خلال حياته الطويلة.

فمن يمتهن مهنته لا يعرف قلبه الخوف أو القلق أو التردد..

وإن غزا الخوف قلبه فهي نهايته.

إنه محترف، والمحترفون لا يأبهون بمثل هذه المشاعر، ولكنه من أعماقه يعلم أنها ليست مجرد مشاعر، بل هي إشارات وعلامات أحمق من يتجاهلها أو يغفل عنها، وهو لم يكن يومًا أحمق، إنه منظف جرائم من نوع خاص جدًا..

وبالطبع لا يشبه من امتهنوا هذه المهنة البغيضة، وظهروا في أفلام هوليود المرعبة، أو من غصت بهم القصص البوليسية الدموية، لو دار هذا في مخيلتكم، فهو ينظف مسارح جرائم مختلفة، يتخلف عنها جثث من نوع خاص.

جثث ملعونة كانت طرفًا في أعمال مدنسة تعتمد على السحر الأسود، أو الفنون المحرمة أو الممارسات الطقسيّة العنيفة.

وهو نوع نادر من المهن غير الشرعية، ويوضع تحت بند الأعمال فائقة الخطورة والسرية، وقلة في العالم لا تتعدى أصابع اليد الواحدة من يمتلكون مفاتيح أسراره.

وهو ورثها عن أجداده ... ومن يمتهنون مهنته هذه قادرون

بما يمتلكونه من قدرات وأسرار وعلوم سحرية مضادة، على إنهاء خطر أي عمل سحريّ، أو عزيمة معقدة، أو تعويذة فاشلة، أو جثة عائدة، أو سحر مشؤوم أصاب مستخدمها.

وكان هو أحدهم، وأكثرهم علمًا وخبرة وقوة ونفوذًا، لذلك نال شهرة واسعة في أوساط السحرة والمشتغلين بهذه الأمور في عالم السحرة السفليّ، البعيد عن الأعين.

يطلقون عليه لقب (الحانوتيّ)، برغم كونه يتخلص من الجثث الملعونة لا يدفنها!

ونتيجة شهرته هذه، لا يمضي مجلس أو حديث حول أخطار السحر الأسود، أو الفودو أو الكابالا إلا وذكر فيه اسمه..

إنه صمام أمان، وطوق إنقاذ أخير للعاملين في هذا المجال المظلم.

وسيلة الاتصال به غامضة، ولها طقوس خاصة، ولا يعرفها إلا عدد محدود جدا عبر قارات العالم السبع، وعوالمه السفلية والرمادية.

ولا يكون استدعاؤه إلا في ظروف خاصة، وبتكلفة باهظة.

ولم يكن هو جاهلً بمكانته وعظم أهميته، لذلك لم يكن

يقبل بتقديم خدماته إلا للصفوة..

وبشروط خاصة جدًا..

وهذه المرة تم استدعاؤه بوساطة قوية لم يستطع أن يردها..

فكانت هذه من المرات القلائل التي يُقبل فيها على مهمة لا تباركها النجوم أو قراءة الطالع.

ولأن كلمته عهد والوسيط شخصية نافذة لا يمكن أن يرفض لها طلبًا، بل ويدين لها بالكثير، قَبَل المهمة على مضض، وقرر أن ينفذها في ليلة اكتمال القمر، حيث تصطف الكواكب في برج حظه، لعل النجوم التي يقرأها تكون قد أخطأت في توقعاتها..

لذا نراه يقطع تلك المنطقة المقفرة من الصحراء المصرية الباردة تحت ضوء القمر قادمًا من قلب العدم نحو وجهته، متسربلًا بالظلام، كشبح يهيم على وجهه، ولا يأبه بطبيعة المكان الموحشة التي تحيط به..

قناعه الأسود متقن الصنع، وكأنه جزء من وجهه، ومعطفه الأسود وحذاؤه الذي باللون نفسه يجعلانه كقطعة من الليل تقطع خيوط القمر التي تداعب رمال الصحراء.

كان يتشمم الهواء بقوة، وكأنه يبحث عن رائحة خاصة.

وعندما وجدها تقلصت ملامحه خلف القناع، وراحت شكوكه تتعاظم، وشعوره بالخطر يتزايد..

إن الأمر أسوأ بالفعل من كل توقعاته؛ فقد استُعمل نوع معقد ونادر من السحر في لعن هذه الجثة التي لا يعرف حتى هذه اللحظة سبب لعنها، أو سبب إنفاق كل هذا الجهد والتكاليف للتخلص منها.

وبرغم ضيقه وتوتره، فإنه راح يقترب من المكان الذي توجد فيه الجثة اللعينة التي جعلته يقطع نصف العالم ليأتي إلى هذا المكان المقفر، بخطوات سريعة، سيقسم من يراه يخطوها أن قدميه لا تلمسان الرمال، بل تسريان فوقها، وكأنه لا وزن له، وبداخله عزم شديد على إنهاء كل هذا القلق، في أسرع وقت..

وبدون صوت أو ضجيج، قطع تلك الدائرة الرملية المؤمّنة التي يحرسها مجموعة كبيرة من الرجال المسلحين المتأهبين لضغط أزندة بنادقهم الآلية دون هوادة مع أول بادرة شك.

وظهر هذا جليًّا في عيونهم التي كانت تمسح تلك المنطقة الصحراوية النائية كرادار حديث عبر مناظير الرؤية الليلية

الحديثة، وفوهات أسلحتهم مشرعة في كل اتجاه.

وعندما أصبح في منتصف الدائرة، كان من الواضح أنهم عموا عنه تمامًا، فقد اخترق سياجهم الأمنيّ كنسيم عابر، أو شبح لا كيان له، ليقف بهيئته المظلمة متأملًا ذلك التابوت المعدنيّ محكم الإغلاق الرابض فوق الرمال الذي وضعوا بداخله تلك الجثة الملعونة التي عليه إبطال سحرها، والتخلص منها.

وأمام التابوت المطلسم، وقف صامتًا لأكثر من دقيقة كاملة يتأمله، ويتشمم المكان من حوله، وكأنه يقيس مدى خطورته، دون أن يشعر به المسلحون القائمون على حماية التابوت.

وعندما كسر صمته، وبدأ يتمتم بكلمات خاصة ذات وقع مرتفع ومقبض، ثارت حول التابوت زوبعة رملية كثيفة، نبهت المسلحين إلى وجوده. وقبل أن يديروا أسلحتهم نحوه، دوى في عقل كل منهم كلمة واحدة زلزلتهم:

- انصرفوا.

وكأنما لا إرادة لهم أو تلقوا أمرا حاسمًا من قائدهم الذي لا يمكنهم مخالفته، تحركوا بخطوات سريعة منظمة صوب عربات الدفع الرباعيّ المصفحة، التي كانت على أهبة

الاستعداد لحملهم، وانطلقوا بها يقطعون الصحراء صوب وجهة لا تعنيه.

في حين عاد هو لممارسة طقوسه، بعد أن خلع ذلك القناع الذي كان يغطي وجهه..

نظراته الثاقبة كان بها شيء مخيف تقشعر له الأبدان، ووجهه الوسيم حاد الملامح كان يوحي بشر مقيم.

وبهدوء وحذر راح يفحص التابوت، وهو يعقد حوله عقدة سحرية خاصة، تتيح له حماية مؤقتة، كي لا يفاجئه الشر الكامن بداخل التابوت.

وكما يحدث في المهمات الانتحارية الخاصة، بدأ باستكشاف أرض العدو، بقراءة ما خُط من نقوش ورموز وطلاسم على جوانب التابوت.

وكلما تقدم في القراءة شعر بقلبه ينقبض وبعرق بارد يغمر جبهته، ومن أعماقه عاد ذلك الهاتف الغامض ليحثه على مغادرة المكان، بل والهرب من تلك المواجهة البغيضة، فالأمر أكبر من مجرد جثة ملعونة عليه تحريرها من لعنتها قبل أن يتخلص منها.

فلا أحد يستخدم هذا المزيج المعقد، من السحر المتنوع النادر في كتابة الطلاسم والرموز التي تغرق جوانب التابوت

إلا لو كان ما يسكنه شر لا قبل لهم به.

لقد ظن خلال الأيام الماضية أن في رؤاه مبالغة، والآن يدرك أنها لم تفصح عن الكثير!

فهو شر مهول، لا ينتمي للأرض.. شر قادم من عالم آخر..

كانت المرة الأولى في حياته، التي يغزو فيها الخوف قلبه بمثل هذا الشكل المزعج، وهو غارق في محاولة لصنع نوع من الاتصال العقلي الفائق مع تلك الجثة الرهيبة، في محاولة لسبر أغوارها، وكشف الغموض الذي يحيط بها.

حاول مرة، ومرة، ومرة، ومنعه شيء قاهر من اتمام الاتصال.

ومن اضطراب المجالات العقلية حولها، أدرك أنها تحمل وعيَ كائنٍ غيبيّ رهيب، كان يمكن أن يفتك بعقله لو استطاع النفاذ إليه..

تجاوز فشله وحماقته التي جعلته يستخدم تلك الطرق التقليدية في التعامل مع جثة مماثلة، وهو يتأمل التابوت المعدنيّ الجاثم على الرمال أمامه كضريح عملاق.

عيناه الغارقتان في سواد الكحل تتفرس الطلاسم والرموز في نهمٍ ورهبة، وعقله الموسوعيّ الذي يضم بداخله علوم

قرون لا حصر لها، يترجم ما يقرأه ويراه..

إنهم لا يستعملون ذلك المزيج من السحر الشيطانيّ النادر فحسب، بل يدعمونه بتقنية سحرية رهيبة تعتمد على تقديم قربان بشريّ كل طلعة شمس لتستمر فاعلية التعويذة، وهو ما يطلق عليها (السحر المتجدد)، وهو نوع شديد الخطورة صعب التطبيق، يستخدم لكبح جماح تلك القوى الرهيبة التي تستحوذ على الجثة، كما تعمل على محو كل أثر لها فلا يمكن رصدها بسهولة.

والمخيف أنه خلال حياته الطويلة، لم يقابل من نجح في استخدامها ولو مرة واحدة.

إن خطورة المهمة تتضاعف مع كل معلومة جديدة يكتشفها.

وليتأكد من استنتاجه، كان عليه استعمال تعويذة اختبارية خاصة! وكأنّه يرغب في استنفاد كل وسائله التقليدية، قبل أن ينتقل إلى الوسائل غير المضمونة، أو الأكثر خطورة..

وما أن ردّد كلمات التعويذة الثقيلة، حتى توهج التابوت بشدة، ليضيء مساحة شاسعة من الصحراء جعلت مخلوقاتها الليلية تفزع، قبل أن يعود إلى حالته الطبيعية، لينقبض قلبه أكثر، وقد بدأ يشك في قدرته على التعامل مع

هذا النوع من السحر النادر ذي المنشأ غير الأرضي..

ظل على وقفته أمام التابوت دون حراك لعشر دقائق كاملة، إلى حد أن أحد الزواحف اقترب منه في أريحية وراح يتشمم حذاءه، ولم يجفل أو يفر إلى قلب الظلام إلا عندما تحرك.

وخلال هذه الفترة، ظهر على وجهه الذي انعكس عليه ضوء القمر الفضيّ ملامح تفكير عميق وصراع هائلين.

وفي عقله سطعت صورة تلك الماردة الخبيثة (آجر) التي كلفته بمهمة التخلص من الجثة الملعونة، وحثته على سرعة إتمامها، وأبدت ثقتها الكبيرة فيه لتثير حميته.

وعلى الرغم من أن ما علّمته له من فنون قراءة المستقبل، والتنبؤ بنتائج الأحداث، تخبره أنه يخوض في نهر من نار سيحرقه، لكنه أطاعها!

فبمساعدتها وحدها حظي بمكانته المميزة بين السحرة وممارسي مهنته البغيضة، بعد أن عقدت معه عهد السحرة، ومنحته مخطوطات العلوم القديمة، ومنحته مفاتيح التعامل معها ليصير أعلم أهل الأرض بالسحر وفنونه، بعد أن كان مجرد ساحر عاديّ لا قيمة له، ولا نفوذ ولا مكانة.

كما أن العهد الذي قام بينهما والذي وقعه بالدم، يجبره على

الطاعة، أو أن يعيش طوال عمره عاجزًا.

وهذا ما لن يقبله أبدًا، بعد أن ذاق القوة وبلغ هذه المكانة.

وعندما حسم هذا الصراع الداخليّ حامي الوطيس، نظر للتابوت المطلسم بتحدٍ، وقال بصرامة:

- ليكن..

ثم أخرج من جيب معطفه بكرة خيط أسود دقيق، وبكل هدوء وروية، لف الخيط حول التابوت سبع مرات، وصنع منه عدة أشكال متداخلة، إلى أن انتهى الخيط فعقده، وأعاد البكرة الخالية إلى مكانها بجيب معطفه، ثم وقف بقلب الصحراء، وراح يردد بصوت مرتفع رج المكان كرعد قاصف، تعويذة انتقال قديمة، جعلت الخيوط التي أحاط بها التابوت تنتظم في مكانها، وتتوهج على نحو قويّ، ليرتفع التابوت عن الأرض عدة أقدام، وكأن لا تأثير للجاذبية عليه، قبل أن يزيد توهجها، لتصير كشمس صغيرة أضاءت المكان من حوله، وأخفته بداخلها.

لتصدر بعدها فرقعة عنيفة خلفت وراءها عاصفة رملية هائلة، تبعها قصف مدوٍ قبل أن يتلاشى هو والضوء والتابوت دون أن يخلفوا أثرًا، ويعود الصمت إلى تلك المنطقة الصحراوية التي عاصرت للمرة الأولى في تاريخها أحد أقوى

استخدامات السحر الأسود.

وخلال فترة الانتقال المؤلمة، تمحورت كل أفكاره حول نقطة واحدة: كيف سيتعامل مع تلك القوى الرهيبة التي تسكن هذه الجثة المشؤومة؟

وفي النهاية تجسد مع التابوت بداخل قبو فسيح، اشتعلت أضواؤه فور أن لامست قدماه أرضيته، بينما احترقت الخيوط الضوئية التي أحاطت به، وتحولت إلى رماد على الأرضية الرخامية السوداء اللامعة التي لا توجد فوقها ذرة تراب واحدة، في حين ظهرت على وجهه إمارات ألم شديد.

إنه يدرك جيدًا أن عمليات الانتقال بواسطة هذه التعاويذ القديمة تحسم من عمر مستعملها، ولكنها في هذا الظرف القاهر أكثر الوسائل أمنًا، خاصة وبجعبته هذه الكارثة المطلسمة.

كما أنه لم يتوقف يومًا عن تناول الإكسير الذي يؤخر الشيخوخة، الذي تعلم صنعه على يد الماردة، والذي يساعده كثيرًا على تجاوز الأعراض السلبية لسحر الانتقال، وإن لم يقضِ على الألم تمامًا، فظل عرضًا مزعجًا.

جز على أسنانه مجبرًا جسده على تجاوز تلك الآلام العنيفة، وهو يتأمل القبو الذي لم يزره منذ خمسة عقود.

لقد تجاوز من العمر المائتي عام بعقدين كاملين وبضع سنوات، ولا يزال يأمل في مثلهم وربما أكثر.

القبو كما تركه منذ خمسين عامًا، وهو واحد من أربعة أماكن جهزها بنفسه، ليستخدمها في إنهاء مثل هذه الأعمال المشؤومة خلال العقود السابقة، دون الحاجة إلى نقلها عبر البلاد إلى مقره السريّ الدائم، وتقع جميعها في أماكن مأهولة شديدة الكثافة السكانية، دون أن يدري أي من قاطنيها بوجودها أو ما يدور بداخلها.

أحد تلك الأماكن يقع في بكين عاصمة الصين، والآخر في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة، والثالث في كلكتا عاصمة الهند القديمة، والرابع في الجيزة، إحدى مدن الدولة المصرية.

وكان قبو تلك الفيلا الأخيرة هي التي وقع اختياره عليها لينفذ مهمته الخطيرة، حيث يشتت مجال الطاقة للأهرامات القريبة أي مقدرة لرصده عن طريق السحر؛ فللسحر أثر لا يُمحى من بنية الزمان والمكان ويمكن تتبعه من العارفين بسهولة..

غريزة الخطر التي نمت في أعماقه خلال سنوات عمله المدنس، ترسل له هذه المرة تحذيرًا قويًا، إلى حد أنه يفكر في تجاهل تعليمات الماردة التي أكدت على تخليص الجثة

الموجودة بداخل التابوت المطلسم من لعنتها، قبل التخلص منها بأي ثمن، ليدفنها في أرضية القبو المزدوجة، المعدة لأغراض مماثلة، دون المساس بها..

في الحالات السابقة، كان يستخدم السحر الأسود العكسيّ- الذي يعد أحد معلميه البارزين- في تخليص الجثث الموسومة من لعنتها، قبل أن يقوم بممارسة طقوسه الخاصة عليهم.

فهو لم يكن مجرد ساحرًا عاديًّا أو منظف جرائم محترفًا فقط، بل كان أحد أقوى آكلي الموتى عبر التاريخ، وأشهر نكرومانسر حيّ على وجه البسيطة، وهي المهنة التي يقوم بها من يلتهم أجزاء من الجثث، وينتزع أسرارها ومعارفها، ليزداد معرفة وقوة.

وكان من طقوسه الأثيرة، بعد أن يفرغ من استنطاق الجثة الموصومة ويستولي على كل أسرارها، أن يحرق ما تبقى من أشلائها، ويطحن بقاياها، ويمزجها بالتربة كسماد في مزرعته الخاصة التي قيد أرضها بقفل سحريّ فرعونيّ قويّ للمزيد من الحماية والخصوصية، ورغبة منه في الاحتفاظ بتذكارٍ من ضحاياه.

كان يتعامل مع كل شيء بطريقة فوقية، يدعمها غرور طاغٍ، كما كانت له اليد العليا المتحكمة في كل شيء، والآن

يشعر بالعجز والتوتر، وهو لم يعتد مثل هذا الشعور البغيض!

وواجه كل هذا بعناد شديد، برغم أن سبب نجاته من الهلاك في هذا المستنقع الآسن الذي يمارس فيه طقوسه طوال سنوات لا حصر لها، هي غريزته؛ فلماذا لا ينصت لها الآن؟

ربما هي سمعته التي لو تضررت مرة واحدة لانتهت، وانتهى عمله الذي يمده بالجثث النادرة التي يستخدمها في عمله السري الآخر، كنكرومانسر محترف، أو عدم رغبته في التواصل مع الماردة التي كلفته بالمهمة، لأن الثمن يأتي دائمًا على حساب صحته وقوة جسده.

كما أن ثلاثة ملايين وحدة رقمية (بيتكوين) مبلغ يستحق المجازفة، أو هو كل ما سبق.

لذا فإنه ارتدى ثيابه المعتادة، التي تشبه ثياب القصابين، وقفازًا مطاطيًا مزدوجًا، ووضع كمامة على أنفه تحسبًا للرائحة الشنيعة التي تصاحب هذا النوع من الممارسات الملعونة، ورسم دائرة الحماية حول التابوت، وملأها بالطلاسم والنقوش والأوفاق التي يظن أنها ستساعده في حصر دائرة اللعنة التي تحيط بالتابوت والجثة الموجودة بداخله، ثم رسم دائرة حماية إضافية، إمعانًا في الحذر، وللمزيد من الوقاية.

وعندما أتم الأمر الذي أخذ منه مجهودًا شاقًا، شرع يردد بعض التعاويذ الخاصة، التي أحالت الجو من حوله إلى جحيم دليلًا على فاعليتها.

واستدعى من قلب العدم كاميرا رقمية حديثة، وصور بها جميع الطلاسم التي رسمت على التابوت، وتأكد من وضوحها ليفحصها فيما بعد، ويضيف لخبرته هذا النوع النادر من السحر، بعد أن يفك شفرته وروابطه، ليستخدمه عند الحاجة.

إن نهمه للعلوم السحرية، وخاصة السوداء منها والمحظورة، لا ينقطع.

وعن طريق رافعة هيدروليكية خاصة فتح غطاء التابوت الثقيل، وفور أن وقع بصره على وجه الجثة، شهق بقوة، وهو يتراجع إلى الوراء من أثر الصدمة العنيفة، وهو يصرخ في غضب:

- اللعنة..

فالأمر فاق كل توقعاته، إنّ الجثة ملعونة بسحر شيطانيّ مفخخ، يلتصق كالعلقة بمن يحاول إبطاله، ويفتك به.

الحانوتيّ أشهر من أبطل السحر واللعنات، وقع كالغر الساذج في الفخ.

وهذه لم يمنعه من كتم غضبه، والتفرس في وجه الجثة التي كانت ممددة في هيئة متصلبة مخيفة، وعيناها مغطاة بحجرين أسودين، وجلد الرأس يابس متقرح كجلد المومياوات، واكتسى بلون فضيٍّ باهت، وكأنَّ فنانًا مجنونًا قد لطخه بهذا اللون المقبض، ليمنحه سمتًا شيطانيًّا مروعًا.

لم يحتاج الأمر منه لتفكير عميق ليستدعي المعلومة من داخل تلافيف عقله؛ فالحجران الأسودان وُضِعا لحجب عينيّ الجثة عن رؤية القائم على معالجتها أو لعنه بالسحر، والخليط الفضيّ الذي دهن به وجهها هو وسيلة حماية إضافية، ويطلق عليها اسم (القناع).

يتكون هذا الخليط من مسحوق عظام طفل خُنِقَ بعد ولادته مباشرةً من نسل السّاحر نفسه الذي أدّى التعويذة، مع أكسيد الفضة، ودماء خفاش، وبعض المواد الأخرى التي لا يعرف حقيقتها إلا السحرة المتمرسون النادرون، وهو لم يكن أحدهم، ووظيفته هي منع الضحية من أجراء أي تواصل عقليّ خارجيّ.

وهذا يعني أن الجسد الممدد أمامه قد لا يكون ميتًا، ولا يزال صاحبه على قيد الحياة، وهذا يضاعف من خطورة مهمته.

ولذلك جز على أسنانه في غضب مضاعف، وهو يفكر أنه كاد بتواصله العقلي العكسي مع الجثة أن يقع في فخ آخر.

إنها أخطر مهمة يقوم بها في حياته، والجليُّ هنا أن كل ما يُستخدم من سحر مع هذا العمل الفنيّ الأنيق، هو سحر خاص جدًا، يمكن أن يكون قد قرأ عن بعضه، وعن تأثيره، ولكنه لم يدرك من قبل أنه لا يزال يوجد من يمارسه على هذه الأرض..

لقد انقرض من يمتلكون هذه الفنون الشيطانيّة المحظورة منذ قرون، ومعهم انقرض هذا النوع من السحر الشيطانيّ النّادر الذي يتطلب طقوسًا دمويّة بشعة، وشديدة الصعوبة.

فما الذي تخفيه هذه الجثة الملعونة؟

صدمته الرائحة النفّاذة التي تصاعدت من الجثة مع فتح غطاء التابوت، فوضع كفيه فوق الكمامة، ليتفادى تلك الرائحة الشنيعة الحارقة، التي كادت أن تزهق روحه؛ فلم يكن يصدر عن تلك الجثة الملعونة روائح العفن والتحلل المعتادة التي لم تعد تثير ضيقه أو حاسته الشمية، بل تسرب منها رائحة كيميائية عنيفة التصقت بكل شيء في القبو.

رائحة جهنمية تشبه رائحة الكبريت المحترق مع عطن مكتوم، أحرقت جيوبه الأنفية، وجعلته يبحث على الفور

عن قناع مضاد للغازات وسط مقتنياته، ويرتديه بسرعة بعد أن فشلت الكمامة ويده التي فوقها في ردع ملكوت الرائحة السيئة.

الرائحة نفسها كانت مؤشرًا خطيرًا آخر جعل قشعريرة باردة تزحف على عموده الفقريّ..

وبكل حذر وانتباه، اقترب من الجثة، وهو يلهث خلف القناع، ثم لفت نظره شيء آخر جعله يتمتم، وهو يقترب من الجثة أكثر:

- اللعنة.. أي سحر شيطاني هذا؟

فبعيدًا عن العينين المحجوبتين، والرأس اليابس المتقرح بقناعه الفضي الشاحب، كانت هناك تلك الأسياخ المعدنية الدقيقة التي تم طعن الجثة بها في أماكن متعددة ولا تظهر إلا رؤوسها.

أربعة وأربعون سيخًا حديديًا حادًّا، موزعين بمهارة، وعلى نحو هندسيٍّ دقيق في أنحاء الجسد المتخشب..

لقد أحصاهم بنفسه عدة مرات، فلعددهم أهمية كبرى عليه أن يكتشفها بنفسه..

إن سحر الأرقام يدلي بدلوه في هذه الفوضى الكبيرة.

عاد يتأمل تلك الأسياخ الحديدية دون أن يلمسها؛ فهو ليس على هذه الدرجة الحماقة.

الشواهد الأوليّة تخبره أن الجثة طعنت بها وهي على قيد الحياة، والعجيب هو عدم وجود أي آثار أو دماء توحي بأن الجثة قد نزفت في أي مرحلة من مراحل الطعن أو النقل.

فجميع الأماكن المحيطة بالأسياخ نظيفة، وكأنه يوجد شيء ما طليت به الأسياخ قبل أن تخترق الخلايا، فأوقفت نزيفها قبل أن يبدأ..

تفحص أماكن الاختراقات عدة مرات، ثم سحب نفسًا عميقًا، وأطلقه ببطء، وراح بعد ذلك يردد مجموعة مسجوعة من الكلمات غير المفهومة، فظهرت له من العدم خزانة معدنية، فض قفلها، وأخرج منها كتابًا جلديًا، صُنِعت أوراقه من جلد يشبه جلد الزواحف، وخُطت فيها طلاسم ورموز عجيبة تعود لعصور ولت منذ زمنٍ بعيد، وما إن قبض على الكتاب حتى تلاشت الخزانة في قلب العدم.

وهذا الكتاب القيم الذي قد يدفع بعض السحرة نصف أعمارهم من أجل اقتنائه، والاستحواذ على ما به من علوم، قد أرشدته إلى مكمنه الماردة نفسها التي يقوم من أجلها بهذه المهمة البغيضة، والتي أخبرته أن ما به من علوم وأسرار سيجعله أقوى إنسان على سطح الأرض، لأن به

خلاصة الخلاصة من سحر السحرة الأوائل.

وبالفعل لم يخيب الكتاب ظنه مرة واحدة، وتفاعل بسرعة مع قلقه، وراحت صفحاته تتقلب دون تدخل منه، إلى أن وقفت عند صفحة معينة، فنظر إليها بلهفة، وراح يقرأها بعناية برغم لغتها العجيبة الشبيهة بالكتابة المسمارية، وعندها بدأ العرق يتفصد عن جبهته.

لقد ورطته تلك الماردة الملعونة عندما دفعته لاستلام التابوت بكامل إرادته، لتلتصق به اللعنة.

لقد لُعن الحانوتيّ، الذي كان مسؤولًا عن إبطال أي لعنة مهما كانت قوتها أو ندرتها، بسحر خبيث متجدد، قد يعجز أي ساحر آخر عن إبطاله.. وما يثير حفيظته أكثر أن الطعنة جاءت له من آخر شخص يمكن أن يتخيله..

فلأي سبب تطعنه الماردة هذه الطعنة النجلاء بعد أن أوصلته إلى هذه المكانة، وهو الذي أقسم لها على الولاء والإخلاص؟

لقد تم العبث به، وهو شيء لن يقبله، ولن يسمح بأن يستمر طويلًا..

الكتاب يعرض عليه حلًا خطيرًا للغاية!

فعليه الآن أن يستخدم سحرًا عكسيًا بالغ الخطورة لم يجربه من قبل، ولا يتقن استخدامه، للتخلص من الجثة كي لا يقع تحت سيطرة من لعنتها.

وهذا سيجعله يتغاضى عن رغبته في استنطاق الجثة هذه المرة ليعرف أسرارها وما مرت به، ومن هي تلك العشيرة من السحرة التي قامت بهذا العمل السحري النادر!

فلا يمكن لساحر واحد مهما امتلك من مهارات أن ينجزه على هذا النحو المتقن.

عقله يغلي من الغضب، فيهمس لنفسه:

- فلتذهب الجثة مع أسرارها إلى الجحيم الذي أتت منه، إن كل ما يحيط بها مشئوم، وما تخفيه أو تكشف عنه لن يكون أقل شؤمًا.

وبرغم من أن علومه لا تشمل مواجهة سحر بهذه القوة، فإنه بدأ في دراسة كل الخطوات التي عليه القيام بها، والمسجلة في تلك الأوراق اليابسة التي دَوَّنها السحرة الأوائل.

ثم استعان بكتب أخرى أحدث نسبيًا لفك شيفرة بعض الكلمات، ومعرفة طريقة النطق الصحيحة لعدم إفساد التعويذة، التي ستلي تقطيع الجثة إلى أربعة أجزاء، كل جزء

منها يحتوي على أحد عشر سيخًا؛ وبعدها عليه إحراقها بدءًا من القدمين وانتهاءً بالرأس الخالي من الشعر، والوجه المفزع البارد، ثم يتأكد من إذابة بقاياها في خليط من الدماء، وإكسير خاص عليه صناعته بنفسه، قبل أن يقسمه إلى أربعة أجزاء، ويبخر كل جزء منه في بلد تفصلها عن الأخرى مجرى مائيّ..

الأمر كله مقبض ومريب ومجهد، ويدل على أن هذا السحر مُورِسَ في عصور لم يسمع عنها.

إن شغفه للمعرفة هائل، ولكن حبه للحياة أكبر.

لقد بدأ الأمر، وأصبح أكثر حماسًا لإنهائه الآن، فهو لن يحرر الجثة فقط من لعنتها، بل سيحرر نفسه معها، مهما كلفه الأمر من جهد أو دماء..

ولذلك انكب لمدة عشرة أيام كاملة على دراسة التعويذة وطريقة النطق بها كطالب مجتهد، واختبرها مئات المرات ليتأكد من توافقها مع هذا النوع من السحر الشيطانيّ النّادر.

عشرة أيام لم يرَ فيها النوم إلا لمامًا، ولم يرَ ضوء الشمس مطلقًا.

عشرة أيام عاش فيها الويل وزاره الهلع، مع كم الرؤى التي كانت تطارده طوال الوقت..

وعن بشاعة الكيانات التي كانت تهاجمه لتمنعه من إتمام الأمر وإفساده، يمكن أن يتحدث لعشرة أيام أخرى..

إنها ضريبة السحر الذي يهشم بنية الزمان والمكان، ويسمح بكسر الروابط التي تمنع الكيانات الشريرة من مهاجمة عالمنا.

كان يتوقع كل هذا، وأكثر..

وكان يتوقع أن يفشل..

ولكنه نجح في النهاية، وصار عليه أن يحدد الوقت المناسب لإتمامها، وتوافقها مع ارتصاف الكواكب وحركة النجوم..

كان قد أعد كل شيء، بدءًا من الأضحية البشرية العذراء التي لم تتناول أي طعام منذ عدة أيام لتطهير جسدها وتخليصها من الفضلات، والتي ترقد ملقاة في ركن الغرفة تئن من الرعب والجوع والعطش، إلى ذلك الإكسير الشيطانيّ، الذي عليه مزجه بدماء الفتاة التي بدأ باستخلاصها منها بالفعل.

ومحرقته الخاصة تشتعل نارها منذ عدة أيام.

وقبل أن يبدأ في مهمته، راجع الخطوات ألف مرة..

وحصّن نفسه ألف مرة..

وأقام صلاة خاصة لأحد الكيانات الظلامية لتعينه في مهمته..

ثم بدأ الطقوس..

وبنصل حاد، حدد الأماكن التي سيقوم بقطعها في جسد الجثة، كي لا يخطئ عند استخدام المنشار الكهربي الذي سيساعده في تقطيعها لأجزاء.

وللمرة الأخيرة وقف يتأمل الجثة الملعونة، وصدره يعلو ويهبط، وكأنما عاد إليه تردده.

وفي اللحظة الحاسمة قبض على المنشار الكهربائيّ وشرع في فصل أجزائها عن بعضها، والفتاة التي يُصفى دمها تنظر بهلع إلى المنشار متوقعة مصيرها الأسود.

وخلال دقائق كانت الجثة التي لم يظهر عليها أي أثر للحياة -كما ذهبت بعض أفكاره- قد تحولت أمامه إلى أربعة أجزاء، دون أن تنزف ولو قطرة دم واحدة أو تتناثر أحشاؤها، برغم أسنان المنشار الفظة التي هتكتها وغيرت ملامحها.

وبصوت قويّ ردد تعويذة إبطال السحر الذي وصمت به الجثة بتلك اللغة القديمة صعبة النطق، وهو يستخدم دماءه

الخاصة في تفعيلها، وهو يمني نفسه بنهاية سعيدة.

وعلى أربع مرات حمل أجزاء الجثة الثقيلة بالترتيب المطلوب، من القدمين إلى الرأس، ووضعها في محرقته الخاصة متخطيًا دائرتي الحماية.

وفي كل مرة تلامس فيها النيران الجثة، كان يسمع صوت فوران ممتزجًا بصرخات متألمة زلزلت كيانه، ولكنه استمر في الدفع بأجزاء الجثة الواحدة تلو الأخرى، حتى احتوتها النيران بالكامل..

ووقف يلهث في قوة وهو يشاهد ألسنة اللهب وهي تذيب أجزاء الجثة المشؤمة، وعلى وجهه ابتسامة انتصار عظيمة..

لقد نجح في مهمته، وتخلص من ذلك الفخ الرهيب.

إنه يزداد علمًا ومهارة..

وإن كان في قمة ضيقه لعدم تمكنه من ممارسة مهنته كآكلٍ للموتى، واستنطاق هذه الجثة المريبة التي لُعنت بسحر خوارقيّ من خارج حدود عالمه المعلوم، وخسر فرصة الاستيلاء على أسرارها التي قد تدر عليه ثروة هائلة أو تمنحه قوة خارقة مع منشأها غير الأرضيّ، ولكنه في الوقت نفسه غير نادم، فماذا كان سيفعل بأسرارها لو فقد حياته؟

كانت المرة الأولى التي يواجه فيها شيئًا مماثلًا..

ونجح في مواجهته..

أو هكذا ظنَّ!

ومع نشوة النصر غرق في أفكاره الخاصة، فلم يشاهد ما يحدث بداخل المحرقة، فأجزاء الجثة المقطعة انصهرت كقوالب الزبد، وتحولت إلى سائل أسود غليظ له عين نارية متوهجة، راح يتحرك كثعبان سائل، وينسل مبتعدًا عن تلك الأسياخ التي تكومت في كومة صغيرة في جانب المحرقة، وكأنَّ هناك من دفعها لتتجمع بهذا الشكل المريب بعيدًا عن السائل، الذي أخذ يسيل مندفعًا خارج المحرقة كنهرٍ أسود ساخن.

ارتفع صوت الفوران بشدة، فانتبه له آكل الموتى، لكنه انتبه متأخرًا جدًا، بعد أن غطّى السائل أرضية القبو وهو يغلي ويفور، مما جعله يتراجع في سرعة ليصطدم بتلك الفتاة المكومة على الأرض تلفظ أنفاسها الأخيرة بعد أن فقدت معظم دمائها، ليدفعها بعيدًا عنه بقدمه في قسوة، وهو يردد في هلع:

- اللعنة! لقد أخطأت.. بل ألف لعنة.. لقد كان فخًّا مزدوجًا، وسقطتُ فيه كالأحمق.

فما أن أنهى جملته حتى وصل السائل الأسود إلى جسد الفتاة الواهن التي أطلقت صرخة وحيدة قبل أن يحرقها، ويمتص حيويتها، ويحولها إلى رماد.

ليتخطاها كأفعى سوداء هائلة الحجم، ويهاجم آكل الموتى الذاهل الذي أطلق حول نفسه تعويذة حماية ثلاثية، لم تخفف أو تقلل من حدة اندفاع السائل الفوار الحارق الذي تسلق جسده في لحظات، وغمره بالكامل، ليطلق صرخات رهيبة متألمة مزقت أحباله الصوتيّة.

والعجيب أن ملابسه وقناعه احترقوا بينما جسده لم يمسه سوء، بل راح يمتص السائل الأسود الحارق في جشع، وكأنه أرض لم ترتو بالماء منذ قرون، حتى احتواه داخله بالكامل..

ليشهق بعدها آكل الموتى في قوة، وعيناه تشتعلان بنيران حقيقيّة، شعر معها بأنَّ روحه تتمزق، تلاها صدمة عقلية رهيبة، عندما بدأت كل معارفه في الانتقال إلى ذلك الشيطان الذي كان يسكن الجثة، والذي استولى على جسده، وطفق يمحو من داخله كينونته.

وقبل أن يفقد سيطرته نهائيًا على جسده، أدرك من غريمه..

إنه ابن الشيطان المارق، أحد أشر المخلوقات، وأكثرهم

وحشيّة ودمويّة، الذي حذّر السحرة الأوائل من عودته ونسجوا حوله الأساطير، والذي تأخر ظهوره، ولكنه عاد ليتجسد في جسد أخطر بشريّ على سطح الأرض..

الحانوتيّ..

آكل الموتى..

وعبر كاميرا مخفاة بمهارة في قلب القبو، وفي أحد القصور الفخمة بالمقطم، كان هناك من يتابع في توترٍ تلك الطقوس المشؤمة دون أن يشعر ذلك النكرومانسر الملعون..

وعندما رأى الشيطان الابن يحتل جسد ذلك الملعون، فعل نظام اتصال سري فائق، يتصل بعدد من شركائه السريين عبر العالم، والذين شاهدوا عبر البث المشفر، عملية احتلال سيدهم لجسد آكل الموتى في شبق.

وعندما رفع الشيطان الابن في هيئته الجديدة عينه للكاميرا، سجدوا له جميعًا في رهبة وخشوع، ممزوجة بالظفر، في مشهد عجيب.

فلكل شر جديد أتباع، يصل بهم الغي أنهم قد يعادون الرب والشيطان معًا. فلكل شر جديد أتباع، يصل بهم الغيّ أنهم قد يعادون الرب والشيطان معًا.

قبل أن ينتصب كبيرهم قائلًا في رهبة واحترام:

- مرحبًا بالشيطان الابن.. مرحبًا بمن عاد ليسود..

وتألقت عينا الشيطان الابن بقوة، وكأنه سمعه..

وشهق (وليد) وهو يغادر تلك الذكرى المفزعة، ويردد في ذهول:

لقد عاد الشيطان الابن!

ولكن كيف عاد؟

لقد توقع أن يخوض في ذكريات ذلك السفاح الدمويّ (مازن شهاب)، وأن تثبت له الأحداث التالية، أن ابن الشيطان مجرد ذكرى وانتهت..

ولكن ما رآه الآن أفزعه.

فلو كانت هذه هي البداية؟

فكيف ستكون ذكرياته التالية؟

وظل السؤال يتردد في عقله دون إجابة.

(٣)

راحت كل خلية في جسد (وليد) ترتجف في عنف، بعد أن شهد عودة الشيطان الابن من الموت، إلى حد أن الروبوت الطبيّ اضطر إلى حقنه، بعقّار مسكن هَدَّأ من حدة الارتجاف، خوفًا من أن يصل الأمر لأزمة قلبيّة أو لسكتة دماغيّة، بينما كان هو هناك في أعماق غيبوبته يواجه الشيطان الابن الذي تجسد أمامه بطريقة سافرة على هيئته الحقيقية المشوهة، وجناحاه المهترئان يخفقان دون توقف، وهو يقول في ظفر:

- ألم أخبرك أن الموت ليس النهاية؟

شعر (وليد) بفزع الدنيا كلها، وهو ينظر للوجه المشوه، وعيناه معلقتان بعينه المطموسة، متسائلًا في هلع:

- ولكن كيف؟ لقد أحرقك الشيطان الأكبر بنفسه!

خفق جناحاه في قوة أكبر، وهو يجيب في مقت واضح:

- الشيطان الأكبر، مجرد عجوز مغرور، ويظن أنه يحيط بكل شيء علمًا، وقادر على كل شيء، ولم يدرِ أنَّ اللعنة التي أرقت نومي عبر القرون لكوني هجينًا، نصف بشريّ ونصف شيطانيّ، هي التي أنقذتني، فما احترق في ناره فقط كان خلايا نصفي البشريّ الذي جعلني منبوذًا من عالم الشياطين.

ولم ينتبه إلى أن نصفي الآخر ما زال ينبض بالحياة ويلعنه، وسيسترد قوته فور أن تنتهي تلك الاضطرابات العاتية التي صنعها حول النجم الذي رُبط به مصيري، وأنه باستخدام طقوس خاصة بإمكاني الحصول على وعاء بشريّ جديد ... كما أنه لم ينتبه إلى أن تلك التمائم والتماثيل المسخرة للدفاع عن الهرم التي تركها كهنة الفراعنة خلفهم، والتي حجبت أثر المخطوطة عن سرايا الشياطين، وصائدي الجوائز عبر القرون، أخفت كل أثر لي عنه، وعن جنوده بعد تلك المواجهة المخزية، ومكنتني من العودة.

أفلتت الكلمات من بين شفتي (وليد) وهو يقول في دهشة:

- لا أظن أنّ الشيطان الأكبر بمثل هذه الغفلة!

فهدر صوت الشيطان الابن بغضب مستعر:

- بل هو أضعف مما تظنون، ويمكن التلاعب به وقهره، وإفساد مخططاته بسهولة.

أجاب (وليد) بلهجة مستنكرة غير واعية:

- لا أظن هذا.

فلّوح الشيطان الابن بيديه على نحو مسرحيّ، وهو يطير

في فضاء عقل (وليد) قائلًا:

- أكمل رحلتك، لتتأكد بنفسك، ولترى انتقامي.

وهنا غشي (وليد) خوف شديد، وهو يتفرس في ملامح الشيطان الابن الذي كان يتحدث معه كأنهما صديقان حميمان، وسأله في توتر:

- ولماذا تطلعني على كل هذه الأحداث الملعونة؟ هل ستستولي على جسدي في النهاية؟

قهقه الشيطان الابن، ثم قال في سخرية:

- إنها فكرة حمقاء ومتأخرة كثيرًا، فأنا بالفعل أسيطر على جسدك، وروحك.

هتف (وليد) في جزع:

- لماذا إذن تفعل كل هذا؟ وما هدفك من ورائه؟

ابتسم الشيطان الابن، وهو يقول في عبث:

- هل تعتقد أن وراء كل شيء حكمة أو هدف؟

هز (وليد) رأسه في توتر، وأجاب:

- هذا هو منطق كل شيء في الحياة.

فقال الشيطان الابن في هدوء:

- ولكنّ قواعد اللعبة تغيرت منذ زمن بعيد.

زاد توتر (وليد) أكثر، وسأله بغير فهم:

- وماذا يعني هذا؟

أجاب الشيطان الابن في غموض:

- إجابات كل أسئلتك في الرحلة، وهناك ستعرف من منا الأكثر دهاءً.

قالها ثم تلاشى في العدم لتظهر الأبواب التي تمثل ذكريات (مازن شهاب) أمامه.

وعندما تألق أحدها نظر نحوه في رهبة، وعندما لم يجد ما يفعله، ركز أفكاره على الباب المعنيّ، لتسحبه الدوامة المظلمة إلى الداخل، ليجد نفسه في فترة زمنية حرجة من زمنه..

فترة الثورة والاضطرابات في القرن الثاني والعشرين.

وتجسد وعيه في قاعة مغلقة، يقف فيها أمام حشد من رجاله، أحد قادة الثوار المشهورين الذين أُعدموا منذ سنوات خلت عبر بث مباشر حظي بتغطية إعلامية واسعة، وهو يصرخ في قوة ظهرت لها عروق وجهه الذي اكتسى بالتصميم:

- لقد فسد كل شيء في عالمنا، وأصبح مرتعًا للقتلة والأفاقين، وعصابات الأعضاء البشرية، وتجار المتعة المحرمة، وكل من يمتهن مهنة تنتهك الأخلاق والفطرة السوية. لا شيء بقي على حاله، وكل ما نشأنا عليه من قيم أصبح بلا قيمة. إن عالمنا يضيع منا بتواطؤ من تلك الأنظمة اللعينة مع لوبي الشركات الحقير، وعلينا ألا نصمت، أو نقف مكتوفي الأيدي، وزبانيتهم يطيحون برجالنا، الواحد تلو الآخر.

إن واجبنا أن نثور ضد فسادهم وغيهم الذي صار كالحبل الغليظ يلتف حول أعناقنا.

لم يعد هؤلاء حكامنا، ولا رجال أمننا، فنحن لم نرَ قبضة الأمن القوية الرادعة إلا ضد الضعفاء، الذين يخرقون النظام بعد أن قتلهم الجوع، والفقر، والعوز، والمرض، وضد المهاجرين غير الشرعيين الذين يخترقون أسوار المدن المعزولة بحثًا عن حياة كريمة..

إنهم لا يروننا إلا فئة مهمشة أقل من الحيوانات، ويتعاملون معنا وكأننا نبت فاسد عليهم اجتثاثه من جذوره..

وحان الوقت لنثبت لهم أننا أفضل منهم، وأن لنا أنيابًا قادرة على استئصال شأفتهم، وأننا قادرون على رد الضربة

بمثلها وأكثر، وأنَّ لحومنا مُرة لا يمكن هضمها، وأن قانون (المحو) الجائر، الذي بات يسلبنا هويتنا وحياتنا وذكرياتنا، لم يعد يخيفنا..

وعلى تلك الجماهير الغافلة أن تستيقظ من غفلتها، وتتوقف عن الاشتراك بالتصويت المباشر على طرق الإعدام الوحشية، فليست الحياة البشرية أداة للمقامرة..

وهنا تذكر (وليد) على الفور، قانون المحو الرهيب، ذلك العقاب المخزي الذي ابتكرته قريحة شياطين النظام، والذي أقره الدستور في تلك الفترة الحرجة الحافلة بالمظاهرات والقلاقل الداخلية، والذي تتم جميع مراحله التقنية عن طريق استخدام أجهزة المحاكي الشهيرة التي لم تتوقف فائدتها عند معايشة الذكريات فقط، بل طوره هؤلاء الشياطين، ليصير أداه مخيفة لتنفيذ أحكام القضاء القاسية، ومن أشهرها عقوبة المحو.

فعندما يقرر القاضي الإلكترونيّ أنك عضوٌ غير نافع للمجتمع، أو يثبت عليك تهمة التمرد أو تكدير الأمن العام، ولا يصل الحكم النهائيّ إلى الإعدام، ينسخ المحاكي ذاكرتك إلى أرشيفه السريّ الخاضع لسيطرة الأمن العام، ثم تُمحى كامل ذكرياتك من عقلك، وُتمنح ذاكرة بديلة أعدها الخبراء، لتصير مجرد ربوت بشريّ لا همَّ له إلا تنفيذ الأوامر.. لا ماضٍ لك ولا

حاضر ولا مستقبل.

وتُوزع حسب مواصفاتك الجسدية ومهاراتك السابقة، لتكون عنصرًا فعالًا في أعمال المناجم غير الآدمية، أو تُوجه كعنصر منتهٍ إلى قطاع التجارب الطبيّة غير المقننة، وهي بديل بطيء للموت، مع بشاعة ما يتعرض له موضع التجارب، أو تخضع للتجنيد الانتقائيّ، ووقتها تُمنح اسم جديد وهوية جديدة، ويمحى كل أثر لك في الحياة، ولا تعلم أسرتك بعدها أي شيء عنك، وفي كثير من الأحيان يدفعونك لحرب رفاقك أو من كنت تثور من أجلهم.

كما سمع بعض الشائعات على أن الصفوة منهم ينضمون إلى فرقة الاغتيالات الخاصة السرية، التي ينفي النظام دائمًا وجودها، وإن تظهر بصماتها في كل عملية تتم ضد المعارضين.

إنه في كل الحالات حكم جائر، فهو لا يمنحك في حال رغبتك في التوبة، أي فرصة لتكفر بها عن أخطائك أو حياتك الماضية؛ لأنها أصبحت هي والعدم سواء.

قطع أفكاره صوت قائد المتمردين الثائر، وهو يقول في حدة:

- وعلينا أن نستغل اشتعال قضية (يونس فهمي)، لننشر

فكرنا ضد فساد النظام، وضد استخدام قانون المحو الفاسد للتحايل على القوانين الأكثر فسادًا، فهذا الوغد أُلقي القبض عليه، وحُوكم بعدة تهم يستوجب كل منها حكمًا مؤكدًا ومغلظًا بالإعدام، وخُفّفت إلى عقوبة المحو.

فقد اعتدى هذا الوحش بوحشية على فتاة بريئة لا ذنب لها، واغتصبها بكل وحشية، وتركها تعاني وتتألم من آثار الحمض الحارق الذي شوه به ملامحها وأعضاءها دون أن يطرف له جفن، أو يمد لها يد المساعدة.

لقد حولها هذا الوغد لبقايا بشرية لا تصلح لشيء، ولولا أن رصدت كاميرات أحد وسائل الإعلام الجريمة، لربما ماتت، وماتت معها قضيتها.

إنها قضية فساد واضحة، وتؤكد أن الأحكام القضائية يتم العبث بها، ولا يقرها القاضي الإلكترونيّ المحايد، بعد فحصه للأدلة والقرائن كما أوهمونا..

وصدقوني، لا قضاء عادل في ظل نظام فاسد..

فمختطف، ومغتصب، ومعتدي مثله، لم يكن بحاجة لقاضي أو محاكمة ليُعدم، وليس أن يخفف عنه الحكم.

وما وصل لعلمي، أنه توجد تحركات سرية مكثفة، وعلى أعلى المستويات تمت من خلف الستار لتخفيف الحكم.

إن النظام الذي لا يشمل قضاء عادل لا بُد من إسقاطه، ولن نترك (يونس فهمي) وأمثاله يفلتون بفعلتهم.

فتلك الفتاة التي تشوهت وانتهكت، وعاشت أشد حالات الألم من الممكن أن تكون أختك أو أمك أو ابنتك.

إن السكوت على الظلم اشتراك في الجريمة، وأول عملية سنقوم بها، هي تنفيذ الحكم العادل ضد هذا السفاح، وبعدها سندعو لثورة شاملة..

تذكر (وليد) القضية على الفور، وكيف أن الرأي العام أحبط من الحكم، وإن لم يبد أي من العامة أو الجماهير أو المشاهير أي اعتراض.

فالاعتراض على أحكام القضاء ولو كان إلكترونيًّا جريمة تستأهل العقاب الرادع.

وبرغم بشاعة الجريمة، لم تحظ حيثيات الحكم من (وليد) بالاهتمام الكافي وقتها، فعلى الأقل حُوكم هذا الثريّ الهمجيّ، وفقد حياته القديمة، فأمثاله كانوا فوق القانون، لا يخضعون لحساب أو محاكمات.

وإن أثارت كواليس وملابسات الجريمة نفسها دهشته وريبته! فلا أحد يدري لماذا قام (يونس فهمي) رجل الأعمال

الشهير، المتدين، صاحب الأعمال الخيرية، وأحد أباطرة السوق العالمية، بهذه الفعلة النكراء دون أن يفكر في عواقبها أو يطرف له جفن؟

كما لم يعرف أحد سبب اختطافه لهذه الفتاة المغمورة بالذات من داخل مجتمعها المغلق، وإحضارها من خلف الأسوار ليقوم بفعلته الشنيعة معها، دون أن يكون بينهما أي تاريخ مشترك، وهو قادر على شراء أي امرأة يريدها!

بل هو قادر على تخليق أنثى كاملة في معامل التخصيب، يتسلمها بعد نموها بهرمون النمو، ومنحها ذاكرة تتماشى مع أهدافه، دون أن يكون لها حقوق أو أي آثار قانونية أو جنائية!

كما أنه كان يمتلك أموالًا ونفوذًا، وجيوشًا من الخدم والتابعين لحل كل مشكلاته، هذا غير القتلة المحترفين، والمنظمات الإجرامية التي تقدم مثل هذه الخدمات، فلماذا لم يلجأ إليهم؟

فهل قام بهذه الجريمة النكراء، وهو يرغب في القبض عليه، والتسبب في هذه الفضيحة الكبرى؟

كان هذا درب غير معقول من الحماقة، بل هو جنون حقيقيّ، وراءه سر عظيم لم يُكشف عنه، وتواطأت الأجهزة

الأمنية التي كُلفت بمتابعة التحقيقات، لإخفائه وطمس الحقائق.

وما يثير دهشته أكثر أن الجريمة تمت أمام إحدى الكاميرات الأمنية لأكبر الصحف التفاعلية، التي كانت واضحة لكل أعمى، حتى أن البعض ظن أنه فعلها عن عمد..

والمراجعة الدقيقة لأجهزة الكاميرات الفائقة، أوضحت أن هناك جزء مُحيَ من ذاكرتها الممتدة، بطريقة احترافية لا تتوفر للعامة، فلماذا لم يُمح التسجيل الرقميّ بالكامل؟

وهو ما لم تجد له الصحافة الرقمية التي تابعت نتائج التحقيقات أي تفسير، لتصبح قضية رأي عام!

وظل الأمر لبعض الوقت تحت دائرة الضوء، حتى فترت حماسة الجماهير، ونسي الجميع كل شيء، برغم بشاعة ما تعرضت له هذه الفتاة، والحكم الجائر.

وعندما بدأ عقل (وليد) يتساءل عن علاقة صاحب الذكريات بعودة الشيطان الابن، و(مازن شهاب)، وجد عقله يظلم ووعيه يتجسد في ذاكرة (يونس فهمي) نفسه..

كان عقل (يونس فهمي) هادئًا ومنظمًا ولا يحتوي على ذكريات كثيرة، ففهم (وليد) بخبرته وذكائه، أنه تجسد في عقله في تلك الفترة التي تلت عملية المحو مباشرة، ولذلك

كان (يونس) يجلس دون حراك على مقعد جانبيّ في مركز التأهيل الأمني، كروبوت من لحم ودم.. لا ذكريات تؤرقه.. ولا مشاعر تستثيره. فقط يجلس منتظرًا الأوامر، لتنفيذ المهمة التالية، وكأنَّ لا شيء يشغله في الوجود غيرها..

شعر (وليد) بالحيرة، فقد تصفح كل ذكرياته دون أن يجد ما يفيد أو يهم بأكثر من حقارة النظام ودمويته..

وعندما راح يضغط على عقله لمغادرة تلك الذكرى غير المهمة، انتفضت كل خلاياه الرمادية من الصدمة، لتنبثق من العدم ذكرى جديدة لم تكن ضمن ذكريات ما بعد المحو، شاهد فيها ذلك الطبيب النحيل الذي غطى وجهه بقناع طبيّ، وهو يتسلل إلى غرفة (يونس فهمي) قبل عدة ساعات من إدخاله للمحاكي لتنفيذ عقوبة المحو، ويحقنه في رأسه بواسطة مسدس حقن حديث بشيء مجهول، جعل عينيه تتألقان في ظفر.

وقبل أن يسأل (وليد) عن ماهية ما حقن به، تدفقت المعلومات إلى عقله دون تأخير، ليعرف أن ما حُقِنَ به هو جهاز دقيق متطور مصنوع من لدائن الكربون المقوى لا يمكن اكتشافها بوسائل الفحص العادية التي سيخضع لها قبل دخوله المحاكي.

وقد كمن الجهاز الدقيق يخفيه غلافه الحيوي المزدوج

بين خلايا مخه، حتى أتت اللحظة المناسبة التي برمج عليها ونبض ثم عملت آلياته التي شُحنت اعتمادًا على الإضاءة القويّة الموجودة في المكان، ليشعر (وليد) أن عقله نفسه ينبض معها، بعد أن تدفقت إليه الذكريات والمعلومات في غزارة.

ليدرك أن الجهاز المزروع في جمجمة (يونس) عبارة عن محاكي نانو متريّ دقيق، نسخها قبل محو ذاكرته بهدوء شديد، واحتفظ بها حتى أتى الوقت المناسب.

وبوسيلة حديثة لم تتح في أسواق التكنولوجيا بعد، أعاد الجهاز المتطور ذاكرته الممسوحة دون أي آثار جانبية، ليشعر (وليد) أنَّ وعيه في مهب ريح عاصف..

ومع تدفق المشاهد والذكريات لعقله، بدأ (يونس فهمي) يستعيد تفاصيل تلك الجريمة الرهيبة التي قام بها بنفسه، وكي يتفادى (وليد) الدوار العقليّ المصاحب لشلال الذكريات، قرر أن يندمج معها، ويراها من وجهة نظر صاحبها، لتحدث له الصدمة.

فعندما عاد (يونس فهمي) بذاكرته لتلك الأحداث القريبة التي قادته لاقتراف هذه الفعلة الشنيعة، تذكر على الفور لقاءه الأخير بسيده (مازن شهاب).

وفي عقله دوى صوت (مازن) العميق القوي، وهو يقول في حميمية وهدوء:

- لا أحد ينكر مقدار ما قدمته للعائلة حتى هذه اللحظة ولا أهميته يا (يونس)، الأب المعظم يثني على أفعالك، ويخبرك أنَّ الوقت قد حان لتقديم طقوس التضحية العظمى.

قالها ثم صمت، وهو يتابع وجه (يونس)، الذي تألقت عيناه بشدة، وهو يقول في قوة:

- السمع والطاعة للأب المعظم.

هز (مازن شهاب) رأسه مستحسنًا الرد ثم أكمل قائلًا:

- ونظرًا لإسهاماتك العديدة في نشر عقيدته، ومكانتك المقدسة ككاهن أكبر في عائلتنا الكبيرة، وأحد أبرز علمائنا الأفذاذ، فقد قرر أن يمنحك الخيار، فإما أن تضحي بابنتك في سريّة تامة، ولك كل الحق في اختيار طريقة موتها، بهدوء أو مصحوبا بالألم، أو أن تضحي بفتاة عذراء أخرى بطريقة علنية، دون أن تعلم بالآثار المترتبة ذلك..

توتر وجه (يونس) للحظة، وهو ينصت لـ(مازن شهاب) الذي تابع بصوته العميق الهادر قائلًا:

- إنه اختبار الولاء والطاعة العظيم.

كان (يونس) يدرك من واقع كونه كبير كهنة الشيطان في جماعته، أن التضحية الكبرى تنقسم إلى ثلاث مراحل، عليه أن يتمها على أكمل وجه، قبل أن يكرم ويحصل على لقب (المبعوث)، ويصير له الحق في معرفة الأسرار الكبرى، التي قد تتيح له لقاء الأب المعظم، كما يطلقون على الشيطان الأكبر..

والمبعوث هي الدرجة الثالثة والثلاثين، والأخيرة في سلم رتب جماعتهم، أي أنه سيكون مرشحًا ليتقلد منصب القائد بعد رحيل سيده (مازن شهاب)، أو في فترات غيابه كنائب عنه يمتلك كل الصلاحيات، وستفتح أمامه أبواب العالمين وأسرارهم، وسيعلم كل ما حجب عنه.

إنه تكريم عظيم بثمن فادح لن يتردد لحظة في دفعه، فقد أقسم على الولاء والطاعة بالدم.

وما يثير رهبته، كونه رأى بعينيه جحيم الأب المعظم وما أعده لأعدائه من صنوف العذاب والتنكيل والعقاب، وظلت تلك المشاهد تؤرق لياليه، وتقض مضجعه، ولم تخفف زيارته لفردوسه من وقع الهول الذي رآه هناك.

وإن لم تمحُ من ذاكرته تلك اللحظة التي وقع فيها بصره على الملائكة المجنحين، وهم يصنعون بداخله الأعاجيب..

لقد طارت روحه إلى هناك ... ماذا كانوا يطلقون على هذه العملية؟ الإسقاط النجميّ ... نعم الإسقاط النجميّ، ولكنه كان نوعًا شديد القوة والتطور، استخدم فيه السحر الأسود، وخلاله غادرت روحه الأرض، بل المجموعة الشمسية كلها وذهبت إلى هناك..

والآن الأب المعظم يثني عليه، وعلى إنجازاته العلميّة والعقائديّة من أجل العائلة، ويرفعه إلى مكانة أعلى، ويهيئه للمسؤوليات الجسام القادمة بالتضحية العظمي، فأي شرف هذا! صحيح أنه لم يكن ليتردد في التضحية بابنته على مذبح الأب، فمصيرها في النهاية الفردوس ونعيمه، ولكن إخلاصه وإنجازاته منحوه أفضلية ومساحة للاختيار المحسوم مقدمًا.

لذا فعليه أن يضحي بفتاة عذراء أخرى علنيًا، ويتحمل تبعات فعلته كما أخبره سيده (مازن)..

إنها مهمة صعبة، واختبار ولاء حاسم، فمعنى أن يقدم الأضحية البشرية علنًا، أنه سيجازف بحياته ومكانته وكل ما يملك، لأنه سيواجه الرأي العام المتربص بأمثاله من الأثرياء، وهو على وشك تحقيق عمل عمره، بالانتهاء من وضع اللمسات النهائية، على جهاز الانتقال الآنيّ التي نجحت نجاحًا ساحقًا كل اختباراته الأولية.

إنَّ حياته تتبدل تبدلًا كاملًا، وبرغم هذه المجازفة، فهو يرى أن الأب الأعظم قد غمره بكرمه، فهو لن يضحي بابنته في النهاية، وعليه أن يثق فقط فيما قدره الشيطان له.

وعلى الرغم مما يمتلكه من ثروات وإمكانات، لكن اختيار فتاة عذراء أمر صعب للغاية، فالفتاة في مجتمع المدن السعيدة بمجرد وصولها سن البلوغ، كانت تسعى جاهدة لممارسة الجنس في هذا الزمن المشوه الذي انهارت فيه كل القيم، وتشوهت المفاهيم ... حيث كان على الفتاة أن تفقد عذريتها، وإلا صارت موضع سخرية من قريناتها اللائي سبقنها إليه.

الشروط كانت واضحة وضوح الشمس، فتاة عذراء، ولدت في يوم مولد ابنته، وفي مستوى جمالها..

وبرغم أن هذه الشروط تبدو بسيطة وسهلة، ولكنها استغرقت منه ومن رجاله شهرًا كاملًا.

وفي النهاية عثر له السماسرة على الفتاة المطلوبة، وأحضروها من خلف الأسوار، بعد أن اخترقوا من أجلها أسوار مجتمعًا مغلقًا معزولًا، ما زال قاطنيه يتسلحون بالأخلاق القديمة، ويمارسون شعائرهم الدينية بعيدًا عن التكنولوجيا المتقدمة، وبعيدًا عن الأفكار التحررية التي يرعاها القانون الصارم..

وباستخدام الذكاء الاصطناعي، اختير مكان الجريمة بعناية ... فهو موقع متطرف على مشارف العاصمة، ومرصود في الآن ذاته من الكاميرات الأمنيّة لإحدى الصحف الشهيرة، وافتُعل حادث مروريّ كبير في الطريق المؤدي إليه، أثر في الملاحة الجوية والبرية، مما سيمنحه الوقت الكافي لإتمام الطقوس المطلوبة قبل أن يصلوا إليه..

وعبر الكاميرات التي اخترقها رجال سيده (مازن شهاب) تابعوه، وهو يخرج الفتاة الخائرة القوى من صندوق السيارة الذي وضعت بداخله، ويعيدها للوعي بعدة صفعات مدوية، ثم يلقي بها أرضًا في خشونة، ويحمل من صندوق سيارته حقيبة معدنية متوسطة الحجم ويضعها بالقرب منها، ويبدأ معها طقوسه الوحشية.

وأمام الكاميرات، وعينيّ (مازن) المنتشي، ظهرت الفتاة التي لم تتجاوز السابعة عشر من عمرها، في أقصى حالات الرعب والصدمة، وهي تحاول ستر جسدها العاري بيديها، وعلى وجهها آثار الصفعات العنيفة التي جعلته ينبض بالدماء، وهي تستجدي ذلك الوحش الآدمي، الذي أخذ ينزع ثيابه كاملة أمامها ورعبها يتضاعف، فراحت تنظر حولها في هلع بحثًا عن مهرب، وهي تشعر بأن قدميها مشلولتين من الصدمة..

وعندما همت بالنهوض، هدر صوته دون أن ينظر إليها:

- عودي لمكانك..

وكأنما صوته هراوة ثقيلة هبطت على رأسها، تراخت عضلاتها وهي ترمقه في فزع وهو يعبث في حقيبته المعدنيّة، وينتزع منها محقنًا بلاستيكيًّا به سائل أصفر رائق.

رمق (يونس) العاري المحقن في انتشاء، وراح يقترب منها ونظراته الشرهة تفضح رغباته، والفتاة المصدومة تتراجع أمامه في رعب، وبشرتها العارية تتقرح من الزحف الخائف على الأرض الإسمنتية القاسية.

ليقترب منها ببطء، وكأنه يتلذذ برؤية فزعها وألمها، قبل أن ينقض عليها، ويقبض على شعرها الناعم بقوة جعلتها تصرخ من الألم.

وبكل همجية دفع إبرة المحقن في وريدها العنقيّ، لينساب داخله السائل الأصفر، متعمدًا أن يؤلمها.

وكما هي العادة، وقبل أن يتساءل (وليد) عن كنه ذلك السائل، تدفقت المعلومات إلى عقله ليصعق من هولها.

فالمحقن كان يحتوي على عقّار تجريبيّ خاص جارٍ تجهيزه في إحدى شركات (يونس فهمي) لصالح وزارة الأمن العام،

ليستخدم في الاستجواب القسريّ ضد المحتجزين، بل ويُطور ليستخدم ضد القائمين بأعمال التمرد أو العنف ضد رجال الأمن.

وهو عقار جهنميّ عند حقنه أو استخدامه في قنابل الغاز، يتسلل إلى الجهاز العصبيّ للضحية، فيعمل على رفع درجة حرارتها في لحظات إلى حد غير مسبوق، ويصيب كل خلايا جسدها بنوع من الصدمة، فتصبح حساسة على نحوٍ مفزع، مما يجعل سقوط قطرة من الماء فوقها كلكمة قوية.

فما بالكم بذلك السوط قصير اليد ذو الزوائد المعدنيّة، الذي أخرجه (يونس) من حقيبته الجهنمية، وراح يهزه في يده عدة مرات قبل أن ينهال به على نحو مفاجئ على وجهها وجسدها العاري، لتتوالى صرخاتها على نحو مفزع ومقبض، وتسيل دموعها لتختلط بدمائها، والسوط يمزق بشرتها ولحمها.

وقبل أن تخور قواها تمامًا، توقف، ثم اعتدى عليها جنسيًّا، بأبشع الطرق، دون أن تمتلك أي قدرة على الاعتراض أو المقاومة..

ولم يكتفِ ذلك الحقير بذلك، بل أخرج من الحقيبة ذاتها قارورة بلاستيكية، هزها أمام الفتاة التي كان يمنعها العقار المروع من فقدان الوعي، ثم راح يسكب ما بداخلها ببطء

وحذر على وجهها، وأعضائها الحساسة في نشوة، متجنبًا أن يطال بشرته العارية رزازها المتطاير.

ليتشنج جسد الفتاة ويحتقن وجها، وتهزم وهنها، وهي تطلق صرخات متألمة مفزعة، والحمض القوي يحرق حاجبيها، ويفجر عينها اليسرى، ويذيب بشرتها، ويطمس ملامحها، ويشوه أعضاءها المكشوفة في لحظات، لتتصاعد عنه رائحة احتراق كريهة، عبقت المكان كله.

لقد عانت الفتاة على يديه آلامًا مروعة، لم يكن ليتحملها بشريّ، دون أن تحظى بالموت أو الراحة، بعد أن حرمها منها ذلك العقار الجهنميّ الذي لم يسمح لها بفقدان الوعي.

وعندما انتهى من جريمته الشنيعة، تنفس الصعداء، وابتسم..

لقد تم الأمر بسلاسة، ودون مقاطعة، وأثبت ولاءه، وقدم القربان لسيده المعظم..

وبكل هدوء، عاد لحقيبته، وأخرج منها محقنًا فارغًا، واستنزف بعض دماء الفتاة من جسدها المرتجف، وأفرغه في كأس ذهبيّ خاص، ثم مد إصبعه بداخله، ورسم بدمائها على بطنها رمزه المميز، وهو يتضرع في حرقة:

- بارك لي أيها الرب الأب في قرباني.. بارك لي وامنحني

رضاك عني وعن ذريتي وامنحني القوة.

وهنا تألق الكأس للحظة وتوهج في يده، فارتشف ما بداخله من دماء في تلذذ، وعيناه تتقدان بنيران حقيقية، وهو يرمق الكاميرات التي ترصده منتشيًا..

وكانت هذه هي صلاته الأخيرة للشيطان، قبل أن يحيط به رجال أمن الصحيفة، ومن بعدهم رجال الأمن العام الذين نبههم الحاسوب الأمني التفاعلي إلى الجريمة الوحشيّة التي تتم تحت سمعهم وبصرهم، دون أن يتمكنوا من منعها.

ولا أحد يعرف كيف، ولا متى مُحِيَ ذلك الجزء الأخير من الكاميرات، ولكنه تم..

والآن بعد أن عادت له ذاكرته، عليه أن يقوم بالجزء التالي من التضحية العظمى..

وبكل هدوء مس ذلك الوشم البارز الذي كلل معصمه الذي كان يمثل (٦٦٦) علامة الوحش، ثم حمل سلاحه الرسميّ الذي حصل عليه بعد أن ضُمَّ إلى فريق الاغتيالات بعد محو ذاكرته، وخرج من المكان دون أن يدري به أحد، ومن أعماقه أدرك الشيء الذي سعى له منذ انضمامه إلى العائلة: أنَّ الشيطان الأكبر يبارك خطواته.

لقد قدم له قربان الألم، وعليه الآن أن يقدم قربان الدم.

فزع (وليد) عندما اتضحت أمامه عينيه الصورة الشاملة، وحقيقة (يونس فهمي) المخيفة، وكونه أقرب أعوان السفاح (مازن شهاب)، وأنهما معًا يعبدان الشيطان الأكبر، وأنهما على رأس منظمة سريّة خطيرة، تشبه الماسونية، ويطلقون عليها (العائلة)، وأنَّ (مازن) على اتصال مباشر بالشيطان الأكبر، ويسعى (يونس فهمي) لينال هذه الفرصة والمكانة، ولذلك سيقوم بالتضحية الكبرى التي تشمل قربان الألم والدم، وشيء آخر لم تفصح عنه الذكريات بعد.

وكان هذا يعني أن الشيطان الأكبر لم يكتف هو ورجاله بالوسوسة، بل بدأ بالفعل في العمل على الأرض..

إن الأمر مخيف ومرعب، و ...

وهنا بدأ عقل (وليد) يظلم تدريجيًا.

ومع الظلام الدامس الذي أحاط بكيانه، ظن أن عقله قد انهار أخيرًا، وأن روحه تغادره ببطء.

وأن هذه هي نهاية رحلته.

(٤)

الضوء الذي يراه في نهاية النفق خافت! فهل بدأت روحه رحلتها النهائية إلى العالم الآخر بالفعل؟ على الأقل لو حدث هذا، فقد أفلت من جحيم الشياطين العقلي، وصار حرًا أخيرًا..

ولكن لماذا الضوء خافت؟

إنه واعٍ، ولا يزعجه غير خفوت الضوء، فهل الروح بعد أن تُقبض تمتلك وعيها الخاص؟

وهل هذا هو الموت حقا؟

تمناه من أعماقه بشدة، وخابت كل ظنونه حين فتح عينيه، ووجد أن الضوء الذي رآه كان ضوء المصباح المدمج في سقف غرفة نومه، وبجواره وجد الروبوت المتطور يقف وقفته المعتادة بانتظار الأوامر، في حين كان يتصل بذراعه الأيسر محقنًا ينتهي بكيس بلاستيكيّ معلق على حامل، يمده بالسوائل المغذية..

تنفس في عمق وعقله يحاول أن يستوعب ما يراه، فغمر رئتاه هواء التكييف البارد المنعش، فشهق وفاضت عيناه بالدموع، فما زالت رائحة الحمض الرهيبة التي أحرقت وجه الفتاة وأعضاءها الحساسة تعبق روحه.

كم أشفق على تلك الفراشة الجميلة التي هتكوا براءتها، ومزقوا جسدها وشوهوه على مرأى ومسمع من الملايين، ليقدموها قربانًا للشيطان.

وذكرته معاناتها بمحبوبته التي لم تكبرها إلا بعام واحد فقط، وكيف أحرقها القوادين بقاذفات اللهب، ومعها أحرقوا قلبه، وأحلامه، وطفلهما الذي تمنيا أن ينجباه.

اجتاحه غضب عاتٍ وهو يفكر في شعور عائلتها الذين رأوها على كل قنوات البث المرئية، وذلك الوحش الآدمي ينكل بها، وكيف ستكمل حياتها بمثل هذا الجسد المشوه؟

إن القتل الرحيم سيكون بالنسبة لها أكثر إنسانية من أي تعويض آخر.

إنها لن تكون أول ضحايا هذا الصراع الأزليّ، ولن تكون آخرهم..

هو نفسه ضحية لهؤلاء الطغاة..

زفر في ضيق، وهو يتأمل الساعة الرقميّة التي تشير إلى السابعة مساءً، ثم شهق عندما وقع بصره على تاريخ اليوم الذي يخبره بأنه أمضى داخل غيبوبته شهرين كاملين، وهو أمر صادم، ولا يعرف تداعياته.

لقد فقد إحساسه بالزمن، منذ بدأ هذه الرحلة العقلية المشؤومة، ونسي ارتباط حياته بعقارب الساعة، وكيف كان عمره يستنزف في مصنع اللحوم المصنعة!

على كل حال هو هنا الآن، وبينه وبين حياته القديمة، أكوام من العملات الرقمية..

لقد نجا من الفقر والحاجة، فهل ينجو من ألاعيب عقله؟ وهل سيجد في يوم ما وسيلة تنهي معاناته؟ فلا يدري حتى هذه اللحظة ما الذي أسقطه في الغيبوبة وما الذي أفاقه منها!

وعندما وقع بصره مره أخرى على وجه الروبوت الجامد، تسربت الحقيقة إلى عقله كهمس الريح؛ إنه لا يزال على قيد الحياة بسبب هذا الروبوت الرائع، الذي اعتنى به في غيبوبته، ولولاه لربما كان الآن جثة هامدة متعفنة لا يدري عنها أحد شيء، بعد أن نفض الجميع أيديهم عنه، وتلاشت من حوله الأضواء.

حاول النهوض من مكانه، فشعر أن المحقن يحد من حركته، فأمر الروبوت أن ينزعه من ذراعه، وبعقل شارد راح يتابع ما يفعله الروبوت، وكل ما حوله يشعره بالمرض.

وهو يمقت هذا الشعور، فالمرض في حياته السابقة كان

هم مقيم، فهو يمنعه من العمل، ويثقل كاهله بالتفكير في الوسيلة التي يمكن أن يحصل بها على الدواء شديد الندرة.

والمرض الآن يعني أنه يفقد عقله!

فهل أنهت يقظته الحالية معاناته واستطاع عقله أخيرًا أن يصل إلى بر أمان، أم أنها مجرد يقظة مؤقتة، وسيجبر مجددًا على الاستمرار في خوض تلك التجربة الشيطانية اللعينة؟

أيُّ إنسان عاقلٍ في موقفه المعقد هذا سيستغل هذه الفرصة الذهبية ويذهب إلى أقرب طبيب أو معالج، ويطلب منه محو تلك الذكريات الدخيلة، فهل هذا ما يرغبه حقًا؟

لم يهتدِ زورق أفكاره إلى إجابة شافية، فجنح صوب شاطئ الجمود، ولكنه لم يستمر على حالته هذه طويلًا؛ ففجأة انتبه إلى أمر هام، بل شديد الأهمية! إنه في كامل وعيه ويقظته، وما مر به من أهوال، كان مجرد استعادة لذكريات شخص ميت، لم يعد له وجود، بعد أن أُعدم بالكرسي الكهربائي، ولم يكن يومًا مصدر تهديد مباشر له.

إن لديه بالفعل حياة عليه أن ينشط ليرى كيف سارت بعد وقوعه في هذه الغيبوبة الطويلة، وماذا أنفق الروبوت في غيبوبته ليحافظ على حياته، وكم تبقى من ثروته التي

لم يتمتع بها بعد، وهل كان حسن تصرف منه أن منحه كل الأذونات الرقمية ليباشر كل شئون حياته!

وفجأة تلاشت كل مخاوفه القديمة أمام خوفه الجديد من أن يكون قد فقد ثروته وعاد معدمًا، وسيتوجب عليه العودة إلى العمل في مصنع اللحوم المصنعة؛ فلا بد وأن الروبوت قد أنفق الكثير على علاجه في أثناء غيبوبته، والدواء في عصره يفوق الذهب في سعره.

ولذلك وبكل قلق طلب من الروبوت الصامت تقريرًا مختصرًا عن حالته المادية، فجاءه الصوت المعدنيّ بمفاجأة خرافية.

فمضاربات الروبوت متعدد المهام في الأسهم الرقمية ضاعفت ثروته عشر مرات، كما أنه أصبح يمتلك حوامة حديثة ذاتية القيادة، ولديه حصة معقولة في أحد بنوك الطعام.

وهذا يعني أن الروبوت العظيم جعل قائمة أحلامه من أولوياته، وراح يجتهد لتحقيقها حتى وهو غائب عن الوعي، وأنَّ حياته الواقعية تصير أفضل على نحوٍ لم يحلم به أو يتمناه، ومن واجبه أن يحافظ على مسارها هذا.

فهل يستطيع الروبوت مساعدته لتخطي محنته العقلية؟

ولذلك، اعتدل في جلسته، وتناول من جواره قنينة ماء ارتشف منها بضع رشفات، ثم قص على الروبوت كل ما مر به من أهوال وصراعات عقليه، وما خاضه من جنون.

ليخبره الروبوت في حيادية تامة أن الهلاوس والضلالات عرض متوقع لما حدث في المحاكي، والذكريات التي اندمجت مع ذكرياته قد تختفي مع الوقت، لأن العقل الواعي يرفضها، وسيظل يعاملها كطرف دخيل حتى يلفظها تمامًا، وأنها فقط مسألة وقت فحسب..

والوقت هو ما يخيفه!

فإلى أي مدى قد يتحمل عقله كل هذا الضغط العصبيّ المروع قبل أن ينهار ويتلف؟

وعندما سأله عن رصد المراجع الطبية لحالات سابقة مسجلة في التاريخ الطبيّ تشبه ما يعانيه، أخبره بوجود حالات طبيعية، لأشخاص امتلكوا بجوار ذكرياتهم، ذكريات أشخاص آخرين، ظنوا أنهم هم في حياتهم السابقة، وأطلقوا عليها اسم (تناسخ الأرواح)، واستطاع هؤلاء الأشخاص مع الوقت التعامل معها، وتحيدها من عقولهم، وأكملوا حياتهم على نحوٍ طبيعيّ ...

وعندما سأله عن مقدار التحسن، وموعد عودته لحياته

الطبيعية كما حدث مع هؤلاء الأشخاص، أخبره أن ما يعانيه هو نتيجة مباشرة لخلل تكنولوجي، ويحتاج إلى تعامل مختلف، وأنه منذ وقوعه في الغيبوبة ظل يرسل تقارير دورية عن حالته إلى مراكز بحوث خاصة، تعمل بجد للعثور على علاج فعال وحاسم، وأن العقار النفسي الأخير الذي أرسله إليه آخر مراكز الأبحاث التي تباشر حالته، وحقنه به، هو ما ساعده على استقرار حالته وإيقاظه من غيبوبته..

وهنا شعر (وليد) بحماسة شديدة بعد جلاء الغموض من أمام عينيه، وعلم أنه يوجد علاج فعال لحالته في النهاية، وأنه يستطيع بدء الرحلة وإنهاءها وقتما يشاء بمساعدة ذلك الروبوت العظيم ... وهذا يعني أنه من أعماقه يرغب في إتمامهما..

والحقيقة أنه كان فضوليًا على نحوٍ مرعب، ففي عقله خزانة أسرار كونية قلما حظي إنسان بإمكانية الاطلاع عليها، وهو ليس أحمق كي لا يكشف محتوياتها جميعًا، فربما قاده أحد أسرارها ليبدل مصيره، وربما مصير عالمه كله..

وبرغم فضوله وحماسه الهائلين، فقد قرر أن يرجئ الأمر قليلًا، فهو جائع، وبحاجة إلى الطعام، كما أنه يرغب في اكتشاف ذلك العالم الجديد الذي أصبح ينتمي إليه، والذي لم يرَ منه إلا القشور، ودفع مقابله ثلاثة من أطرافه، ووجهه

القديم.

إنها تلك الرغبة الملحة في أن يجرب كونه إنسانا مرئيًّا، لا مجرد رقم في مصنع اللحوم المصنعة..

يحتاج أن يحظى ببعض الاحترام، وأن ينفق لمرة واحدة ببذخ دون أن يفكر في مقدار العمل الذي سيؤديه في المقابل..

يحتاج أن يشعر بكونه على قيد الحياة..

لذا فإنه قرر أن يحظى بدشٍ دافئ، ويتناول وجبة دسمة، وبعدها سيقرر ماذا سيفعل.

ساعده الروبوت لينهض من فراشه، وبعد عدة خطوات اكتشف أنه ليس بحاجة إلى المساعدة، فعضلاته ومفاصله استجابت له على نحو جيد، وهي خير دليل على أن الروبوت لم يهمل تدليكها، والعناية بها في أثناء غيبوبته، ولهذا السبب أيضًا لم يصب بقرحة الفراش..

وبكل امتنان طلب من الروبوت أن يكف عن مساعدته، وأن يطلب له طعام من أفضل مطاعم المدينة، وأملاه قائمة طويلة بما يرغب، حفظها الروبوت في عقله الإلكترونيّ، ثم استخدم أحد تطبيقات المطاعم الشهيرة ليرسل إليهم القائمة.

في حين دلف (وليد) إلى الحمام الخاص به، تلك الرفاهية التي لم تكن متوفرة، مع الحمامات الجماعية التي كان يشاركه فيها كل عمال المصنع، والتي لم توفر له أي نوع من الخصوصية، ثم نزع ثيابه ووقف تحت الدش.

ومع انهمار الماء المعطر على رأسه، بدأ يشعر بأنه إنسان آخر، وكأن الماء المنهمر قد غسل كل مخاوفه واضطرابه..

ولنصف ساعة كاملة ظل تحت الماء المنعش، حتى بدأ جلده يتجعد، فارتدى معطفًا قطنيًا أنيقًا كان معلقًا بجوار المغطس، وقرر أن يحلق شعر ذقنه الذي استطال إلى حد غير مسبوق، وذكره بشكله قبل العمل في مصنع اللحوم، حيث الحفاظ على الشكل والمظهر آخر ما يهتم به المرء في المناطق التي تحيا تحت خط الفقر.

وللحظة غمره حزن شديد، فلا هو يحيا حياة طبيعية كما كان في الماضي، ولا هو يتمتع بما غنمه في الحاضر.

ومن المؤسف أنه يخوض كل هذا وحده.

ولكنه لم يجعل مشاعره السلبية هذه تفسد سعادته بالنجاة.

واتجه من فوره صوب المائدة العامرة بأصناف الطعام، والفاكهة، والمشروبات المختلفة، وتركز بصره على كومة

اللحم المشويّ التي وضعها الروبوت في منتصف المائدة، والتي ولا بد أنها كلفته ثروة، فكل أنواع الحيوانات قد شارفت على الانقراض، وما يذبح منها يباع بأسعار فلكية، والبديل لها اللحوم المصنعة الكريهة.

وعلى كل حال هي تضحية لمرة واحدة، فهو لم يستسغ طعم لحم الفئران الذي شاع بيعه في منطقته، وهذا اللحم زكي الرائحة لا بد وأنه يختلف عنه كثيرا..

ومن أعماقه تمنى لو أن الروبوت كان قادرًا على مشاركته هذه الوليمة الكافية لإطعام أسرة كبيرة ليوم كامل ويفيض.

رائحة الطعام الشهيّ داعبت أنفه، وأثارت شهيته، فنفض كل أفكاره، وراح يتناول الطعام بنهم شديد..

وبعد أن انتهى منه، لم يشعر بأي كسل كالمعتاد، بل أحس بطاقته تتجدد، وبأنه أفضل حالًا وأكثر نشاطًا، فقرر أن يخرج ليرى العالم الذي لم يره من قبل..

وهنا وجد أنه بحاجة إلى ثيابٍ جديدة بعد أن نحل جسده الذي كان يحيا على المحاليل الطبية والفيتامينات والمكملات الغذائية التي كان يحقنه بها الروبوت طوال الشهرين الماضيين، والذي حَوَّل غرفة نومه إلى ما يشبه غرفة عناية مركزة مصغرة.

وعندما طلبها منه، أشار الروبوت إلى طابعة ليزرية متوسطة الحجم احتلت أحد أركان غرفة الملابس..

وعلى الفور فهم ما يريده منه الروبوت، فوقف أمامها منتصبًا، ونفذ التعليمات التي تراصت على شاشتها التفاعلية، حتى انتهت من رفع مقاساته الجديدة بتقنية الليزر المتطورة، وصنعت له حلة فاخرة، وحذاءً جلديًا لامعًا..

وعندما ارتدى ثيابه، ووقف أمام المرآة، شعر أن كل شيء رائع.. فقط ما أثار ضيقه هو وجهه الجديد الذي لم يعتده بعد..

وعندما انتهى من تصفيف شعره، الذي استطال على نحو لم يتمكن من الوصول إليه قط، بعد أن كانت حلاقة الشعر الصلعاء قانونًا أساسيًا وصارمًا في مقر عمله، كأحد شروط الأمن الصحي للعاملين.

وبعدها سأل الروبوت عن مدة فاعلية العقار الجديد، فأخبره أنها اثنا عشر ساعة، أمامه منها عشر ساعات فقط قبل أن يحتاج إلى الحقن بالجرعة التالية، وكانت فترة أكثر من كافية ليبدأ بجولة متأنية في المدينة التي كانت محرمة على (وليد) القديم.

وقبل أن يغادر شقته منحه الروبوت سوارًا إلكترونيًا أنيقًا

ارتداه على معصمه الأيسر ليكون على تواصل دائمٍ معه، وينقل إليه مؤشراته الحيوية، وفي الوقت نفسه يستطيع من خلاله أن يدفع لقاء أي عملية مالية يرغب في إتمامها..

وكم شعر (وليد) نحو الروبوت بامتنان شديد؛ فهو لم يكن لديه أصدقاء في وضعه الحالي، واتخذه صديقه الوحيد الذي أخذ على عاتقه أن يعتني بكل شؤونه دون انتظار مقابل.

فها هي الحياة تبتسم له من بعد كدر طويل، وعليه أن يستغل الفرصة أفضل استغلال، فلا يعرف متى سيكون قادرًا على القيام برحلة أخرى مماثلة.

كانت حوامته ذاتية القيادة تنتظره فوق سطح البناية في المهبط المخصص للحوامات الذي صعد إليه بالمصعد السريع.

وعندما استوى على مقعده المريح وأغلق بابها، عمل جهاز تكييف الهواء، وصدر منها صوت أنثويّ هادئ ليسأله عن وجهته..

لم يكن يدري إلى أين يذهب، فوجهته الدائمة كانت مصنع اللحوم، وعنابر النوم، والمحاكي، ومراكز التأهيل قبل سقوطه في الغيبوبة.

لذا راح يتأمل المدينة المتلألئة كنجمة وسط ظلام الليل،

عبر نوافذ الحوامة المصنوعة من زجاج مضاد للأشعة الفوق بنفسجية، وتذكر ظلام مدينته القديمة خلف الأسوار، فانقبض قلبه.

وكي لا تستمر حيرته، رفع السوار إلى فمه وقال:

- أيها الروبوت..

ثم توقف، عندما أحس أنها معاملة سيئة منه لصديقه الوحيد أن يحدثه بلفظ الروبوت، وعاد ليسأله عبر السوار قائلًا:

- هل منحتك الشركة المصنعة اسمًا؟

أجاب الروبوت بصوته البارد الخالي من المشاعر:

- بل أحمل رقمًا مسلسلًا، ولكن خدمة التسمية متاحة، ولدي قائمة قد تروق لك، و ...

قاطعه (وليد) قائلًا:

- لا داعي لها فلدي الاسم المناسب لك.

علّق الروبوت على الفور:

- أخبرني به لأضيفه إلى سجلاتي.

فقال (وليد) بتوتر:

- (فارس)، سيكون اسمك (فارس) على اسم طفلي الذي لم أحظ به.. مرت لحظات، ثم سمع الروبوت يقول في آلية:

- أُضيف الاسم إلى السجلات، هل من خدمات أخرى؟

شعر (وليد) بالتوتر، وهو يسأله في اهتمام:

- حسنًا يا (فارس)، أرغب في أفضل مكان يقدم الخدمات الترفيهية في المدينة.

أجابه الروبوت على الفور:

- لن تجد أفضل من مدينة الترفيه التي يطلق عليها (عالم المتعة) فهناك كما يقول دليلهم الدعائيّ على متعة بلا حدود..

وهنا هتف (وليد) في حماس شديد:

- نعم يا (فارس) هذه ما أطمح إليه ... متعة بلا حدود.

ثم سأله في لهفة:

- هل لديك برنامجهم الترفيهيّ؟

أجابه الروبوت بسرعة:

- سيظهر لك حالًا على شاشة الحوامة التفاعلية.

أصيب (وليد) بالدوار من تنوع المحتوى الترفيهيّ الذي غصت بها قائمتهم، فهناك منصات الرقص والغناء

الفردية والجماعية، وسباقات الصيد المتنوعة، وبرامج الواقع، والمتاهة، والمقامرة بالوحدات الرقمية، والدعارة الإلكترونيّة، والدعارة المرخصة العادية والمثلية، وسباقات الخيل والهجن، والملاهي المائية..

هذا بالإضافة إلى المطاعم المتنوعة التي تقدم جميع أنواع المشروبات، والأطعمة الصينية، والروسية، والفرنسية، والإيطالية، والمصرية، واليمنية، وغيرها.

ولكن أكثر ما جذبه أقسام الخدمات المميزة: خدمة الطالع وقراءة المستقبل، والوساطة الروحية، والتواصل المباشر مع النجوم، والمقامرة المميتة.

وتوقفت عيناه عند خدمة الوساطة الروحية والطالع وقراءة المستقبل.

ودهش لوجود مثل هذا النوع من الترفيه..

ولا يعرف ما الذي جذبه إليه، وإن انصب كل تركيزه على هذا الخيار، الذي لم يره سوى طوق نجاة خرج له من قلب واقعه.

فهو قد رأى في فترة صباه نبوءات كثيرة للغجر تتحقق، وأدرك أن البعض منهم لديه هبة معرفة المستقبل أو لمحات منه، وهو يرغب بشدة في أي بارقة أمل تخبره أن حياته

ستعود يومًا إلى مسارها الطبيعيّ، وستفارق رأسه همسات الشياطين.

فالغجر ما يزالون متواجدين على هامش مجتمعات القرن الثاني والعشرين، وبطرقهم الخاصة يرتحلون بين المدن (السعيدة) والمدن القديمة المعزولة خلف الأسوار.

ولم يتغيروا رغم مرور الزمن، فقط تطبعوا بصفات العصر القاسيّ، وصاروا أكثر فظاظة، كما لم يفقدوا بعد ميراثهم من العرافة وقراءة الطالع..

لقد صار الآن أكثر حماسًا لزيارة (عالم المتعة)؛ فهناك قد يطلع على بضع لمحات من مستقبله.

لذا حدد وجهته، وبلا تأخير أقلعت الحوامة ذاتية القيادة نحو مدينة الترفيه، وهو يشعر من أعماقه بالتوتر، فهي المرة الأولى التي يشعر فيها بأنه منهم..

من السادة..

وعبر النوافذ الشفافة راح يتابع كل شيء حوله في انبهار تام، المباني الشاهقة ذات الأسطح العاكسة، الطرقات الممهدة، الجسور العملاقة، منصات هبوط وإقلاع الحوامات، النباتات الموزعة على نحو عموديّ على جوانب البنايات التي يتمدد بعضها فوق أسطحها في أشكال هندسية مبهجة،

والإعلانات المجسمة التي تخطف الأبصار، ونافورة الماء العملاقة التي تتوسط الميدان الكبير، والبحيرة الصناعية التي يجرون فيها في هذه اللحظة أحد سباقات القوارب ذات الوسائد الهوائية، التي كانت تصنع خلفها موجات من الزبد في شكل مبهج..

الحياة كما لم يتخيل وجودها من قبل..

هبطت الحوامة بنعومة فوق مهبط مدينة الترفيه العملاق المكتظ بالسيارات ذات الدفع النفاث، والحوامات ذاتية القيادة التي يتعدى ثمن بعضها كل ثروته التي تضاعفت مؤخرًا، دالة على ثراء أصحابها الفاحش.

ذكره هذا المشهد بحياته البائسة خلف الأسوار، ونبهه إلى أنه برغم ما يمتلكه من ثروة ما يزال لا شيء في نظر البعض، وهذا ما سيعمل على إنهائه بكل طاقته، حين يتجاوز محنته الحالية..

ترجل من الحوامة، وهذه الذكريات تستحوذ على جزء كبير من تفكيره، ليجد باستقباله أحد الخدم ينحني له في تبجيل واحترام، مما جعل ثقته في نفسه تعود، ويتصاعد حماسه للتجربة التي طالما تاق للقيام بها، فما يزال يمتلك من الوقت الكثير، قبل أن يعود عقله لاضطرابه.

قاده الخادم إلى مصعد شديد الفخامة، وقال بكل احترام:

- سيدي هل ستذهب إلى مكان محدد، أم ترغب في جولة تفقدية سريعة عبر المحاكي قبل أن تختار وجهتك؟

أثار ذكره للمحاكي توتر (وليد)، وحرك بعض مخاوفه الداخلية، فحاول تقمص شخصية أحد السادة وهو يقول في هدوء:

- لا داعي للمحاكي، فأنا أعرف وجهتي جيدًا.. كما أنني لست بحاجة إلى خدماتك.

انحنى له الخادم، وانصرف ليبحث عن سيد جديد يكون بحاجة إلى خدماته.

وفور أن عبر البوابة الإلكترونيّة العملاقة، دوت عبر السوار نغمة تنبيه تشير إلى طلب حسم مبلغ تذكرة الدخول، فأكد الأمر، ليُحسم المبلغ على الفور.

وعندما عبر البوابة الأمنية الأنيقة، وأضاءت جوانبها باللون الأخضر الباهت؛ كدليل دامغ على كونه مواطن لا غبار عليه، انتابته الحيرة، وندم على صرف الخادم بهذه السرعة، فالمدينة هائلة الحجم، ولا يعرف مكان وجهته في أقسامها المتشعبة..

تلفت حوله وهو يشعر بالتوتر، وعندما وقع بصره على الملصق الإلكترونيّ الكبير الذي يدعوه لتحميل خريطة المكان التفاعلية، ابتسم ابتسامة سريعة، فقد كانت لفتة عبقرية من مصممي المكان.

وعندما مرر السوار على الكود الإلكترونيّ، سطعت أمامه الخريطة التفاعلية المجسمة، فقال في لهفة:

- مجمع الخدمات المميزة، قسم الوساطة الروحية، وقراءة الطالع والمستقبل.

وعبر الخريطة التفاعلية شديدة الدقة، وصل إلى وجهته خلال عشر دقائق أو يزيد قليلًا بواسطة الممرات المعدنيّة المتحركة التي اختصرت الكثير من الوقت، والتي عبر من خلالها منطقة المطاعم المكتظة بالزائرين، ومنطقة الدعارة التي رأى خلالها بعض الفتيات العاريات المعروضات بداخل صناديق زجاجية، اللائي استقدمن بالطبع من خلف الأسوار، ثم قادته الممرات إلى منطقة الجليد الصناعيّ، وشغف بالمتزلجين الذين كانوا يؤدون الكثير من الحركات البهلوانية، وفي النهاية، وصل إلى مجمع الخدمات المميزة.

وما أن عبر بوابة المجمع الإلكترونيّة، حتى دوت نغمة التنبيه فأكد على حسم مبلغ تذكرة الدخول، وما أثار ضيقه كون العشرات من الزائرين يملئون المكان، ومعظمهم يقفون

أمام الوسيط الروحي الإلكترونيّ.

ولم يكن هذا هدفه، فهو يبحث عن وسيط روحانيّ حقيقي يستطيع أن يقرأ له الطالع، لا مجرد عقل إلكترونيّ مبرمج، يراجع معلومات العميل المحفوظة في ذاكرته، ويمنحه ما يرغب في سماعه، بواسطة برنامجه الفائق شديد الذكاء.

وفي أثناء جولته في القاعة وقع بصره على خيمة قماشية من ذلك الطراز المميز بألوانه العديدة التي يفضلها الغجر، والتي تبدو شاذة على نحو صارخ وسط مظاهر التكنولوجيا التي تميز كل شيء بداخل المجمع، وشعر بانجذاب شديد نحوها..

وعندما دخلها دوت نغمة خصم ثمن تذكرة الدخول، فأكد موافقته عليها على نحو سريع، وهو يتأمل المشهد المبهر لتلك الغجرية الفاتنة الجالسة على حشية قماشية بداخل الخيمة، وتطلق حولها بخور زكي الرائحة، وأمامها صحفة معدنية لامعة ممتلئة بالرمال، وفوقها بعض الأصداف أو الودع البحري كما يطلق عليها..

جو ساحر موحي، أخذ بلبه، فجلس كالمسحور، أمام تلك الغجرية ذات العينين الناعستين اللتين أظهرهما الكحل، وراحت ترمقه دون أن تطرف عيناها، وعلى وجهها إمارات دهشة ممزوجة بالرهبة..

شيء فيه أثار توترها، وجعلها تتحفز، ليتسرب قلق عاصف إلى روحه، فالغجر ماهرون حقًا في قراءة الملامح، ولغة الجسد، ونظراتها له كانت تقول الكثير.

وبوجه متجهم، ودون حديث أشارت إلى الأصداف الموضوعة أمامه فوق الرمال، فجمع بعضها بين يديه، ثم قربها من فمه، وأخبر الأصداف بما يريد، وعاد وألقاها فوق الرمال، فتفحصتها الغجرية لبعض الوقت، فتقلصت ملامحها، وظهر على وجهها ملامح فزع شديد، وهي تقول بصوت متوتر، وقد شرد بصرها في عالم آخر:

- ظلام حالك يحيط بك أيها الغريب، تخوض وستخوض في بحار مهلكة، وجهك ليس وجهك، وحياتك ليست حياتك، مستقبلك مظلم، ومستقبلنا بوجودك أكثر ظلامًا، مصيرك لم يعد بيديك، وذلك الذي لا اسم له سيراق على يديه أنهار من الدماء.

صدم حديثها (وليد) وعندما هم بمقاطعتها أكملت بالشرود نفسه:

- الموت بين يديك يسير، وأنت له أسير، ومن الأهوال ستلقى الكثير، لقد وصمك من لا اسم له، ولا خلاص إلا في العودة، موتك ونجاتك في أعماقك فأتبع العلامات، ووقتها

فقط قد ينجو العالم وتنجو..

كان وقع حديثها على (وليد) صادم على نحو مرعب، فبرغم أنها تتحدث بالألغاز، ودون ذكر أي تفاصيل، لكن لكل جملة قالتها تفسير عنده، عدا كلماتها الأخيرة..

فهل هي تدفعه بطريقة خبيثة للعودة، أم أنها تنصحه بها؟

قرر أن يستفسر منها عما قالته، ولكنه وجدها تنظر نحوه بنظرة زجاجية فارغة ... لوح بيديه أمام وجهها، ثم ناداها فلم تجب ... وضع إصبعه أسفل أنفها، فلم يشعر بحرارة أنفاسها، وأدرك أنه لم تعد في عالمنا، وأن روحها غادرتها..

لقد صار لعنة حقيقية على كل من يطلب منه المساعدة..

وهذا لا يبشر بخير أبدًا.

كان خائفًا وحائرًا ومصدومًا على نحو كبير، ولم يجد أمامه أي سبيل، إلا أن يغادر الخيمة كأي نذل يهرب من عواقب آثامه، بخطوات سريعة متعثرة، وكأنه قام بجرم حقيقيّ، إلى حد أنه أجفل عندما صك الصوت المعدنيّ أذنيه وهو يقول برقة:

- سعدنا بزيارتك في مجمع الخدمات المميزة، ونتمنى أن تكون أنت أيضًا سعدت بزيارتنا.

أفزعه الصوت المعدنيّ المفاجئ، فاندفع بسرعة وسط الجموع السائرة عبر الممرات، وكأن شياطين العالم تطارده، وكاد يصطدم بصبي لم يتجاوز الثالثة عشر من عمره، يمتطي لوحًا هوائيًا يطفو فوق أرض الممر بقدم كامل أو يزيد، ويتحرك به في رعونة، لولا أن تفاداه في اللحظة الأخيرة، وهو يسب ويعلن..

لقد أمست مدينة المتعة بالنسبة له هي مدينة التعاسة والموت، ولم يعد يطيق البقاء فيها أكثر، وقرر أن يغادرها على الفور..

وعندما هم بالاستعانة بالخريطة التفاعلية لأنه نسي طريق الخروج منها، مع انشغاله عند الدخول بمتابعة ما يعرض عبر أقسامها المختلفة، دوت نغمة محدودة تختلف عن نغمة حسم ثمن التذاكر، تبعها صوت أنثوي جاف يقول بلهجة معدنية باردة:

- نعتذر لك عن سوء الخدمة في مجمع الوساطة الروحية، وسنعيد لك أجر الوساطة مضاعفًا، ويسعدنا أن نستقبلك في مجمعنا مجانًا لمدة شهر كامل للتمتع بكافة خدماتنا.

جز على أسنانه، فهؤلاء الحقراء يجدون أن الحدث المؤسف هو ما أصابه من جزع لا موت المرأة الغجرية ... ولأول مرة منذ وقت طويل، يشعر بالتعاطف، وتتحرك

مشاعره من أجل شخص ما.

ولأول مرة يرى كنه هذا العالم القاسي الذي سعد بالانضمام إليه مؤخرًا..

إنّه عالم زائف من المتعة، فالسعادة الحقة لا يدفع ثمنها الآخرون..

لقد كانت تجربة شنيعة، وعلم من خلالها أن نجاته قد تكون في الرحلة، ودفعت الغجرية ثمن هذه المعلومة..

ولكنه خائف.. بل هو فزع..

فالشر الموجود في عقله، له أنياب ومخالب في الخارج..

فهل لو قرر عدم الخوض في هذه المغامرة الخطرة، فسيُجبر؟

كل شيء يزيد من نفسيته سوءًا..

ولأن وقوع البلاء أفضل من انتظاره، قرر العودة إلى شقته وحصنه الآمن..

وأما ما أثار هلعه إلى أقصى مدى، هو ذلك الوجه المشوه الذي تراءى له وسط جموع السائرين..

وجه الشيطان الابن..

فهل ما رآه حقيقة؟

أم هي ألاعيب عقله الذي يشرف على الانهيار؟

(٥)

عاد (وليد) إلى شقته بمشاعر مضطربة، وعقل حائر، وقلب مثقل، ولعن فضوله الذي جعله يذهب إلى مجمع الخدمات المميزة، ويقابل تلك الغجرية التي ضاعفت بموتها مخاوفه، وحيرته.

ولعن اللحظة التي خيل إليه فيها أنه قد رأى الشيطان الابن وسط جمع السائرين، وشككته في جدوى العقار النفسيّ الجديد..

إنّ حياته بهذا الشكل كالجحيم..

إنه سيجن لو لم يفرغ مكنون صدره..

لعن وحدته، وحظه السيئ، وعندما لم يجد بديلًا آخر، راح يقص على الروبوت كل ما مر به، فأخبره بحيادية تامة أنَّ قياس نجاح أي عقار جديد لا يحتسب على المدى القصير، هم بحاجة إلى عدم التسرع قبل الحكم عليه، وربما عليهم تقليص الوقت الفاصل بين كل جرعة وأخرى إلى تسع ساعات..

ساء (وليد) أن يتحول إلى فأر تجارب من أجل العقار، وساءه أكثر أن الجميع يقررون بالنيابة عنه حتى كتلة المعدن هذه، لذا فإنه قال للروبوت بكل عناد:

- لن أجرب أي شيء قبل أن أنهي هذه الرحلة، إنها معركتي، وسأخوضها حتى نهايتها، عليك فقط أن تعتني بأموالي، وبجسدي طوال الفترة التي سأغيب فيها عن الوعي، ولا تنسى تهذيب شعري، وحلاقة ذقني..

رد الروبوت بصوته الآلي الخالي من المشاعر:

- أظن أنك لا تحسن تقدير الأمور هذه المرة يا سيدي، أنت واقع تحت ضغط نفسي كبير، ربما لو تناولت الجرعة الثانية من العقار، وحظيت ببعض الراحة، لكان قرارك مختلفًا.

رد (وليد) في يأس:

- صدقني لا شيء سيختلف في النهاية، عليّ أن أعود، فإما أن أجد الخلاص كما قالت الغجرية المقبورة، أو تنتهي رحلتي هناك، فالحياة بمثل هذا الشكل تثير جنوني، فلا شيء له قيمة؛ إلا إذا كنت قادرًا على أن تستمتع به دون منغصات، ودون همسات الشياطين..

رد الروبوت بسرعة قائلًا:

- إن حديثك هذا يثير حفيظتي يا سيدي، وأظن أنك لكي تتخطى كل هذا الضغط العصبي، فأنت بحاجة إلى مساعدة خارجية ... يوجد موقع حاز تقييمات عالية من مستخدميه

يتيح الرفقة بسعر مناسب، فهل أقوم بالطلب؟

هدر صوت (وليد) بعد أن أشعره حديث الروبوت بكم هو وحيد وعاجز، قائلًا:

- نفذ ما أمرتك به يا (فارس)، إنها معركتي وحدي وعليّ أن أخوضها وحدي.. سأواجه ابن الأبالسة هذا، وأكتشف سر اختياره لي، وعليّ أن أستعيد سيطرتي على عقلي، لقد بت أعتقد أن القدر قد اختارني لمهمة ما، وعليّ أن أتمها.

وهنا قال الروبوت بصوته المعدنيّ البارد:

- أنت تخلط بين الأمور يا سيدي، فلم يكن يوجد اختيار في كل ما تعانيه، ما حدث مجرد حادث عارض غير مرتب أدي لكل هذا التخبط، أنا لا أعارض أوامرك، ولكنني مبرمج على حمايتك، وما تقوله يثبت لي أن حالتك العقلية تتدهور برغم العقار الجديد، وعليّ ألا أتركك نهبًا لأفكارك الخاصة، فما يزال عقلك مضطربًا ولا تحسن تقدير الأمور.

كان حكم الروبوت على حالته يبدو لـ(وليد) منطقيًا للوهلة الأولى، ولكنه تقدير الآلات الصماء الذين يقيسون كل شيء بالحسابات المادية، على عكس البشر الذين يعرفون أن وراء كل شيء حكمة وتخطيطًا وسببًا.

فهو كان معرضًا للموت في انفجار المحاكي ولم يمت، وكان

من الممكن أن تمحى ذاكرته ولم يحدث، أو يظل مشوهًا بلا أطراف، وتغض شركة الحراسات الطرف عنه، فلم يكن بالنسبة لها إلا مجرد عامل لا قيمة له أتى من وراء الأسوار، موته أو حياته لا تعني أي شيء بالنسبة لهم، ولكنهم اعتنوا به وعوضوه عما لحقه من أضرار، وعاملوه كمواطن من الدرجة الأولى.

كما أنه حظي بتلك الذكريات المروعة، وشاهد ابن الشيطان في يقظته!

فهل كل هذه مصادفات!

بالطبع لا..

هناك سر غامض يكمن وراء كل هذا، وبسببه ماتت الغجرية، وبسببه يعاني ويتألم، وعليه أن يكتشفه..

لذا فإنه شد جسمه، وظهر التصميم في عينيه، وهو يواجه الروبوت، قائلًا في إصرار:

- أنا أعلم يا (فارس) مقدار حرصك على حياتي، فهذا ما برمجوك عليه، ولكن عليك أن تدرك أن كل ما تخبرك به دوائر المنطق يخضع للاحتمالات، وقد يكون حقيقيًا أو لا يكون، وعليك أن تثق في حكمي، ورؤيتي للأمور.

وجاء رد الروبوت المبرمج كالمتوقع:

- بكل أسف يا سيدي، سأضطر حسب قوانين الصحة العامة إلى أن أجبرك على ما فيه مصلحتك.

وهنا هاج (وليد) وقال في غضب:

- حسنًا بما أنه لا يمكن إقناع عقلك المعدنيّ الصلب هذا، فأنا آمرك بتجاوز قوانين حماية الصحة العامة مؤقتًا، فالأمر طارئ، وكود التفعيل هو (بيتا.. ألفا.. ٥٦٧٢).

وعندما تلقت وحدات المنطق التفاعلية كود التفعيل الطارئ، مررته إلى وحدات الأوامر التي استجابت على الفور لطلب (وليد) الأخير، وتجاوز الروبوت قوانين الصحة العامة، وألغى الخطوات السابقة التي كانت ستحضه على إجبار (وليد) على الإنصات لتعليماته، وهو يقول بصوته المعدنيّ البارد:

- (فارس) في خدمتك يا سيدي..

تنفس (وليد) الصعداء، فهو لم يرغب في أن يتخلى عنه صديقه الوحيد، أو يجبره على فعل ما لا يرغب، والذي يعده خط دفاعه الأخير.

لقد تعامل في مصنع اللحوم المصنعة مع العديد من

الروبوتات مختلفة المهام، ويعرف دائمًا أن هناك أمر تجاوز، وكودًا للطوارئ، وقد نجح في استخدامه.

ولا يمكن أن يضع هذا الأمر أيضًا ضمن قائمة المصادفات، بل هو القدر الذي أنار بصيرته، وهداه لهذا الطريق، ويقوي عزمه على ما نوى عليه.

ودون تأخير ترك الروبوت خلفه، ودخل إلى غرفة نومه التي يعقمها الروبوت دائمًا، فأثار اشمئزازه رائحة المطهرات، ولكنه تجاوزها، فلن تكون أبشع من الروائح في مدينته القديمة التي تغمر شوارعها القمامة والمخلفات، أو في مصنع اللحوم حيث رائحة المواد الكيماوية هي رائحة كل شيء، وانتقى من خزانة الأدوية إحدى علب الكبسولات المنومة، وانتزع منها كبسولتين، فهو لن ينتظر انتهاء مفعول العقار، وسيبدأ رحلته بنفسه هذه المرة.

وعلى الشر أن يدرك أن (وليد) الذي ذهب، ليس هو الذي عاد..

ليس هو مطلقًا.

تناول الكبسولتين المخدرتين بقليل من الماء، ثم تمدد فوق فراشه، وسحب نفسًا عميقًا، و ...

هذه المرة لم تظهر الغرفة أو الأبواب التي تمثل ذكرياته

والذكريات الدخيلة، بل وجد نفسه يسبح في قلب دوامة مربكة من ذكرياته القديمة شديدة القسوة.

في الذكرى الأولى كانت إحدى نساء عائلته تقف في طابور طويل كل المصطفين فيه من النساء اللائي يبعن ألبانهن إلى أحد السماسرة مقابل مبالغ زهيدة مع عجزهن عن الحصول على عمل مناسب، بعد أن أصبح لبن النساء عليه طلب كبير منذ صنع ذلك الطباخ النمساوي في أوائل القرن الحادي والعشرين جبنًا شهيًا من فائض لبن صديقته الذي تركته لديه لإرضاع طفلها في فترة عدم وجودها، ثم اشتهر وأصبح من السلع المطلوبة في الصين وأمريكا ومنهما إلى دول العالم، ثم أصبح سلعة أساسيّة يحرم الأطفال بسببها من الرضاعة الطبيعيّة.

كان البؤس والفقر مرتسمين على وجوه جميع النساء، وذل الحاجة يدفعهن لمثل هذا العمل البغيض، وقد أشعره هذا بحزن كبير.

كان يتمنى من أعماقه لو أن باستطاعته مساعدتهن.

وهو رد فعل أدهشه أكثر مما لو كان سيدهشهن.

إنه يتغير بالفعل، ولم يعد (وليد) الأنانيّ الذي جعلت منه النكبات المتتالية مجرد مسخ بشريّ مشوه الفطرة يتعامل

بأنانية مطلقة مع كل من حوله.

وقبل أن ينخرط في أفكاره، تبدلت الذكرى ليرى نفسه ممدًا على أحد الأسرة الحقيرة في عيادة أحد الأطباء، وهو يبيع دماءه قبل التحاقه بمصنع اللحوم مقابل عدة وحدات رقمية زهيدة، بعد أن صار عاطلًا للمرة الألف..

أصابه إحباط كبير مما رأى، فهو يعلم أنَّ كل شيء كان يباع ويشترى خارج المدن المسورة، حتى البشر وأعضائهم، بالطبع لم يصل به الحال لبيع أي من أعضائه كما يفعل الآلاف، ولكنه كان على استعداد تام لهذا في إحدى مراحل حياته مقابل الماء النظيف والطعام أو المخدرات المُخلقة التي أقلع عنها في الوقت المناسب قبل اختبارات الفرز.

وعندما لاحت له ذكرى احتراق محبوبته على أيدي القوادين، أطلق صرخة عقلية ملتاعة، فتبخرت من عقله كل الذكريات، ووجد نفسه هذه المرة بداخل عقل امرأة فاتنة لم يرها من قبل.

كان غاضبًا، ولذلك قرر أن يندمج بكل كيانه في هذه الذكرى، كي يتجنب كل المشاعر السلبية للذكريات التي هزته من أعماقه..

وبالفعل استجاب له عقله، وبدأ يتعمق في ذكريات تلك

الساحرة المفعمة بالروائح والأحلام..

كانت تجربة عجيبة، سببت له الكثير من الارتباك، وأورثته الكثير من عدم الراحة، لأنه يتلصص ويخترق خصوصية تلك الفاتنة ذات العينين الخضراوين بهذا الشكل السافر.

تعجب للحظة سائلًا عن هويتها، وهو غارق في تأمل ملامحها التي احتلت عقله بالكامل، وعلى الفور راحت المعلومات تتدفق إلى عقله في سلاسة، وقد اندمج على نحو كامل في عالمها الغريب.

اسمها (دنيا سعيد)، سيدة مجتمعات من الدرجة الأولى، تملك من الأموال ما يفوق خيال أي شخص حالم، فأبوها رجل أعمال شديد الثراء وصاحب أسهم عديدة في معظم الشركات الدولية العملاقة، كما أنه يمتلك نفوذًا سياسيًّا عظيمًا، لذا كانت كل أحلامها رهن طلبها.

لم تكن تعرف أي شيء عن مفردات الفقر، أو العوز، أو الحرمان، أو الحاجة، والجميع يخطب ودها ورضاها، ويعاملونها كملكة متوجة، وبرغم هذا كان هناك ما يؤرقها، ويقض مضجعها، بل وفي أحيان كثيرة تغرق دموعها وسادتها بسببه..

كانت تبحث عن ذلك الشيء الذي لا يقدر بثمن..

عن الحب..

وأن تشكل فارقًا حقيقيًا لإنسان يراها لشخصها، لا لما ستضيفه إليه، أو ما سيربحه من ورائها.

والحقيقة أن من يبحث عن شيء بمثل هذا الإلحاح، يتعرض للخداع والألم..

ومن يمتلك رهافة قلبها، يكون ألمه مضاعفًا.

ونتيجة للهفتها واندفاعها مرت بتجربة زواج سيئة، اكتشفت خلالها أنها كانت آخر ما يفكر فيه من اختارته من بين كل الرجال الذين خطبوا ودها، برغم عشقها له وما تتمتع به من مميزات.

فذلك الحقير (جاسر) أغرقها في البداية بحبه واهتمامه ولطفه الزائفين، حتى مكنته من قلبها، وثروتها، ودعمته عند أبيها، الذي استخدم نفوذه ليجعله في فترة وجيزة من رجال الأعمال الذين يشار إليهم بالبنان.

وعندما حقق أحلامه وجرت الأموال بين يديه، وتأكد من أنه ليس بحاجة إليها، راح يدفعها ذلك اللعين لتكرهه بنرجسيته، وغطرسته، وحقارته.

فخانها مع الحثالة من النساء، وهجرها في الفراش، وسفه

من كل مشاعرها، وعاملها كأنها جزء من أثاث المنزل في الأيام القليلة التي كان يزوره فيها، حتى مرضت وزوت، وفكرت في الانتحار.

ولم ينقذها من هذه العلاقة المسمومة إلا نفوذ أبيها الذي صمم على عقابه، ولكنها لم تهتم بما فعل معه ولم تسأل، فقد مات في نظرها بعد أن منحها صدمة عمرها.

وحتى هذه اللحظة لا تعرف ما الذي قصرت فيه، أو فعلته ليعاملها بكل هذه القسوة، وجعلها تشعر بأنها امرأة ناقصة، وهي التي منحته كل شيء!

وظل هذا الشعور مترسخًا بأعماقها، يقض مضجعها، ويستزف صحتها، فهي لم تنسَ، كما لم تقبل اقتراح أبيها بمحو ذكرياتها السيئة، وكأنها تعاقب نفسها على سوء اختيارها.

وإن ظل قلبها يهفو للحب، وللشخص الذي سيروي صحراءه، ويعوضه عن تلك الفترة العجاف..

قلبها كان نقطة ضعفها، وعقلها لم يحسن يومًا الاختيار، لذا كانت حذرة جدًا في اختيار الشخص التالي..

والحذر المبالغ فيه كعدم الحذر ... فخ مهلك.

وهذه المرة قررت أن تختار بعقلها، لا قلبها..

وبرغم هذا قد غافلها قلبها وتحرك على سجيته..

فأجبرت عقلها ككل مرة على أن يتوارى كي يحكم قلبها مملكتها، دون أن تدري أن القلب أحمق كبير، ولا يتعلم من أي درس مر به.

لا تعرف (دنيا سعيد) ما الذي جذبها لـ(مازن شهاب) وجعلها أسيرته من أول لقاء!

لقد قرأت كتبًا إلكترونية لا حصر لها، وتعرف جيدًا قصة الفيرمونات التي تطلقها إناث الحشرات لاجتذاب الذكور، فهل ما يحدث معها هو العكس؟

كل شيء في (مازن شهاب) مريب، ومقبض، وغريب، ولكنه جذاب.

إنه رجل معتم ومشع في الآن ذاته..

فلديه نظرة ظلامية ساحرة.. وصوته العميق يجعلها لا ترى ولا تسمع شخص آخر في وجوده..

تراه بروحها، كسرٍ غامض محاط بضباب شيطانيّ ساحر.

وكثيرا ما تساءلت: هل هذا ما شعرت به عشيقات الراهب الداعر (راسبوتين) وهن بين أحضانه يخن أزواجهن؟

وبرغم أنها لا تخون أي شخص بعشقها له، ولكنها كانت مستعدة لخيانة العالم أجمع من أجله.

وبإرادتها الحرة سلمت له مفاتيح روحها، وإن لم يتوقف قلبها الذي ورطها عن الإفصاح عن قلقه، فقد اجتمعت فيه كل المتضادات..

إنها تدرك أنه لا شيء في هذه الحياة بالمجان، ولكن القلق الدائم وعدم الراحة ثمن كبير.

حاستها تخبرها أن هناك شيء خطير ومخيف يخفيه عنها، وتمنعها فحولته من مواصلة شكها أو الاستماع لحديث العقل، فهي لم تقابل رجلًا مثله يمارس الجنس بمثل هذه القوة والقسوة والجاذبية، إنه يزهق روحها ثم يمنحها الحياة على هيئة قطرات مشتعلة..

إنها تكره تعلقها به على قدر عشقها له..

إنها ملعونة به؛ ولا ترغب في التحرر..

واليوم وعدها بليلة مختلفة..

وعندما يهاتفها، ويذكر تلك الكلمة (مختلفة)، فمعنى هذا أنها ستكون ليلة بعمر كامل.

طلب منها اليوم أن ترتدي زيًّا خاصًا من أجل ليلتهما

الموعودة.. والتجدد هو أكثر ما تعشقه في شخصيته..

لقد أرسل لها تصميمًا خاصًا لزيٍّ فرعونيّ أنيق، عندما بحثت عنه على شبكة المعلومات التفاعلية، أدركت أنه زيّ خاص لتقديم الأضحيات الدموية لإله الشر ست.

لمحة مظلمة أخرى من لمحاته التي لا تنتهي، وهذا جعل الأمر مثيرًا وممتعًا إلى أقصى مدى..

ستقدم نفسها على مذبحه..

ستمنحه عشقها وجسدها وكل خبراتها..

وتحظى هي منه بالألم والمتعة..

لقد عشقت ساديته، والجنس المخلوط بالألم، وصارت تحلم به ليل نهار..

إن طيفه لا يتركها لحظة واحدة ... دائمًا تشعر به حولها ... وهو شعور يصل معها إلى حد اليقين.

ففي أحيان كثيرة، تشم عبق أنفاسه المخلوط برائحة الكحول، أو تشعر بلمسته الباردة المثيرة- فيده باردة ليل نهار لا تدفأ أبدًا- دون أن يكون بجوارها.

وفي إحدى الليالي الباردة تمنت لو كان بجوارها في الفراش، فشعرت بحضوره الثقيل برغم يقينها أنه في مدينة

أخرى..

ولا تعرف إنْ كان حضوره هذا حلمًا أم حقيقة، لأنها شعرت به يضمها ويبث الحرارة في جسدها، فنامت حتى مساء اليوم التالي بعمق، وعندما استيقظت لم تجده بجوارها، ولم تجرؤ أن تسأل خدمها عن حضوره من عدمه.

وجوده لا ينقطع وتواصله معها دائم، وكأنَّ ما يربطها به نوع من السحر...

لقد قرأت عن خرافة المصباح السحريّ وجن المصباح، وهو يشبه جني المصباح في تحقيق أمنياتها ورغبتها، ولكنه مخيف أكثر..

ومثير أكثر وأكثر..

طلب منها في هذا اليوم الغريب، أن تأتي لمقابلته في إحدى فيلاته العديدة التي لم تزرها جميعها بعد، فـ(مازن) فاحش الثراء، لتبدو ثروة أبيها بجوار ثرواته العديدة لا شيء، وهو ينفق ببذخ وإسراف، وكأنَّ ما لديه منها لن ينفد أبدًا؛ ولهذا كانت مقتنعة أن اختياره لها عن حب لا عن طمع كذلك الحقير (جاسر)..

والحب بالنسبة لها هو الحياة، لذا فإنه أصبح هو الحياة..

ولأن (مازن) كان من النوع المتفاخر، ويصر دائمًا على إبهارها، فإنها وجدت بانتظارها، حوامته الأنيقة ذاتية القيادة والإصدار الأول من فئتها، وصفين من الخدم يقودونها إليها كملكة متوجة..

لم تكن تحب التفاخر أو التباهي، لأن من يفعلون هذا تكون لديهم نقاط نقص في شخصيتهم، ولكنها في هذه اللحظة تمنت لو يراها كل نساء العالم، ليعلموا أن هناك من يهيم بها، إلى حد جعلها أول من تطأ هذه المركبة بقدميها في العالم..

وكالحلم، حملتها الحوامة السريعة، وعطر شرقيّ خاص يتدفق عبر فتحات خاصة في هيكلها ليداعب روحها، مع انسياب ترانيم ساحرة بلغة لم تفهمها، جعلت كل خلية في جسدها تسترخي، وهي تتمنى لو كان أمامها الآن لتمنحه قبلة عاصفة تحتوي على مشاعرها المستعرة نحوه..

إنه ساحر ويعرف كيف يعزف على إيقاع روحها، كما يعزف بكل مهارة على أوتار جسدها..

لقد خلب لبها، وكسر لديها الصورة النمطية للرجال، وثبت عرشه في قلبها إلى الأبد، وأغناها حتى عن أصدقائها وجعلها متوحدة معه، والسحر كل السحر في التفاصيل، التي يهتم بدقائقها.

عندما غادرت مهبط الحوامة وسط حديقة الفيلا الغناء التي تحتوي على نباتات شديدة الندرة والجمال ستدير رأس أي عالم نباتات يقوده حظه الحسن لزيارتها، وجدت في انتظارها موكب مهيب من الخدم مفتولي العضلات، الذين أحاطوا بها على نحو أنيق، وقادوها بكل تبجيل واحترام إلى داخل الفيلا، والترانيم التي كانت تسمعها في الحوامة تتواصل معها.

كان كل شيء حولها مبهرًا وخلابًا، وجعلها تحبس أنفاسها، وهي تتأمل اللوحات الرائعة التي غطت الجدران، والإضاءة المتوازنة التي كانت تشع من كل شيء من مكان خفيّ..

كانت المرة الأولى التي ترى فيها هذه التحفة الفنية..

إنها ليست مجرد فيلا كما أخبرها، بل هي قصر منيف، صُمم كل جزء فيه بعناية، وكأنه معبد فرعونيّ حقيقيّ، بأعمدته الشامخة، والنقوش الزاهية الخلابة التي تغطي جدرانه..

وبخطوات رشيقة وفضول مستعر قطعت الرواق شديد البهاء الذي كانت تتراص على جانبيه أعمدة ذات تيجان، نقش فوقها أزهار اللوتس والأكانتس، في حين كانت هناك مجسمات ضوئية على الجدران تمثل طيور برؤوس آدمية..

لقد قرأت عن هذا الأمر من قبل، تلك الطيور تمثل أرواح الموتى عند الفراعنة، وكأن الرواق هو البرزخ الذي يفصلها بين الحياة في الخارج، والعالم الآخر بداخل الفيلا.

لقد أحسن (مازن) اختيار الديكور، واعتنى بكل تفصيله فيه، وكأنها بداخل متحف حقيقيّ..

إنها يستقبلها في فيلته استقبالًا ملكيًا فرعونيًا..

خطت بزيها الكتانيّ الأبيض المُحلى بخيوط ونقوش ذهبية عبر الرواق، وقادها الخدم إلى درج هابط فرش عليه بساط أحمر اللون، انتهى بها إلى داخل القبو الفسيح الذي يحتل مساحة الفيلا بالكامل من أسفل، وهي تحاول أن تتخيل ما ينتظرها بداخله، والترانيم تهز روحها هزًا، وعيناها توشكان أن تقفزا خارج وجهها لتسبقها إلى مدى رؤية أبعد.

وعندما خطت بقدميها إلى داخل القبو، شهقت في قوة، فالحقيقة أنه كان مبدعًا وخلاقا وقادرًا على مفاجأتها، فلو كان استقبالها الخارجي ملكيًا، فما رأته بالداخل كان استقبالًا أسطوريًا.

فمن فتح لها الباب كان رجلًا مفتول العضلات يرتدي قناع (أنوبيس) فاتح الطريق كما يطلق عليه قدماء المصريين، الذي يعدونه مرشد الأموات ورب التحنيط، بقناع ابن أوى

المخيف.

ولم تكد تتخطى مفاجأة حارس القبو بقناعه المخيف، حتى وجدت بانتظارها مفاجأة أكبر!

فالقبو الفخم كان مكتظًا بالمحتفلين الذين يرتدون جميعًا أقنعة فرعونية مختلفة، وجعلها هذا تتوتر قليلًا، فـ(مازن) لم يذكر أي شيء عن هذه الحفلة التنكرية.

وما أثار هلعها أكثر أن الأقنعة كانت متقنة لدرجة مخيفة، حتى لتظن أنها وجوه الحاضرين لا مجرد أغطية لها.

وقبل أن تتخطى دهشتها، رأت في صدر المكان تمثال هائل الحجم يمثل الشيطان المرعب منتفخ البطن ذا القرون العملاقة، والجناحان الأسودان (بافو ميت)، الذي له أثداء تشبه أثداء النساء، وعلى بطنه ذلك الصليب المقلوب، وترمقها عين (حورس) الشهيرة التي اتخذتها الماسونية شعرا لها، وكأنها عين حقيقية تموج بالحياة.

وحول التمثال تراصت تسعة من الهياكل العظمية التي تبدو حقيقية على نحو يثير الفزع، منتصبة على حوامل زجاجية شفافة لم تقلل من رهبتها.

لقد أحصتهم بنفسها عدة مرات من التوتر.

كما كان هناك مذبح حجريّ عملاق يشبه ذلك المخصص لتقديم الأضاحي، الذي جعل أنفاسها تنحبس بصدرها، فتطلقها في ضيق، وهي تتأمل مجموعة من النساء حاسرات الرأس، يرتدين على أجسادهن المدهونة بطلاء شاحب زي الكهنة.

الجو العام برغم كونه مثيرًا إلا أنه مقبض، ويحيط شيء غير مريح بالمكان..

شيء مظلم يفوق كونها حفلة تنكرية أو أن المدعوين مجموعة من الضيوف أو «الكومبارس»، يؤدون تمثيل أدوارهم بإتقان..

هي تعلم جنون الأثرياء لأنها منهم، وتعلم غرابة أطوار زوجها (مازن)، لأنها اقتربت منه حد الاحتراق.

ولكن ما تراه يفوق كون الأمر تمثيليًا، وجُهز من أجلها خصيصًا..

إن حاستها السادسة تخبرها أن تنسى كل شيء متعلق بالليلة المختلفة وتغادر على الفور، فهذه الليلة لن تمضي معها على خير..

هناك رائحة شر رهيب في الأجواء، والتنظيم المبالغ فيه يدل على نحو كبير على أن تلك الزمرة، أو الأخوية، أو

المنظمة أيًّا كان تصنيفها التي ينتمي إليها زوجها، أخطر آلاف المرات مما كانت تظن، بل وتمتلك تمويلًا بلا حدود.

لقد أخبرها زوجها من قبل عن انتمائه هو والصفوة من رجال الأعمال عبر العالم إليها، ولحماقتها لم تهتم أو تسأل لتعرف أكثر، وظنتهم مجموعة من رجال الأعمال المهوسين، يمارسون إحدى ألعابهم المثيرة.

ولكن الهوس لا يصل إلى هذه الدرجة من الدقة، والإتقان..

هناك شيء مريب يعدون له..

ووجودها وسطهم لا يريحها..

وقبل أن تأتي بأي رد فعل، توقفت الترانيم فجأة، ودوى صوت (مازن شهاب) العميق المقبض قائلًا:

- هوراه.. لقد حضرت عروس الليلة، التي يقام الحفل على شرفها، رحبوا بزوجتي، ودنيتي، وسر سعادتي (دنيا سعيد).

ترك جميع المحتفلين ما بأيديهم، وراحوا يصفقون لها في حماس مشبوب، وتسلطت نظراتهم جميعًا عليها..

كانت نظراتهم، خبيثة شهوانية، مليئة بالرغبة..

لقد اعتادت مثل هذه النظرات من الرجال، فجمالها يدير الرؤوس، وفتنتها تزلزل القلوب، ولكن هذه النظرات الجشعة

من الرجال والنساء على السواء أثارت فزعها، وجعلت قشعريرة باردة تنخر في عظامها.

وكي تتخطى الموقف، ركزت بصرها على عينيّ زوجها، اللتين اختطفاها من كل من حولها، فسارت نحوه كالمغيبة أو من نُوِّم مغناطيسيًّا، ليمد إليها يده الباردة، فتقبض عليها في لهفة، فيدني يدها من شفتيه ويقبلها، وهو يقول في حماسة:

- الليلة ستكون مختلفة جدًا، فأنت ستشهدين معي حدثًا استثنائيًّا، وسيتم تعميدك، لتصيري ملكة عائلتنا..

لم تفهم مغزى ما يقول، وإن تسلل لروحها بجوار القلق بعض الحماسة، فوجوده بقربها يشعرها بالأمان والحماية..

الجو البارد المقبض، جعل جسدها يرتجف، وبدون وعي اقتربت منه وألقت نفسها في أحضانه، ليداعب شعرها لبعض الوقت، وكأنها هرة صغيرة، قبل أن يبعدها عنه برفق، ويصحبها لتجلس بجواره على عرش من الذهب الخالص، جعلها تشهق من فرط جماله، ويقول في قوة:

- لتبدأ المراسم..

وهنا اصطف الرجال والنساء المقنعين حول العرش في نصف دائرة، وأحاط النساء اللائي يرتدين زي الكهنة بالمذبح، وعادت الترانيم التي توقفت لتدوي في المكان.

وكالرياح التي تهب من كل الاتجاهات، راحت كميات هائلة من البخور تتدفق في المكان، وهي تتابع ما يحدث في قلق، وتفكر أن شيئًا خطيرًا سوف يجري هنا.

لمسة من يد (مازن) الباردة أخرجتها من أفكارها، وبدأت تشعر بقلقها ومخاوفها تنسحب من أعماقها دون أن تترك أثر.

وبرغم الراحة التي غمرتها، ولكنها كرهت فعلته هذه، فمن الموتر للأعصاب أن يسرق أحد ما هو لك، حتى لو كان خوفك.

الترانيم تتعالى، وصوت (مازن) يدوي في أذنها، لا إنه يدوي في عقلها، قائلًا:

- رددي الترانيم، تغني بحب الأب الأعظم..

كادت أن تخبره أنها لا تعي هذه اللغة العجيبة، ولا تفهم كنه الترانيم، ولكنها فوجئت بعقدة لسانها تنحل، وتفهم ما يقال، فراحت تردد دون وعي ودهشتها تتضاعف:

- أيها الأب المعظم، أنا لك، بجسدي، وروحي، ووحدك فقط أعبد، أنت الإله في الأرض، وفي كل العوالم، امنحني بركتك، امنحني القوة، والخلود، بدمائي أقسم، وأنا لك.. لك.. لك.

كانت تردد الكلمات، وجزء منها يرفضها، خاصة عندما

رأتهم يتحلقون حول تمثال (بافوميت) المخيف، لتدرك الفاجعة، إن زوجها وزمرته يعبدون الشيطان دون الخالق..

حاولت أن تصرخ.. أن تتوقف.. ولكنها راحت تردد الترانيم دون كلل رغما عنها..

جزء منها كان يرفض ما يحدث، يرفض أن يجردها من إيمانها، ويلقيها بين يدي الشيطان! ولكن سيطرته عليها كنت كاسحة..

وعندما هب من مكانة، وقبض على يدها وقادها نحو المذبح، فرت من عينيها دمعة مريرة..

وعندما مرر خنجره على يدها، لتسقط دماؤها على وجه تلك المرأة العارية الممددة أمامها دون أن تقوم بأي رد فعل، انتفض جسدها بقوة، وشعرت بمخها يرتج بداخل رأسها، ووقفت كالتمثال، وهي تنظر للخنجر الذي وضعه في يدها.. قبل أن يهتف (مازن) في قوة:

- اليوم نقدم أضحية الدم، اليوم نعمد ملكتنا، اليوم يوم مجيد فلتحل بركاتك علينا..

وفي اللحظة التالية لم تشعر (دنيا)، إلا وهي تغمد الخنجر في جسد المرأة المستسلمة في مكان غير قاتل..

ليتناوب بعدها الرجال والنساء المقنعين في طعن المرأة حتى وافتها المنية، ولفظت أنفاسها الأخيرة..

لتبدأ أبشع حفلة دعارة جماعية رأتها في حياتها، والرجال، يتبادلون الزوجات دون أي وازع ديني أو أخلاقي، بكل فجور..

ولأنها الملكة، فلم يقترب منها غير زوجها، فحمدت الله أنه برغم انكشاف سترها، لم تكن مطية لكل هؤلاء الملاعين..

ولفترة طويلة استمر الأمر، وهما جالسان على العرش يشاهدان ما يحدث، حتى شعرت فجأة بوخزة رهيبة في صدرها، ثم صرخت في قوة، وفقدت الوعي..

وهنا انفصل وعي (وليد) عن وعيها، وراح يتابع ما يحدث في دهشة وتوتر، فرأى أربعة من الرجال يحملون جسدها في اهتمام بالغ إلى إحدى الغرف الموجودة في القصر، ويريحونه على طاولة معدنية مثل تلك التي تستخدم في المحاكي، بل ويضعون أقطاب المحاكي نفسه على رأسها، ثم يقول أحد المقنعين موجها حديثه إلى (مازن شهاب):

- الآن تُنزع الذاكرة البديلة..

وفور أن بدأت العملية، أشار (مازن) للمقنع أن يخرج، فهرع خارجًا بسرعة، وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة رضا وظفر،

وهو يركع على قدميه أمام تمثال أقل حجمًا من الموجود في القبو للشيطان قائلًا في جشع:

- اليوم أهبك زوجة جديدة، فلتهبني القوة..

وفجأة تلاشى التمثال من أمامه، وظهر وجه الشيطان المرعب، وهو يقول بصوت مستعر، راح يتردد في المكان:

- هي لك.. هي لك.. هي لك.

ثم تلاشى الوجه المخيف، فوقف (مازن) على قدميه، وهو يشعر بقوة رهيبة تموج في جسده، وعضلاته تشتد، وملامحه تصير أصغر..

وهنا أعلن المحاكي انتهاء عمله، فمد يده لـ(دنيا) ليساعدها على الخروج من المحاكي..

وعندما وقع بصرها على التمثال، سجدت له دون تردد، ليشعر (وليد) بالصدمة ووعيه يسحب من هذه الذكرى المريعة، ليتجسد مرة أخرى في القبو، ويرى المشاهد السابقة تتكرر أمام عينيه..

ولم يفهم للوهلة الأولى سر تكرار هذه الذكرى في عقله، حتى رأى الموكب المهيب، وزوجة (مازن شهاب) تتقدمه والدهشة والانبهار يغزوان ملامحها..

وعندما حقق في وجهها لم يجدها (دنيا سعيد) بل امرأة أخرى تفوقها جمالًا، ثم دوت الجملة في عقله:

- الليلة ستكون مختلفة جدًا، فأنت ستشهدين معي حدثًا استثنائيًّا، وسيتم تعميدك، لتصيري ملكة عائلتنا..

ليجد نفسه في اللحظة التالية أمام المذبح، الذي تمددت فوقه (دنيا سعيد) في استسلام تام، وهي عارية من كل ثيابها..

لتصيبه الصدمة..

فذلك الوغد السفاح، كان يقدم زوجاته للشيطان مقابل القوة..

إن لهذا الوغد جرائم لم يحاكم عليها..

وتمنى لو كان بإمكانهم إعدامه ألف مرة..

واجتاحت روحه أحاسيس متضاربة، فدعا أن تنتهي رحلته بقلب هذه الذكريات المشؤومة.

وكأنما استجيب له، وجد ذاكرته تظلم، وظن أنه سيعود لواقعه بعد أن انتهى مفعول العقار..

ولكن ما رآه أمامه عندما إنجاب الظلام، جعله يشهق من الفزع..

فأمامه كانت تتألقان بشدة، عينان مشقوقتان طوليًا لأفعى هائلة الحجم..

كانت تستعد للفتك به..

(٦)

صدمة عنيفة اجتاحت كيان (وليد)، وهو ينظر لعينيّ تلك الأفعى المتحفزة التي احتوت مدى رؤيته، ولأول وهلة لم يفهم كنه ما يحدث، ثم بدأت الرؤية تتضح رويدًا رويدًا، فأدرك أنه لا ينظر في عين الأفعى بنفسه، بل هو في عقل شخص آخر كالعادة.

شخص قميء قاسٍ يدعى (أخنوخ)، ويلقب بـ(المخاوي) وهو ساحر ومشعوذ متخصص في الخيمياء والعلوم الباطنية، وسحر الحيوان.

كان هذا الشخص الخبيث، ذو العيون المكحلة التي لا ترمش، يجلس على مقربة من ابنه الوحيد ووريثه، وهو يقول بكل هدوء:

- أن تخاوي أفعى يا (يوشع) هو درب صعب جدًا من دروب السحر الأسود، ومهمتك الوحيدة أن تتقنه عمليًا، كما أتقنته نظريًا، لقد تعلمت لغتها، وسبل محاورتها، وأصبحت مؤهلًا لخوض أولى تجاربك العملية، فأنت وريثي وحامل العهد، والسيد الأعظم ينتظر منك الكثير.

رمق الصبي النحيل الأفعى القاتلة، بتوتر ورهبة، وهو يحاول ابتلاع ريقه، فحلقه جاف، وكأنما ابتلع لتوه حفنة من

الرمال، والكلمات تعجز عن الخروج من بين شفتيه، وقلق هائل يعصف بكيانه، ويظهر جليًا على ملامحه، على نحو فشل في أن يخفيه عن أبيه الذي كان يتابعه في اهتمام..

وعندما أتت لحظة المواجهة والتطبيق العملي لكل ما تعلمه طوال السنوات السابقة، تدفق الأدرينالين في عروقه، وتصاعدت منه رائحة الخوف، فاستدارت نحوه الأفعى وهي تطلق فحيحًا مهددًا.

فكاد أن يولي الأدبار من أمامها، وكل خلية في جسده تنتفض من الرعب، إلا أن صوت أبيه الصارم أوقفه، وجعله يعود لمكانه وهو يقول في تهديد:

- إياك والخوف ... فهو أول طريق الهلاك ... إن هذه المخلوقات تشم رائحة خوفك من على بعد عدة فراسخ، اهزم خوفك وواجهها، وكما خضعت لأبيك ستخضع لك.

غمر العرق وجه (يوشع) وهو يحاول أن يقهر مخاوفه، وراح ينظم أنفاسه وعيناه مثبتتان في عينيّ الأفعى المخيفتين، وأبوه يكمل في هدوء:

- توترك سيجعلها تهاجمك وتفتك بك ... تذكر ما دربتك عليه، ونفذه بدقة، أنت تتقن لغتها، فحدثها، وحاول اكتساب ثقتها، إنها تخافك أكثر مما تخافها.

يتوتر جسد الصبي الذي لم يبلغ الثالثة عشر من عمره بعد، وهو ينظر لعينيّ الأفعى المخدرتين، ويبدأ في الهمهمة بلغة الأفاعي، متابعًا حركتها المتوترة، وقد أغرق العرق وجهه وتحت إبطيه، فهو يخشى فشله وغضبة أبيه أكثر من خوفه من الأفعى وسمها..

لذا راح يرمق الأفعى وهو يهمهم بلغتها، ويلعن أباه في سره.

توتر الأفعى يتصاعد، ولكنها لا تتحرك من مكانها..

يتوقع الصبي منها الغدر في أي لحظة، ولكنه لا يوقف الهمهمة.

صوت الأب المشجع يدوي في أذنيه، وهو يرمق ابنه في اعجاب:

- أنت الأقوى، عليك أن تؤمن بهذا، وعليها أن تقتنع به لتطيعك، وتصبح سيدها.

همهمات (يوشع) ترتفع، ومعها دقات قلبه، والأفعى تكشف عن أنيابها، وتتحضر لمهاجمته.

يواصل الهمهمة، وكراهيته نحو أبيه الذي يجبره على كل شيء تتصاعد، وتتصاعد، حتى صار قلبه كتلة من الكراهية

الصافية.

صوت الأب يعلو من جديد، وكأنه يقرأ ما يدور في خلده:

- لا تجعل شيء يشتت انتباهك، وجه كل مشاعرك نحوها، وإن أعياك الأمر فاستخدم معها الحيلة، عليك أن تجعلها تراك كما تريد لا كما هي تريد..

يحاول (يوشع) أن يخرج من دوامة الكراهية، وينبذ خوفه، ولكنه ما يزال يغرس أنيابه في قلبه، فيواصل الهمهمة..

حركة الأفعى المتوترة وهي تقترب منه، تنبئه بكونها لا تأبه لحديثه، ولا تراه جديرًا بالطاعة..

يدوي صوت الأب الخبير في قوة، وعيناه مسلطتان على الأفعى، التي أرجعت رأسها للوراء في وضع الهجوم:

- لو أعيتك الحيلة فعليك أن تبرز لها قوتك..

يفكر (يوشع) في هلع: الحديث سهل، والتطبيق هو الأصعب، ثم إن حجمها الكبير يعني أنها لن تستسلم بسهولة، وأن الالتحام المباشر يرجح كفتها.

عليه أن يُعمل عقله، ويبحث عن أسرع وسيلة لإخضاعها..

لذا راح يتمايل أمامها كأفعى بشرية، ويراوغها، وهو

يواصل الهمهمة بلغتها، أملًا في أن تخضع دون أن تجبره على قتالها.

وللأسف كانت الأفعى قد ملت من المراوغة، فلم تمنحه فرصة ليفكر أكثر، وانقضت عليه في سرعة كبيرة، فانتفض جسده في قوة، وبطريقة لا إرادية، أزاح نفسه جانبًا، واستخدم مهارته للقبض على رأسها من الخلف..

الأفعى تتلوى بين يديه في غضب، وذيلها يضرب وجهه في عنف، ولكنه يوصل ضغطه على عنقها بكل قوته، فحياته على المحك، وهو لن يسمح لها بالتمكن منه..

الأفعى تقاتل كي تتحرر من قبضته الفولاذية، ولكنه يعلم أن انفلاتها من بين يديه يعني هلاكه..

وعندما فشلت الأفعى في التملص من بين يديه قذفت سمها باتجاه وجهه، ولكنه نجح في إدارة رأسها لاتجاه مخالف في اللحظة الأخيرة ليتفادى السم القاتل، وهو يبلغها بمصيرها بلغتها لو لم ترضخ له، ثم راح بكل قوته يعتصر رقبتها بيديه، وهو يصرخ بلغة الأفاعي:

- أنا سيدك، وأنت سترضخين..

الأفعى تقاوم، ويداه ككلابتين من الصلب..

يكرر كلماته:

- أنا سيدك، وأنت سترضخين..

الأفعى تقاوم، ولكن ليس بالقوة ذاتها ...

يعيد كلماته، وقد عادت له شجاعته، والأب يتابع مبتسمًا، وإعجابه بولده يتضاعف، ويقول بصوت هادر:

- الخضوع دائمًا للأقوى، وأنت الأقوى، فافرض إرادتك عليها.

ضغطه يزداد على عنقها، ويمنع الأفعى من إخراج قصبتها الهوائية خارج فمها لتتنفس، وكان من الواضح أنه بدأ يربح معركته..

وكلما ضغط أكثر تراخى جسد الأفعى أكثر، إلى أن توقفت تمامًا عن المقاومة، فألقاها أرضًا، ووقف أمامها يلهث، ثم أعاد كلماته..

لتلتف الأفعى حول نفسها، وترفع رأسها أمامه، دون أن تقوم بأي حركة، أو رد فعل وكأنها تنتظر أوامره، ليصرخ في ظفر:

- لقد نجحت ... لقد نجحت.

يهز الأب رأسه في حبور ويقول برضا غير معتاد:

- لم أشك لحظة واحدة في هذا، فأنت موهوب، وتحمل أرواح أجدادك، لقد خطوت معي خطواتك الأولى نحو قدرك المرسوم، وعليك أن تكمله، وتنفذ أولى مهامك.

وبذكاء واضح، فهم (يوشع) ما يرمي إليه أبوه، فنظر نحو الأفعى في تصميم، وأمرها بلغتها في صرامة قائلًا:

- في الغرفة المجاورة أحد أعداء سيدك، وعليك أن تنفذي فيه مشيئته.

كان هذا هو الاختبار الحقيقيّ، ولذلك راح قلبه ينبض في عنف.

وكما توقع، ودون تأخير انسلت الأفعى من أمامه بسرعة كبيرة، وخرجت عبر باب الغرفة المفتوح، وهو ما زال على وقفته يلهث من النشوة، وشعور عارم بالقوة يملك عليه نفسه.

وبعد عدة ثوانٍ، تعالى صوت الصرخات المتألمة من الغرفة المجاورة، فاتسعت ابتسامة الأب بشدة، وهو يرمق ابنه في إعجاب مضاعف قائلًا:

- أنت موهوب يا بنيّ، من هذه اللحظة أنت سيد الأفاعي، وعليك أن تجعل هذه الأفعى سلاحك الباطش، ورسولك

لقبيلتها، كل أفعى أو ثعبان جديد يخضع لك، هو جندي حقيقي في جيشك، وسينفذ مشيئتك، ويأتمر بأمرك.

لمعت عينا (يوشع) في قوة، وهو يدير الاسم في رأسه، ويتلذذ به على لسانه..

(سيد الأفاعي)..

يا له من لقب.

وعندما عادت الأفعى إلى الغرفة، أثنى عليها كملك يثني على أحد رعاياه، ثم بدأ معها حوارًا طويلًا ومخيفًا يدل على أن هذا الصبي شيطان حقيقيّ شديد الذكاء، وأن نظرة أبيه له لم تخب.

وأنه ولد في هذا المكان شر جديد لا قبل لأحد به..

وعندما انتهى من حواره الشيطانيّ مع الأفعى، وصرفها لتؤدي مهمتها التي كلفها بها، أشار إليه أبوه ليتبعه؛ فمشي خلفه وهو يرفع رأسه في خيلاء، وشعور الظفر والقوة يسكره، وهو يفكر في حبور؛ أن كل المجهود الذي بذله خلال الثلاث سنوات الفائتة أثمر، وها هو أبوه الذي يكرهه كالموت يثني عليه، ويخلع عليه هذا اللقب، الذي لن يمل لحظة واحدة من سماعه.

وبينه وبين نفسه لم يكن مصدقًا بعد أن الأفعى أطاعته ورضخت له بمثل هذه السرعة، وأنه قد أنهى اختبارات أبيه القاسية التي لم يغفرها له قط.

عبر أبوه مدخل الغرفة المجاورة، ليجد فيها من أسماه عدو أبيه ممددًا على الأرض وعلى وجهه الذي كساه اللون الأزرق -نتيجة سم الأفعى القاتل- أعتى آيات الرعب، وقد فارقته الحياة.

لم تكن المرة الأولى التي يرى فيها جثة، وبرغم هذا انقبض قلبه، فهذا الرجل المذعور الذي فارقته الروح، قد فقد حياته بأمر منه، وعلى يد أحد جنوده الجهنميين..

وعندما شاهده أبوه متسمرًا أمام الجثة والتوتر يظهر على وجهه، أمال رقبته إلى اليمين وإلى اليسار في حركة لا إرادية تلازمه، وشد جسده، ثم ثبت عينيه في عينيّ ولده، وقال في صرامة:

- سيد الأفاعي لا يندم على عمل قام به، لقد كان هذا هو قربانك الأول للسيد الأعظم ... الذي وهبك القوة والمعرفة، فهيا أدِ له الشكر على عطائه، واطلب مباركته..

وعلى الفور فهم (يوشع) ما يرمي إليه أبوه، فاستدار نحو تمثال متوسط الحجم يمثل الشيطان بقرونه الطويلة،

والوجه المخيف وسجد أمامه وهو يقول في رهبة:

- كل الشكر والثناء للسيد الأعظم على منحي القوة واللقب، عبدك المطيع يتمنى أن تتقبل قربانه، وتمنحه المزيد من بركتك..

وأمام عيني (وليد) الهلعتين، دوى على الفور فحيح رهيب بدا وكأنه قادم من كل مكان، ثم رأى ملامح ألم عظيم ترتسم على وجه (يوشع)، الذي شعر بصدره يحترق، فانتزع ثيابه بسرعة، وألقاها أرضًا، وهو يجز على أسنانه في قوة..

وعندما رأى الأب ما يحدث، ووشم الشيطان الأكبر يحفر على صدر ابنه بالنيران، سجد للشيطان في إجلال وتعظيم..

وعلى الرغم من أن (وليد) قد شاهد ما هو أبشع مما دار أمامه في هذه الذكرى الكريهة، فقد تزلزلت أعماقه من الرعب، وهو يرى نظرات الصبي المخيفة، الذي تجاهل الألم ووقف أمام أبيه وعلى وجهه ابتسامة قاسية..

وهنا شعر (وليد) بكل شيء يظلم من حوله، وبوعيه ينسحب، وكل المشاهد تتبخر من رأسه، ليتجسد وعيه في ذكرى جديدة، رأى فيها (يوشع) الشاب، وهو يقف في صومعة أبيه التي كان محرمًا عليه دخولها حتى وقت قريب، وحوله العشرات من الأفاعي، التي تزحف في كل مكان، وهو

يجلس أمام مخطوطة قديمة يقرأ ما فيها..

لقد صار شيطانًا حقيقيًا، بعينيه المكحلتين، ولحيته نصف النامية، وجسده المشدود.. وكان من الواضح أن الأمر يستغرقه، وأن هناك ما يشغل فكره، ولذلك قرر (وليد) أن يدمج وعيه بوعي (يوشع)، ليعرف أكثر.

وعندما اندمج الوعيان، شعر (وليد) بالفزع، فمرور السنوات حولت الصبي الصغير إلى وحش دمويّ كاسر، وكان ما يرتب له هو جريمة قتل، وفي عقله كان يوازن بين العديد من الخطط التي نفذها من قبل لجرائم قتل سابقة..

ثم انتقل عقله إلى مشهد رهيب، فأمامه كان (مازن شهاب) يجلس على عرشه الذهبيّ كملك متوج، و(يوشع) يحني رأسه أمامه في خضوع، و(مازن) يقول بصوته العميق المقبض:

- لقد أصبحت عنصرًا شديد الأهمية للعائلة في وقت قصير يا (يوشع) برغم صغر سنك، واليوم ستحظى بمكافئتك، وستصير يدنا الباطشة، وقائد جيوش الأفاعي والثعابين. السيد الأعظم بنفسه أوصى أن تحصل على الترقية الجديدة، وستصير عضوًا فاعلًا في العائلة، وهذا سيتطلب منك أن تؤدي مهمتك الجديدة خلال سبع ساعات من الآن، فهناك بوق إعلاميّ جديد ظهر ويتتبع أخبار العائلة، ومهمتك

إسكاته بعد أن تجعل منه عبره لم يعتبر.

سيكون هذا قربانك الذي لن تعاونك فيه أفاعيك أو ثعابينك، فهذه المهمة ستقوم بها بنفسك، لنرى مهارتك، ومدى طاعتك وإخلاصك.

وبرغم الطلب المفاجئ، لم يظهر على وجه (يوشع) أي تعبير يكشف عما يدور في أعماقه، وهو يقول في قوة:

- أوامرك، وأوامر السيد الأعظم مجابة، لتعتبر أن هذا البوق المزعج قد صمت إلى الأبد.

رمقه (مازن شهاب) بنظرة إعجاب سريعة، قبل أن يقول بالهدوء ذاته والصوت العميق:

- السيد الأعظم لا يقبل بالفشل، ونحن نعاقب عليه بشدة، لقد تحملت المسؤولية بمجرد أن وقع الاختيار عليك لتنضم إلى العائلة، وعليك أن تثبت أن هذا الاختيار صائب.

شد (يوشع) جسده كجنديّ حقيقيّ، وظهرت القسوة على ملامح وجهه الوسيمة، وهو يقول في قوة:

- سيد الأفاعي لا توجد في قاموسه كلمة فشل.

وهنا أشار له (مازن) أن ينصرف، وهو يقول بالصوت العميق نفسه:

- لقد بدأت مهمتك من الآن.. وعليك أن تسبق عقارب الساعة، فالكثيرون يراهنون عليك.

وفي اللحظة التالية، انتقل وعي (وليد) لذكرى جديدة، شاهد فيها كاميرات إحدى قنوات البث التفاعلية، وهي ترصد سيارة مشتعلة، عجز رجال الإطفاء عن إخماد نيرانها المستعرة، وإحدى المذيعات الهلعات تقول في جزع:

- أكثر من ساعة ونصف على الحادث البشع، ولم تخمد نيران سيارة الصحفي الشهير (مينا معروف). وبرغم وصول سيارات الحماية المدنية بعد وقوع الحادث مباشرة، لكن كل وسائلهم فشلت في إخماد النيران التي التهمت الصحفي وأسرته دون رحمة، وعلى مرأى ومسمع من الجميع. إنها مأساة كبرى ما تزال مستمرة، ولا أحد يعرف متى ستنتهي، وما زال الخبراء عاجزين عن تفسير لماذا لا تنطفئ النيران، رغم غمرها بالماء والرغوة، وإحاطتها بخيام التفريغ الحديثة.. مراسلنا يخبرنا الآن أن رجال الحماية المدنية سيقومون بمحاولة أخيرة لإطفائها، مستخدمين كمية هائلة من الرمال، بعد أن فشلت المياه، والمواد الكيماوية في ردعها ... وهنا يطرح السؤال نفسه بإلحاح: هل هو مجرد حادث عرضي، أم هي جريمة قتل مدبرة؟ وإن كانت جريمة قتل، فكيف حصل القاتل على هذه النيران التي لا تنطفئ، والتي

توحي بشيء خارق للطبيعة؟ وما السبب لاستخدامه مثل هذه الوسيلة الشنيعة لإتمام جريمته؟ وما علاقته بالصحفي (مينا معروف)؟ وحتى تخمد النيران، ويفحص خبراء المعمل الجنائي والطب الشرعي السيارة، نؤكد على الخبر المفجع، وهو وفاة الصحفي الشهير (مينا معروف) وأسرته الصغيرة التي تتكون من زوجته وابنتيه التوأم محترقين في قلب سيارتهم الحديثة ذات الدفع النفاث، التي كان يفضل الفقيد قيادتها على قيادة الحوامات الحديثة، والأقل عرضة لمثل هذه الحوادث.

كان الأمر مخيفًا جدًا، و(وليد) يشاهد السيارة التي ردموها بالرمال، وبرغم هذا تتصاعد ألسنة اللهب من بينها، على نحو يتعارض مع كل القوانين الفزيائية.

وقبل أن يتساءل عن حقيقة ما حدث، عاد وعيه إلى الذكرى الأولى، وإلى المخطوطة التي كان يقرأ فيها (يوشع)، لتتدفق المعلومات المروعة إلى رأسه..

فقد استخدم (يوشع) تعويذة رهيبة، يطلق عليها (النار الخالدة) لتنفيذ جريمته الرهيبة، ولفت انتباه جميع أفراد العائلة إليه، وخاصة (مازن) الذي تواصل معه وهنأه على جريمته البشعة.

فهو لم يجعل (مينا) عبرة فقط، بل وجعل وفاته قصة

خالدة كنيرانه، سيذكرها الجميع لفترة طويلة من الزمن، ولغز لن يفك رموزه إلا قلة من العارفين..

كان مستوىً مخيفًا من القسوة والغرور لم يقابله (وليد) من قبل. الذي كلما ظن أنه لم يعد شيء يدهشه أو يثير روعه، فاجأته تلك الذكريات الملعونة بما هو أفظع..

وقبل أن يتمادى في أفكاره، جاءت الذكرى التالية الصادمة، وشاهد ما جعله يرتجف من أعماقه..

فأمام عينيه، تجسد الشيطان الابن في هيئته المروعة بعينه المطفأة، وجناحيه المهترئين، في الغرفة نفسها المليئة بالأفاعي، وأمامه سجد (يوشع) وهو يقول في تبجيل واحترام:

- أيها السيد العائد، سيدي وسيد العالمين، لقد نجح مسعاي، وأصبحت من صفوة رجال العائلة، وصرت قائد أحد جيوشهم، ويدهم الباطشة، وعينك التي ستكشف لك كل أسرارهم وخباياهم، واليوم أقدم لك القربان الأعظم، (أخنوخ) الخائن..

وهنا اتسعت الرؤية، ليرى (وليد) المشعوذ (أخنوخ) وهو معلق من قدميه في سقف الغرفة، وهو ينظر إلى ابنه في ذهول، وقد ألجمت الصدمة، وفكرة خيانة ابنه له لسانه..

وما أثار ذعر (وليد) أكثر من أي شيء آخر، هو النظرة القاسية التي يرمق بها (يوشع) أباه.

كانت نظرة قاسية كارهة، توحي بغضب عارم، وكأنه بها يستنسخ تجربة ابن الشيطان مع أبيه..

وعندما بدأت الأفاعي في تسلق جسد (أخنوخ)، وغرس أنيابها في كل مكان من جسده، وحقنه بسمومها، كان السؤال الذي لم يجد له إجابة، هو:

- لماذا؟

وظل السؤال يدوي في عقله، وعقل (وليد) دون إجابة: فكيف قلب الشيطان الابن، (يوشع) على أبيه؟ وما الغرض الأساسيّ من وجود جاسوس له بقلب جماعة (مازن شهاب) التي تعبد الشيطان؟ ثم لماذا ظهر له الشيطان الابن بهذه الهيئة، ولم يظهر له بهيئة آكل الموتى الذي استولى على جسده؟

وعندما أظلم عقله أدرك أنه لن يحصل على إجابة سريعة..

فترك نفسه للظلام.

وهذه المرة وجد نفسه ينظر في مرآة..وكان الوجه الذي رآه مفاجئًا.

(٧)

هذه المرة تجسد وعي (وليد) في عقل بكر، لصبية في الرابعة عشر من العمر تدعى (جودي)، كل ذكرياتها تتمحور حول أشياء الفتيات المعتادة، مثل الملابس والمكياج والإكسسوار، والحلم بأن تكون أكبر بسرعة، كي لا يعترض أحد طريقها؛ عندما تمارس ما يمارسه الكبار الذي كان يتلخص في هذه اللحظة في استخدام زبدة الكاكاو ذات اللون الأحمر لتصبغ شفتيها مدعية كونها جافة ومتقرحة، لتقلد أمها التي تضع طلاء الشفاه الأحمر، رغبة منها في أن تكون أكبر وأجمل كعادة المراهقات.

ولهذا وقفت (جودي) أمام المرآة تضع زبدة الكاكاو، وترسمها بدقة، وهي تفكر لماذا لا يسمح لها أبوها بوضع المكياج كما تفعل صديقاتها، إنها لم تعد صغيرة، عليه أن يدرك هذا.

كان الأمر يغضبها بشدة، ولكنها لم تتوقف عما تفعلها، وبلمسة أخيرة انتهت من وضع الطلاء، ومسحت الزائد منه بمنديل ورقي، وعقصت شعرها على هيئة ذيل حصان، وهي ترمق الساعة الرقمية الكبيرة الموجودة في غرفتها، فأمها وأبوها لن يعودا من العمل قبل ساعة كاملة..

وبكل اهتمام انتقت من خزانة ملابس أمها فستانًا قصيرًا، ما أن ارتدته حتى ارتسمت في عينيها نظرة إعجاب، فقد أضاف لها الفستان خمس سنوات فوق عمرها..

وبكل سعادة وابتهاج دارت حول نفسها لينتفخ الفستان من حولها، وتشعر وكأنها فراشة تطير في فضاء الغرفة..

وعندما لمعت الفكرة في رأسها، توجهت صوب خزانة الأحذية وانتقت أحد أحذية أمها من ذوي الكعب العالي، وراحت ترمقه في سعادة..

كان (وليد) يتابعها في دهشة..

فما دور هذه الفتاة البريئة في قصة الشياطين هذه؟

لم يجد إجابة فراح يتابع الفتاة السعيدة، وهي تنتعل الحذاء الذي لم يكن على مقاس قدميها، وقد شعر بسعادتها تنتقل إليه..

ومن أعماقه قرر بعد أن تنتهي محنته هذه، أن يتزوج ليحظى بفتاة مثلها، وصبي كالذي حلم به مع محبوبته المغدورة ... إنه قادر الآن على تحمل تكاليف إنشاء أسرة..

وإن حار عقله في المرأة المناسبة، فكل أحلامه كانت تدور حول فتاة لم تعد في عالمنا، فهل ستكون فتاته القادمة

تشبهها؟

ولكن هل هناك من تشبه ملاكه الراحل حقًا؟

على كل حال عليه أن ينتهي من رحلته المشؤومة هذه، وكل الخيارات ستكون أمامه مفتوحة..

وعند هذه النقطة عادت عيناه تتابعان الفتاة التي كانت تتعثر في سيرها، والحذاء الكبير بكعبه العالي لا يساعدها على الحركة على نحو طبيعيّ أو متزن، فاستندت إلى الحائط، وخرجت من الردهة لتسير عبر الممر المؤدي إلى درج الطابق الأرضي، وراحت تغني بإحدى أغاني الأطفال المرحة..

كانت سعيدة على نحو مدهش..

وتابعها وهي تقترب من الدرج، وتهتز كطير صغير ما يزال يتعلم المشي..

وعندما وقفت أمام الدرج ترمقه في تفكير، لفت هذا انتباهه؛ فالدرج كان يمثل لها تحديًا كبيرًا مع عدم إتقانها السير بالكعب العالي، والحذاء الذي لا يناسب مقاس قدميها.

وراح (وليد) يتابعها في شغف، وهي تخوض غمار مغامراتها الصغيرة..

شاهدها تُمسك بيدها اليسرى الدربزين الخشبي الأنيق، وتهبط بالحذاء درجتين..

فابتسم لمحاولتها..

تهبط درجة أخرى..

فتبتسم هي.

الشجاعة تتملكها، فتترك يدها..

(وليد) يتابعها ويحصر عدد الدرجات في عقله..

درجة..

درجتان..

ثلاثة..

لقد نجحت في نزول نصف الدرج دون مشاكل..

توتره يزداد ويتمنى أن يخبرها أن تقلع عن مغامرتها هذه، ولكنها تواصل النزول..

وجهها يتوتر..

هناك شيء خاطئ يحدث، فهي ترتجف، وتهتز، وقدماها تتوتران.

الوضع يزداد خطورة.

قدمها اليمنى تزل وتنثني أسفلها على نحو مفاجئ، فتتعثر، وتطير فردة الحذاء، فيصرخ في هلع:

- احترسي..

الفتاة لا تسمعه، ولا تشعر بوجوده من الأساس، وهي تهوي بعنف من فوق الدرج..

(وليد) يهتف في اضطراب:

- اللعنة.. ستصاب حتمًا..

لم ينتبه (وليد) إلى أنه بقلب إحدى الذكريات المجهولة، وأنه لا يملك إلا المشاهدة، وغير قادر على التدخل، ولكن قلبه الذي تعلق بالفتاة البريئة جعله لا يفكر، ويحاول تحذيرها في لهفة.

الفتاة تندفع إلى الأمام، وجسدها يدور في الهواء، ثم ترتطم بالدرج الهابط في عنف..

تطلق صرخات مكتومة، وتستنجد بوالديها..

يتابعها بقلب منفطر..

وعندما ارتطمت رأسها بالدرجة الأخيرة، وأطلقت صرخة

مكتومة، وغاب صوتها، وتوقفت حركتها تمامًا، وراحت رأسها تنزف في غزارة، تملكه هلع كبير.

كان (وليد) ينظر نحوها في عجز، دون أن يفهم حقيقة ما يحدث، وفي أعماقه طوفان من التساؤلات:

هل لموت تلك البريئة فائدة في مخطط الشياطين؟

هل يستهدفونها هي، أم يستهدفون والديها؟

الأمور كلها غامضة أمامه..

ينظر للدماء في فزع، وهو يحسب في عقله مقدار ما نزفته..

إنها لو لم تحظ بعناية طبية سريعة فستفقد حياتها..

ومضى الوقت، وهو في أسوأ حال..

وعندما فُتح باب المنزل الخارجي، وكسر صوت خطوات أمها صمت المكان، راح يتابعها في قلق وتوتر.

وفور أن وقع بصر الأم على ابنتها المصابة، وأطلقت صرخة ملتاعة، أدرك أن مخاوفه تتحقق.

وأن الفتاة تحتضر..

وفي اللحظة التالية أظلم كل شيء، وانتقل لذكرى جديدة،

تعبق برائحة الأدوية والمطهرات، وعلى الفور أدرك أنه في إحدى المستشفيات الخاصة الحديثة..

وأمامه كانت الفتاة ممددة على فراش معدنيّ ملفوفة الرأس، ومتصلة بالعديد من الأجهزة الطبية، وبجوارها تجلس أمها الشاحبة، وبالقرب منها أبوها الذي ظهر على وجهه ملامح معاناة كبيرة.

وعندما دخل الطبيب المشرف على حالتها، وراح يفحصها، ويسجل ملاحظاته على جهاز لوحيّ تفاعليّ، هبت الأم من مكانها، وهي تسأله بصوت مهزوم:

- هل من تقدم يا دكتور؟

انتهى من فحصه الدوريّ، وتسجيل ملاحظاته، ثم هز الطبيب رأسه في ايجاب وقال بصوت محايد:

- لقد تضرر المخ تضررًا طفيفًا، وحتى تفيق من غيبوبتها فلن نستطيع حصر الأضرار، ولكن كل المؤشرات الحيوية تدل على أن حالتها تتقدم، والمسألة مسألة وقت لا أكثر..

وهنا رمقه الأب في ضراعة، وكأنه يسأله أن يساعدها بأي طريقة، قبل أن يقول في يأس:

- لقد مر أكثر من أربعة أشهر منذ الحادثة يا دكتور، فكم من

الوقت سننتظر حتى نطمئن عليها؟

أجابه الطبيب بحيادية:

- حتى الآن لا يعرف الطب ميكانيزم الغيبوبة، ولكنها قد تستيقظ في أي لحظة، إن ترنداتها العقلية تدل على أن عقلها يمر بمرحلة الأحلام، وهذا يعني أن عقلها يستأنف عمله على نحو طبيعيّ مجددًا، وكما قلت هي مسألة وقت فقط.

شعرت الأم ببعض الأمل في حديث الطبيب، وفي كون ابنتها تحلم، فقالت في امتنان:

- أشكرك كثيرًا أيها الطبيب، وأرجو ألا تستاء من كثرة إلحاحنا وتساؤلاتنا، فهي طفلتنا الوحيدة، وكل أمل لنا في الحياة..

وقبل أن يجيب الطبيب، أظلم كل شيء، وانتقل (وليد) إلى ذكرى جديدة..

وأمام عينيه، رأى الفتاة نائمة في غرفتها، وهي تحلم، وتتحدث بلغات عجيبة لم يسمع بها من قبل..

وفي أثناء استغراقه في متابعة الفتاة، صك أذنه صوت تكة معدنية، فالتفت ليرى باب غرفتها يفتح في حذر، ووالديها وهما يدلفان في هدوء الى داخل الغرفة، ويقفان بجانب

الفراش وعلى وجهيهما ملامح القلق، والأم تهمس في توتر:

- لا أعرف ماذا أصابها، ولا لماذا تتحدث بتلك اللغات العجيبة، هل تلف عقلها؟ إن ابنتي تضيع مني.. علينا أن نفعل شيئًا!

وهنا ضمها زوجها إلى صدره، وقال في حنان ومواساة:

- أرفقي بنفسك يا حبيبتي، وغدًا نذهب بها إلى طبيب جديد، سأنفق حياتي ذاتها، لو أن هذا ما سيعيدها إلينا، ويخبرنا كيف أصبحت قادرة على التحدث بتلك اللغات الغريبة، وكيف تعود طبيعية!

(وليد) ما يزال يتأمل الفتاة في دهشة، وهو يحاول أن يفهم مثل والديها كيف أصبحت تتحدث بتلك اللغات العجيبة، وكأنها تجيدها كلغتها الأصلية، وذكره ما حدث للفتاة بما أصابه، وكيف أصبح عقله يحتوي على ذكريات لا تخصه.

ولأن هذه الذكريات لا تمنح إجابات، قرر أن يخترق أحلام الفتاة، وتمنى أن يتمكن من هذا، لينجلي كل هذا الغموض المحيط بها.

وقبل أن يسترسل في أفكاره، وجد نفسه هناك في قلب أحلامها، وشعر بصدمة رهيبة..

فقد رأى وعيه يتجسد بقلب مكتبة عملاقة، تحتوي على الملايين من المخطوطات المرصوصة على نحو متجاور، وعلى كل منها قفل مطلسم، من الواضح أنه لا يفتح إلا بتعويذة خاصة..

أخذ يتفحص بعينيه عناوين المخطوطات القريبة منه في ذهول، ودهشته تتصاعد، وهو يفكر أن من يمتلك مثل هذه العلوم قادر على السيطرة على الكون كله، وقهر كل أعدائه..

ثم راح يتحرك بين ممرات المكتبة التي تشبه المتاهة، وبأعماقه يتصاعد إحساس عجيب، بأن كل ما يراه ليس حقيقيًا؛ فلا يمكن أن توجد في عالم الواقع مكتبة بمثل هذا الحجم اللانهائيّ.

وعندما تراكمت الكثير من تساؤلاته، بدأ يحيط بما يحدث علمًا كالعادة، ليدرك أن الفتاة لا تحلم حقًا، بل هي تعيش وهم متقن، بُثَّ إلى عقلها بطريقة سحريّة جهنمية.

لذا راح يبحث عنها في أرجاء المكتبة الضخمة، وهو يتمنى لو كان قادرًا على الحصول على بعض من تلك المخطوطات الثمينة، أو يطلع على محتوياتها الرهيبة على الأقل.

ثم فجأة وجدها أمامه، تجلس بجسدها الضئيل على منضدة متوسطة الحجم، وأمامها مخطوطة كتبت بأعجب

لغة رآها في حياتها، وكأنها مجموعة من النقوش العشوائية غير المتجانسة، والمتداخلة مع مجموعة أخرى من الرموز غير المفهومة، وهي تقرأ ما في المخطوطة، وتعيد كتابتها وترجمتها بلغة أخرى أقل تعقيدًا، في مجموعة من الصحف الخالية، لم يفهم لغتها هي الأخرى..

الفتاة منهكة في القراءة بصوت عالٍ، وترجمة ما تقرأه، وإعادة كتابته، وكأن ما تقوم به تتوقف عليه حياته..

راح يتابعها وهو يتمنى لو كان قادرًا على فهم أي شيء مما تقوله أو تكتبه، ثم لفت نظره رسمة عجيبة لبيضة غريبة الشكل، ممتلئة بالنقوش والرموز.

تأمل الرسمة لبضع لحظات، ولم يفهم أي شيء أو يستطع ربط الخيوط ببعضها..

وعندما انتهت الفتاة، دوى في عقله صوت فرقعة مكتومة، ثم رآها تتجسد أمامه من قلب العدم، الماردة القبيحة (آجر)، وهي ترمق الفتاة في ظفر، وتقول في حبور:

- أحسنت أيتها الإنسية، بإمكانك أن تستيقظي الآن، فمهمتك الحالية قد انتهت، وقريبًا ستكونين معي.

بعض الوعي يظهر في عينيّ الفتاة، وهي تقول في رعب:

- ولكنني لا أرغب في الذهاب معكِ لأي مكان، إنك مخيفة.

صوتها الطفوليّ الخائف يمزق نياط قلب (وليد)، ولكنه يتابع في ذهول ما يحدث، وصوت الماردة يتردد في قسوة:

- إنك كنز كبير، ولا أحد يفرط في سلاح خطير مثلك، ستنسين فور استيقاظك، كل ما قرأتِه وترجمتِه، ولنا لقاءٌ قريبٌ..

أشفق (وليد) كثيرًا على تلك الصبية الهشة، التي جعلتها إصابتها قادرة على قراءة لغة الشياطين السرية وفهمها، وكان من الواضح أن الماردة تستغلها لفك طلاسم مخطوطة (المدون) ابن الشيطان التي استولت عليها، وهربت بها قبل أن يفتك بها الشيطان الأكبر وجنوده، كما فتك بالشيطان الابن وأبنائه ورجاله، في تلك المواجهة الرهيبة التي وقعت في وقت سابق.

ثم تذكر أن هناك حالات مسجلة في التاريخ الطبيّ، تشبه حالاتها، عن بعض البشر الذين يصابون بصدمة كبيرة أو يتعرضون إلى حادثٍ، ثم يفيقون من غيبوبتهم ويتحدثون بلغات لم يسمعوا بها من قبل.

ولكنها المرة الأولى التي يتحدث أحدهم بلغة الشياطين السرية..

إنه ابتلاء شديد على فتاة في عمرها، وهو لا يملك أن يساعدها، كما هو عاجز عن مساعدة نفسه.

رمق الفتاة الباكية لبضع لحظات، ثم ترك عقله ليسحبه للذكرى التالية..

وهذه المرة كان في عقل (آجر) المظلم التي رصدت عبر قدراتها الخارقة، ترددات اللغة السرية للشياطين، ثم رآها وهي تستخدم البندول لتتبعها وتحدد مكانها، وفرحتها عند تيقنها من قدرة الفتاة على قراءة مخطوطة (المدون) ابن الشيطان..

وكان هذا يعني أن هذه الفتاة ستظل على قيد الحياة فقط حتى تنهي مهمتها، وبعدها لن تتركها (آجر) للحظة واحدة على قيد الحياة..

وما أثار دهشته وتعجبه، أن كل أفكارها تركزت على شيء واحد فقط.

على البيضة المطلسمة غريبة الشكل التي رأى الفتاة ترسمها.

ولم يعرف أيّ بيضة هذه التي تحوز اهتمام ماردة مثلها لهذه الدرجة..

ولم يكن أمامه إلا الانتقال إلى الذكرى التالية، ليعرف أكثر..

وهنا اجتاحت روحه موجة برد قارسة.

وأمام عينيه امتد الجليد إلى مدى الأفق، على نحو يخطف الأبصار.

وشعر بخوف رهيب، وهو يتذكر مغامرته على كوكب (اليورك)، وما رآه من أهوال..

(٨)

وعلى عكس كل توقعاته، كان انتقاله هذه المرة سلسًا، فالشخص الذي امتزج وعيه معه، كان شخصا عاديًا، لا علاقة له بمخلوقات (اليورك) الوحشية، أو كوكبهم البارد، كما أن ذكرياته لا تحتوي على حوادث عنيفة مر بها، ولا ممارسات شيطانية قام بها أو شهدها، وأكثر ذكرياته تدور حول عمليات الصيد الدورية التي كان يقوم بها لتوفير اللحم والطعام والفراء لأسرته..

فقط كان هناك ما يثقل روحه، ويشعره بالخوف، والقلق، والتوتر، ولكنّ عقله لم يفصح عنه بعد.

وكان من الجليّ أنه في روسيا، وفي واحدة من أكثر بقاعها برودة وقسوة في المناخ، إلى حد أن معطف الفراء السميك الذي كان يتدثر به فوق ثيابه، لم يمنحه الدفء الكافي لمقاومة ما يشعر به من برودة، على الرغم من أنه قضى جل حياته وسط الثلوج..

أطرافه توشك أن تتجمد، وهو على جلسته هذه منذ الصباح، حتى كاد أن يصير كتلة من الثلج المحيط به..

وكما هي العادة، ترك (وليد) وعيه ليمتزج بوعي ذلك الرجل على نحو كليّ، ليعيش الأحداث القادمة من وجهة

نظره، فمنظر الثلوج المحيطة به أشعرته بالضياع..

وكان هذا هو شعور (يوري) ذلك الرجل ضخم الجثة، كث اللحية، ملون العينين، الذي اغتالت روحه الوحشة، مع افتقاده لوجود أسرته وصحبة رفاقه على نحو كبير، وإن لم يتمن لهم لحظة واحدة أن يوجدوا معه وسط هذا السجن الجليديّ الكئيب.

الوقت يمضي ببطء، وحدة الرياح الباردة تتزايد من حوله..

ينكمش في مكانه، ويضم ياقتي معطفه وهو يرتجف، بينما كان عقله يغلي، وهو يحاول أن يبعد فكره عن ذلك الشيء الذي كان يؤرقه، وأجبره على البقاء وحيدًا في هذا المكان القفر البارد الذي تتجمد فيه الروح ذاتها.

عيناه تمسحان المكان في حيرة وقلق، وكأنه ينتظر شخصًا ما أو حدثًا ما، يتمنى من أعماقه ألّا يحدث.

المكان من حوله معاد جدًا، ولا يمنحه أي أمل، والصمت المحيط به له ضجيج مرتفع، ويفسح المجال لكل مخاوفه القديمة، وحكايات الأجداد التي تخالف معتقداته الحالية، عن رجل الثلوج القاتل، وجنية البانشي، وأرواح القدماء المحتجزة أسفل الثلوج.

عيناه تجوبان المكان في توجس، وتتوقفان عند جبل

الجليد الماثل أمامه، كامتداد للوحة البياض المفزع التي تمتد حوله من كل الاتجاهات.

لا يعرف كيف نجح في الوصول إلى هذا المكان الموحش المتطرف- الذي لم تطأه قدم إنسان منذ قرون- على قيد الحياة، بعد أن خرج متسترًا في جنح الليل من قريته، التي تبعد عن هذا المكان مئات الفراسخ.

خاصة وأنه منذ فارقها، ودخل إلى هذه الصحراء الجليدية المقفرة، يلازمه شعور مقبض بأنه يسير نحو حتفه.

ومن أعماقه كان يعلم أنه لم يكن ليجرؤ على خوض مثل هذه المغامرة الشاقة بإرادته، ففي كل شبر من هذه الصحاري القارسة شديدة الخطورة التي تنخفض بها درجة الحرارة لأكثر من عشرين درجة تحت الصفر، يتربص به الموت.

الموت الذي رآه رأي العين، وهو يعبر الوديان القاحلة التي عجزت النباتات عن إيجاد مأوى لها فيها، ويتسلق عشرات الوهاد والهضاب المرتفعة التي اعترضت طريقه الوعر، وكأنما كتب عليه الشقاء.

إنه يقوم بمغامرة جنونية مستحيلة..

فلا أحد يرتحل في هذه الصحراء الجليدية، وسط هذا الصقيع، والمخاطر المجهولة وحده، دون رفيق، أو وسيلة

تواصل مع العالم الخارجيّ، إلا لو كان يسعى للانتحار.

وهو لم يفكر في هذا الأمر في حياته، ولو مرة واحدة، فقط هو يتبع ذلك الصوت القاهر، الذي لم ينفك يدفعه دفعًا إلى الذهاب إلى تلك المنطقة الخالية من كل سبل الحياة، والتي يفوق احتمال الضياع فيها العودة مئات المرات.

إنه ملحد، لا يؤمن بوجود إله للكون، ولا يؤمن بوجود عوالم أخرى خفية بها أنواع أخرى من المخلوقات غير البشر.

فقط يؤمن بالطبيعة، ويؤمن أنه يبدأ منها كل شيء، وينتهي إليها كل شيء، والإنسان يعيش حياته ويموت ويدفن، فتمتصه الأرض، ليخرج في مكان آخر إنسان آخر يكمل دورتها..

لا وجود للقوى العليا أو المخلوقات الخفية، أو الحماقات التي يطلقون عليها الأرواح الشريرة في قاموسه أو معتقداته، ولكنه لم يستطع أن يخالف هذا الصوت الرهيب، وشد رحاله إلى أن وصل بجوار هذا الصدع المخيف الذي ينذر بألف كارثة قادمة..

في البداية ظن أنه جُن، أو أصابه مرض عقليّ، ثم فرض الصوت سيطرته على أطرافه كما فرضها على عقله من قبل، فخاض الأهوال ليقوم بتلك المهمة البغيضة والمملة في

النهاية..

أن يراقب الجبل..

لماذا؟

لا يعرف.. فالصوت لا يفسح له المجال للتساؤل أو الحصول على إجابات، ولا يتوقف عن تذكيره بمهمته، وحثه على مواصلة المراقبة الدؤوبة، وتجاهل كل شيء آخر، وإلا فإن مصير بشع لا يمكن أن يتخيله ينتظره، وينتظر كل أفراد أسرته من بعده.

وانصاع هو لهذا الصوت القاهر، الذي جعل خوفًا أثقل يتسلل إلى أعماقه، والكثير من الشك يضرب معتقداته في مقتل؛ فقد أصبح موقنًا الآن من أن هناك عالم آخر مجهول عنه، يأتي منه هذا الصوت المروع، الذي صاحبه في رحلته الطويلة عبر الصحراء الجليدية.

وهو الذي دله على هذا الكهف الذي اتخذه مقرًا لإقامته منذ حضر إلى هذا المكان المقفر، الذي يصعب حتى عليه هو الصياد ومقتفي الأثر الماهر أن يعثر عليه وسط هذه الثلوج الكثيفة.

وهو الذي يجبره على مراقبة هذا الجبل الجليديّ طوال الساعات الماضية، حتى كاد أن يصاب بالعمى الثلجيّ ...

الوقت يمضي ببطء أكثر، والخدر يتسلل إلى أطرافه، والنوم يثقل جفنيه، وهو على وشك أن يسقط في شباكه، ولكنه يقاومه في صعوبة، ففي المرة الأولى التي استسلم لسلطانه، سرت في أوصاله حرارة شديدة، وأصابته صاعقة من الألم، والصوت القاسي يحذره من الغفلة أو النوم..

إنّه صياد، ويعلم أن للجسد البشري حدودًا، وفي لحظة ما لن يستطيع جسده الصمود، ولا يعرف مصيره في حينها، فالنوم أو فقدان الوعي في مثل هذا المكان لا يعني إلا الموت، وهو لا يخشاه كما يخشى الصوت.

إنه وحيد في هذه الصحراء الجليدية، ولو أصابه مكروه فلن يجد من يهم بنجدته، أو يقدم له يد العون، كما أنه يعرف أن الانهيارات الجليدية أصبحت تحدث دون توقف بعد أن ارتفعت درجة حرارة الأرض نتيجة التلوث البيئيّ والاحتباس الحراريّ، والبحيرة التي يطفو على سطحها الجبل الجليديّ، لم تكن كذلك منذ عدة أشهر، لقد سمع هذا في الأخبار..

المكان كله معرض لكارثة في أي وقت، والجليد قد تصدع بالفعل!

فهل كان أحمقَ عندما أنصت لذلك الصوت؟

وهل كان يملك رفاهية الرفض؟

الرياح الباردة تضرب وجهه وجسده بلا رحمه، فلم يجد بدًا من أن يغادر موقعه ليُعدّ بعض الحساء، فلن يتحمل قرصة الجوع والبرد معًا.

إنه لم يحضر معه مؤنًا كافية، فلم يكن يتوقع أن تطول الرحلة إلى هذا الوقت، ولا يدري إلى متى سيستمر في مراقبة الجبل!

يعود إلى الكهف الذي بدأت ناره التي أشعلها بداخله منذ ساعات تخبو، فوضع آخر دفعة لديه من الأخشاب، حصل عليها من زحافة الجليد التي كانت وسيلته للعودة ليذكي قوتها، لترتفع طقطقة النيران في الحطب، ليستدير ويتناول مجرفة الثلج من جوار مدخل الكهف، ليجرف بها بعض الجليد المتراكم خارجه، ويحمله معه إلى الداخل، ويفرغه في قدر متوسط الحجم كساه السخام من الخارج، وحمله ووضعه على النار لتذوبها، وهو يضيف إليها بعض الفاصوليا المعلبة، وقطع من لحم القواع أو الأرنب البري الطازجة الذي لم يبذل أي جهد في صيده هذا الصباح، بعد أن تقدم منه وظل يداعب قدميه كأي حيوان أليف على نحو مريب، ليقبض عليه من أذنيه، ويفصل رأسه بسكينه الحاد عن جسده دون أي مقاومة، لتسيل دماؤه وتغرق الجليد، ليشرع

بعدها في سلخه، وانتزاع أحشائه، وتقطيعه إلى أجزاء صغيرة، والآن حان وقت طهوه.

الدفء بداخل الكهف مخدر، ولكن الصوت يحذره من الاستسلام له، ويحثه بإلحاح على الإسراع في العودة إلى مراقبة الجبل الجليدي..

كان يشعر بالخمول، ولكنه لم يستطع ألا ينصت إلى الصوت..

ترك الحساء لينضج على النار، وخرج ليجلس أمام الكهف، ليراقب الجبل.

الوقت يمضي، والجبل على حالته..

لا جديد يذكر..

جفناه ثقيلان، وبصره بدأ يتشوش، ولم يعد قادرًا حتى على التفكير.

وعندما هبت رائحة الحساء من الداخل، عاد إلى الكهف متلهفًا، وغرف بالمغرفة الكثير من الحساء، وحمله معه إلى الخارج، وراح يتناوله في نهم..

دفء الحساء يتسلل إلى جسده، ويذيب ثلوج روحه..

فيبدأ في غناء أنشودة قديمة:

(يا سيدة الثلوج فلترقصي..

روحي معك ترقص..

الشتاء طويل، ولا شيء يقهر الثلج غير رقصتك.

فلتهتزي، وتطربي، فقلبي يخفق،

وكياني يرتجف من عذوبة رقصتك..

فلتهتزي وتطربي)

وهنا احتبست الكلمات في حلقه، عندما اهتزت الأرض بالفعل تحت قدميه، وتوسع الصدع بسرعة رهيبة، جعلته يترك الوعاء الذي به بقايا الحساء ليسقط أرضًا، وهو ينظر في ذهول ورعب إلى جبل الجليد الذي انشق إلى نصفين، وعلى البعد بدأ انهيار جليديّ رهيب راح يكتسح أمامه كل شيء.

لم يكن يعرف ماذا يفعل، أو إلى أين يهرب!

صحيح أن الانهيار الجليدي بعيد عن مكانه، ولكنه أغلق أمامه كل سبل العودة..

الصوت يعود أكثر قوة، ويخبره أن يتقدم نحو الجبل..

الأرض الجليدية ما زالت ترتجف، وصوت انهيار الجليد

يصم أذنيه، والصدع يتسع، ولكنه يطيع الصوت صاغرًا ويتقدم..

وفور أن خطا عدة خطوات للأمام، انفصل نصف الجبل مع الكتلة الجليدية التي يقف فوقها ليسبح في قلب الماء، ليصبح وحيدًا بلا مأوى أو مؤن، ولكن قدميه ما زالتا تتحركان دون إرادته..

وعندما اقترب أكثر، لمح الفجوة في قلب الجبل، فذهب إليها، ليخبره الصوت أن يحفر في الثلج..

لم تكن المجرفة معه، فقرر أن يستخدم سكينه، وبدأ يحفر، وأطرافه توشك أن تصاب بقرصة الصقيع..

الجو من حوله يزداد برودة، والخوف يجعل أعماقه أكثر بروده، ولكنه لم يتوقف عن الحفر..

يشعر بالكتلة الجليدية تتحرك..

ولكنه يواصل الحفر..

الحفرة تتسع..

فيواصل الحفر

الصوت يحثه على المزيد..

فيواصل الحفر

وفجأة اصطدم سكينه بشيءٍ معدنيّ فتوقف عن استخدام السكين، وراح يحفر بيديه حول هذا الشيء، وعندما ظهر لعينيه توقف وشهق من الدهشة والانبهار..

فأمام عينيه ظهر صندوق عجيب متألق مصنوع من الكهرمان، تظلل جوانبه نقوش فضية عجيبة لم يفهم منها حرفًا، وإن كان من الواضح أنه يخفي بأعماقه شيئًا ثمينًا..

لقد قاده الصوت إلى كنز..

وبكل حماسة استخدم سكينه لفتح الصندوق، ليشهق في قوة عندما وقع بصره على محتواه..

فبداخله استقر حجر كريم يشبه البيضة، في حجم ثمرة أناناس كبيرة، لونه فيروزيّ لامع..

قبض على الحجر البيضاويّ بيديه، ثم شهق مجددًا، فقد كان أكثر برودة من الثلج المحيط به، كما أنه انبعج بين يديه، ثم عاد لهيئته الطبيعية عندما تركه ليسقط في الصندوق، وكأنه من مطاط..

لم يفهم حقيقة تلك البيضة الفيروزية العجيبة، ولا كيف يمكن أن تكون حجرًا كريما، وهي بهذه المرونة!

الأحجار الكريمة صلدة وقاسية..

فأي شيء يمكن أن تكون؟

نظر إلى البيضة في توتر، وهو يفكر في الخطوة التالية بعد أن صار معزولًا عن كل شيء، فوق هذه الكتلة الجليدية المتحركة، وفجأة تذكر أسطورة قديمة، وردد في هلع:

- أيمكن أن تكون بيضة تنين؟

وهنا دوت فرقعة عاتية، وانشق الهواء أمامه ليخرج من داخله، الماردة (آجر) بسحنتها القبيحة وهيئتها المقبضة، وهي تنظر إلى البيضة في جشع وجناحاها يخفقان في قوة، وهي تجيب عن سؤاله قائلة:

- بل هي بيضة الشيطان..

شعر بالهواء يحتبس في حلقه، وهو يرمقها في رعب!

كانت أبشع من وصف القدماء لجنية البانشي، التي طالما أثارت فزعه في طفولته، ولم يؤمن بوجودها عندما شب عن الطوق، واعتنق أفكاره الإلحادية.

وكتمثال تلجيّ شديد البشاعة، وقفت أمامه الماردة في صمت لبضع لحظات، متجاهلة وجوده، حتى فاض به الكيل، وعندما هم بالحديث لجم شيء لسانه، ومنعه من الكلام أو

الحركة، وكأنما أحاطت بأنفه وأطرافه يد عملاقة خفية.

وعندما بدأت الماردة المخيفة تردد تعويذتها الرهيبة، لم يستطع أن يسيطر على نفسه من الرعب، وهو ينظر إلى عينيها المشتعلتين، وجناحيها الناريين الخفاقين، وراح يصرخ في هلع، وفقد سيطرته على مثانته فأغرق ثيابه..

وفي اللحظة التي شعر فيها بجسده يُضغط، أدرك أنها النهاية، وراح يزوم من الألم، وتلك القبضة الخفية تسحق جسده بكل ضراوة.

وعندما تفجرت كرتا عينيه، وانبثقت الدماء من كل فتحاته، غادرته الروح وسقط جثة هامدة على الجليد الذي تشبع بدمائه، انفصل وعي (وليد) عن وعيه، بعد أن قاسى معه آلام السحق العنيفة، ليرى الماردة المخيفة تُخرج البيضة من الصندوق، وتضعها فوق بقايا الجثة المنسحقة، لتمتص دماؤها في شراهة، لتتوهج بعدها البيضة بقوة، قبل أن تعود إلى هيئتها الطبيعية، لتصرخ الماردة بلغتها الغريبة التي كان يفهمها بسهولة:

- بدم الأحفاد أكسر تعويذة الأجداد..

ثم قبضت على البيضة، الرهيبة، وحملتها معها، وتركت خلفها الجثة المنسحقة، لـ(يوري) الحفيد غير الشرعيّ

للساحر الروسي الأشهر (راسبوتين)...

كانت صدمة (وليد) مروعة بعد أن قفزت المعلومة الرهيبة إلى عقله، فراح يسأل في لوعة:

- ما علاقة الكاهن الماجن (راسبوتين) بما يحدث؟

وهنا انسحب وعيه، لينتقل بعنف إلى عقل (راسبوتين) الرهيب، الذي كان أشد ظلامًا وبردًا من قبر جليديّ محكم..

وهناك رآه في حضرة أحد معاوني الشيطان الأكبر المقربين، وهو يعيد إليه الصندوق، ويوصيه بالمحافظة عليه، وحفظ سره إلى الأبد، لأنه مفتاح لشر رهيب.

ثم انتقل وعيه إلى ذكرى أخرى، رأى فيها (راسبوتين) الرهيب، وهو يخط بيديه تلك النقوش على جانبي الصندوق، قبل أن يقطع به الصحراء الجليدية، ويدفنه بقلب الجبل..

(راسبوتين) الذي كان له المئات من العلاقات غير الشرعية مع النساء التي وصلت للأسرة الحاكمة في حينها، والذي عندما تأمر عليه النبلاء وقتلوه بعد محاولات عديدة فاشلة، انتقل السر إلى ذاكرة أحد أبنائه ومنه إلى أحفاده...

ذلك السر الذي اطلعت عليه الماردة (آجر) في المخطوطة التي كتبها المدون ابن الشيطان، وتتبعتها بكل مهارة،

وسيطرت بقدراتها الفذة على إرادة الحفيد غير الشرعيّ، وأجبرته أن يخرجها..

وتلك البيضة ستكون هديتها لسيدها، ابن الشيطان، فهي دليل الولاء، وسلاح قاهر سيغبطها عليه.

وبرغم كل الهول الذي رآه (وليد) لم يعرف الهدف من هذه البيضة..

ولا لماذا منحها معاون الشيطان الأكبر لذلك الكاهن الداعر (راسبوتين)؟

ولا ماذا سيكون دورها في الأحداث؟!

ولكنها أثارت فضوله على نحو رهيب، فقرر أن يتتبع الذكريات..

وعلى الفور ساد الظلام..

ثم وجد نفسه في أروع مكان يمكن أن يقع عليه بصر مخلوق حيّ..

فهذا الجمال الخلاب الذي فاجأه بعد تلك الذكرى الرهيبة لا يمكن أن يوجد على الأرض بأي حال من الأحوال.

بل في الملكوت الأعلى.

(٩)

الذهول هو ما أصاب (وليد)، وهو يرى البساتين والمروج الخضراء الممتدة أمامه إلى مدى البصر، والسماء الصافية النقية التي يتوسطها قمر مكتمل ظهر لعينيه رغم ضوء النهار الذي يغمر المكان، فأكمل لوحة السماء المبهرة..

ثم شاهد الوديان الخلابة التي تقطعها أنهار الماء الصافي، والعسل النقي، واللبن المصفى، والخمر المتدفق، وعيون الماء التي تنبع من باطن الأرض في تنسيق ونظام مبهرين، والقصور الذهبية والفضية والبلورية، التي تتلألأ في صورة ساحرة.

كل هذا رآه من منظور عين الطائر، وهو يسبح في سماء المكان، وكأن لا تأثير للجاذبية عليه..

كل شيء أمامه ساحر على نحو يحبس الأنفاس، ويخطف الأبصار، ويدير الرؤوس..

جمال خلاب لم يخطر له حتى في خياله..

ثم دوت الفكرة المذهلة في رأسه.. وانتشت لها روحه.. إنه في الجنة.. في الفردوس الأعلى.. المكافأة التي وعد بها الخالق العظيم الصالحين..

وهنا تجمد عقله لبعض الوقت، وبدأ يشعر بالتوتر والارتباك؛ فهذه المشاهد تعني أنه مات، وأن روحه قد غادرت الأرض، وصعدت إلى الملكوت العلويّ، وفي طريقها إلى الجنة!

ولكن كيف تخطى مرحلة البعث والحساب، والبرزخ؟

وكيف لمن هو مثله أن يحظى بالجنة؟

إنه خلال حياته القصيرة، كان بعيدًا كل البعد عن الخالق، وفي سخط دائم على قدره، وعلى كل الأوضاع المحيطة به، ولم يعرف قلبه الرضا أو الإيمان.

وعقيدته تخبره أنه لا ثواب بلا عمل، ولا يذكر عمل صالح واحد قام به، إلا لو كان من خلاله يبحث عن مصلحته الخاصة.

وبشرود تام راح يتأمل أسراب الطيور الفضية البديعة التي تمرح في سماء الجنة، وآلاف الأفكار تتصارع في رأسه، وتلتهم بعضها بعضًا، يسكره ما يراه من جمال.

الجنة، يا لها من خاتمة!

إنها أروع نهاية لمغامراته الموحشة، التي عانى فيها على أيدي هؤلاء الشياطين، الذين حولوا واقعه وخياله إلى جحيم، وفقد على أيديهم وجهه، وأطرافه..

فهل حان الوقت ليستعيد كل ما فقده؟

كانت عيناه تلتهمان المشاهد الأخّاذة المحيطة به في نهم، وكأنه يرغب في أن تتشبع روحه التي تشوهت بكل هذا الجمال الذي لا مثيل له.

يسبح في السماء كطائر دُريّ لا تحده قيود أو حدود، فيجذب بصره انعكاس الضوء على الطرقات المرصوفة بالذهب والفضة، ويخلب لبه مزارع الفاكهة والنخيل الغنية بالثمار، التي تتناثر إلى مدى البصر في ترتيب ونظام مذهلين، ليصنعوا معًا لوحة فنيّة لا مثيل لها، مريحة للأعصاب والعيون.

كل شيء أمامه يشع بضياء غامر ودفء، وإن لم يظهر أمامه مصدر هذا الضياء العجيب، فالسماء بلا شمس، ولا يوجد غير قمر واحد في قبتها، لا يمكن أن يبعث كل هذا الضياء..

فقط ضوء غامر يتدفق في انسيابية عبر السماء الصافية، وينعكس على كل الموجودات، وكأنما جميعها تتألق بضوء ذاتي مريح..

جسور من ماس براق، وأخرى من أخشاب ثمينة، وثالثة من معادن ملونة، تتقاطع فوق بحيرات رقراقة تحوطها

الرمال الناعمة من كل جانب، وتسبح في قلبها أسماك ومخلوقات بحرية مختلفة الألوان والأحجام، لا يمل المرء من رؤيتها ومتابعتها.

مراعٍ خضراء ترعى فيها أنواع مختلفة ومتنوعة من الحيوانات، من كل الأحجام والأشكال، حتى المنقرض منها، وجميعها تتحرك في هدوء وتآلف تام، فلا يفتك بعضها ببعض أو يؤذي بعضها بعضًا، وكأنهم قد تألفوا أخيرًا فأدركوا معنى السلام..

قطعان من الخيول المجنحة، تزاحم الطيور الفضية المشعة في السماء الزرقاء، ويصنعان معًا تشكيلات غاية في الروعة، دون أن يخشى أي منها فخ أو صياد..

المكان كله في أبهى شكل وصورة، وكأنما خلق من فوره..

والهدوء يعزف ترنيمة سلام خافتة.

وعقله ما زال عاجزًا عن استيعاب كل هذا الإعجاز المحير، الذي تخطى كل أسوار الخيال.

وفي كل مسافة يقطعها كان هناك الجديد!

فبعد أن مر على مروج الأزهار، وتشبعت روحه بعبيرها الساحر، رأي على قمة تل متوسط الحجم، يطل على بحيرة

صافية، ويحيطها درجات هابطة من صخور شفافة، قصر متلألأ منيف، يحتل مساحة التل كلها، ويحيط به أسوار من أشجار متسلقة متداخلة الألوان.

جذب القصر انتباهه بشدة، وشعر بأنه ينتمي إليه على نحو ما، وتمنى لو يرى ما بداخله، بعد أن بهره معماره المدهش.

وفي لمح البصر، وكأنما تتحقق الأحلام بمجرد تفكيره فيها، وجد نفسه بداخل إحدى ردهات القصر، فصعقت روحه من جمال ما يراه وثرائه.

إنه بداخل تحفة فنية لم يصل لسرها خيال كاتب أو فنان..

فالقصر بُنيَ من معدن لامع شفاف، يعكس كل شيء من حوله كالمرآة، وطرقاته الداخلية صُنعت من زجاج شديد الصفاء، أسفل منها مجارٍ مائية تغص بالشعاب المرجانية الساحرة، وتسبح بقلبها مخلوقات بحرية عجيبة الشكل تشبه عرائس البحر التي تبدو كلوحات طبيعية غاية في الجمال، ليخجل المرء من المرور فوقها بقدميه. وجدرانه جميعها كاشفة للجمال الطبيعي الخارجيّ، دون أن ينكشف لمن بالخارج ما يوجد أو يحدث في الداخل..

وحتى هذه اللحظة لم يكن (وليد) قد قابل أي من عمار الجنة، وكأنه أول من يدخلها..

وظل على هذا الحال، يطوف في أنحاء القصر المبهرة دون أن تفتر حماسته أو يشعر بالسأم، وهو يتفقد غرفه العديدة غرفة تلو غرفة، واستوقفته الأسرة المصنوعة من الذهب ذات الشراشف الحريرية الخضراء، والطنافس الموشاة بالخيوط الذهبية البراقة، والأثاث المصنوع من الفضة، والمطعم بأحجار كريمة لم ير بعضها في حياته..

حتى رآهم هناك.

كدفقات من ضوء رقراق يتحركون في أنحاء القصر، الذي غصت موائده بكافة أصناف الطعام والفاكهة والمشروبات التي خطرت، أو لم تخطر له على بال.

وعلى الفور تذكر اسم تلك المخلوقات التي لا شبيه لها في الهيئة أو الجمال..

(الولدان المخلدون).

خدم المكان، وقاطنو الجنة، بهيئتهم الآسرة الذين يبدون للناظر وكأنهم خلقوا من بلور أو لؤلؤ متوهج، وهم يحملون الصحاف المتألقة المصنوعة من الذهب والفضة، ويطوفون في أنحاء القصر المنيف، ويعدون كل شيء بانتظار سيدهم.

إنه يذكر الآن كل ما قرأه وسمعه عن الجنة، فأبوه الراحل كان متمسكًا بدينه وعقيدته، وأراد أن يكون ابنه الذي خرج

من صلبه مثله، فلم يبخل عليه بمثل هذه القصص.

وحتى المحاكي كان بداخله تصور عن الجنة، وإن لم يصل لمثل هذا الجمال الساحر، فجنته كانت مجرد مخور بشريّ مفعم بالرغبات والشهوات.

وكم شطح خياله كثيرًا، مع عبارة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مقارنًا أحوالهم المتدنية، وفقرهم وعوزهم، وصراعهم من أجل زجاجة نظيفة من الماء أو بعض الطعام في أيامه العجاف، وأبوه الراحل يحثه على الصبر الذي لم يكن من صفاته، ويذكره بالنعيم وما ينتظره فيه..

إن خياله الخصب الذي أطلق لجامه زياراته للمحاكي، لم يصل إلى لمحة واحدة مما يراه الآن.

لقد صدق والده، وصدق وعد الخالق العظيم..

فالجنة أرض الأمنيات، ومهما تمنى أو طلب أو بالغ في التخيل، فهناك المزيد الذي لن يصل إليه خياله..

صوت ما يخبره أن هذا هو مكانه..

وهذا القصر هو مكافأته..

وكل هؤلاء الخدم طوع بنانه..

شعور جارف بالراحة والنشوة يكتنفان روح (وليد)..

حتى لو كان هناك المزيد، فهو لا يرغب في المزيد..

فما يراه يكفي ويزيد، وتعويض أكثر من كافٍ عن مشقته في الدنيا.

وفجأة تبدلت المشاهد، ووجد نفسه في وادٍ فسيح، وعندما رفع عينيه إلى السماء، ورأى الملائكة متعددي الأجنحة بهيئتهم المبهرة التي تثير الرهبة في القلوب، تاه عقله..

كان ما يراه كثيرًا جدًا على استيعابه، وأكثر مما يتمنى أو يتوقع لنفسه، وعندما دوى التساؤل المحير في عقله:

- هل كل هذا لي حقًا؟

راحت المعلومات الصادمة تتدفق إلى رأسه دون هوادة، وبدأت كل مشاعره تنقلب من النقيض إلى النقيض، ويصيبه ارتباك وفزع بلا حدود؛ فليس هذا النعيم من أجله، وليس هذا هو مصيره النهائيّ، فكل ما يراه جزءٌ من ذكريات ذلك الأفاق الدمويّ الآثم (يونس فهمي)..

أصابه زلزال عنيف من الإحباط..

وسكن روحه الغضب وهو يتساءل في استنكار:

- كيف يكون كل هذا النعيم مخصص لحقير مثله؟

يوجد شيء خاطئ بالتأكيد..

إنّ هذا الوغد لا يستحق إلا أن يُسجر في الدرك الأسفل من النار مع الطغاة والسفاحين والمنافقين، ليحترق هناك ويتعذب على كل أخطائه وفجوره، وكلما مات بثث فيه الروح ليتعذب مرة أخرى عقابًا له على شروره وآثامه.

راح يصرخ بداخل عقله، والغضب يستعر في أعماقه كنار الجحيم:

- إن هذا ليس عدلًا.. ليس عدلًا!

وقبل أن ينهار عقله من كثرة التفكير والاعتراض، تجسدت في عقله ذكرى قديمة، وتذكر حديث (يونس فهمي) السابق عن زيارته لجحيم وفردوس الشيطان الأكبر مستخدمًا الإسقاط النجميّ المدعوم بسحر أسود خاص..

وكان هذا أكثر من تحمله..

فالشيطان الأكبر لم يكتف بالتمرد في السماء، وإفساده البشر على الأرض بوسوسته هو وزبانيته، بل هو يطور استراتيجيته الملعونة، يحاول الآن أن يقوم بتقليد الخالق، وصنع نعيم لأتباعه، وكأنَّ هذا الملعون قادر على إحيائهم بعد

موتهم.

لم تلقَ الفكرة في ذهن (وليد) أي صدى، فمهما امتلك هذا اللعين من علوم وخبرات، وقدرات، فله حدود، وأكبر حدوده هي عجزه عن منح الحياة أو إحياء الموتى..

إن وراء فعلته هذه سر آخر ما يزال يجهله.

فلن ينفق الشيطان كل هذا الوقت والمجهود والموارد، لمجرد خداع أتباعه من شياطين الجن، أو شياطين الإنس كـ (مازن شهاب)، و(يونس فهمي)، وهو قادر باستخدام سحره، أو تقنيات البشر على غسل أدمغتهم، أو زرع وهم مُعزز في عقولهم يغنيه عن كل هذه المشقة، على نحو أسهل وأسرع.

فإنشاء جنة زائفة، لم تكن فكرة جديدة، ولقد فعلها من قبل قائد الحشاشين (الحسن الصباح) مستخدمًا نبات الحشيش المخدر، وحديقة غناء ممتلئة بالجواري والخمور والأطعمة، صنعها في سريّة تامة ليوهم أتباعه بزيارة الجنة، ونجح إلى حد كبير، إلى حد أنهم كانوا يطيعونه دون نقاشٍ حتى على قتل أنفسهم.

ولكن الوضع هنا مختلف، وما يراه ليست مجرد جنة محدودة كجنة (الصباح) بل هي جنة هائلة، بحجم كوكب يبلغ أضعاف حجم كوكب الأرض، وتكفي لاحتواء كل سكانه،

ولعدة أجيال..

فما الذي يخطط له الشيطان حقًا؟

الآن يذكر (آكل النيران) ذلك الوحش الرهيب، الذي سيطر عليه الشيطان الابن، واستدعاه من جحيم الشيطان الأكبر، وحاول أن يستخدم قدراته الرهيبة ضد أبيه، ويذكر الآن حوارهم..

إنَّ هذا اللعين ينشأ جنة ونارًا صناعيين لهدف أكبر من إقناع أتباعه باتباعه..

يوجد غرض آخر أخطر، وعليه أن يعرفه..

وربما هذا هو السبب الذي من أجله عاد، ويصر الشيطان الابن على أن يخوض بسببه هذه الذكريات..

وقبل أن يغرق في أفكار جديدة، تغيرت المشاهد، ومن قلب الجنة، اشتعلت أمام عينيّ (وليد) نيران الجحيم؛ إلى حد أنّه كان يشعر بصهد النيران ولهيبها يحرق روحه ذاتها.

هذه المرة كان يدرك أنه يرى الجحيم بعيني (يونس فهمي) ولم يسمح لعقله بخداعه.

وعلى الرغم من أنه يدرك أن هذا ليس مصيره النهائي بعد، ولكنه شعر بالفزع، وهو يشاهد كل شيء من نفس منظور

عين الطائر.

السماء حمراء مقبضة، تخترقها سحب سوداء داكنة تحجب أي ضوء، والغلاف الجويّ بأكمله مغطى بسحابة هائلة من الدخان الخانق، وكأننا بداخل محرقة جثث عملاقة.

ضباب ساخن تحركه الرياح على شكل عواصف هائلة، تجتاح على نحو عنيف، الجزر العملاقة السوداء التي تتصاعد منها صرخات وتوسلات مزلزلة، توحي بأن هناك من ينكل بهم ويلاقون أشد أنواع العذاب والعقاب.

من أعلى يبدو الكوكب كله كمحيط هائل من الحمم المنصهرة، الذي يحتضن تلك الجزر المخيفة التي تتصاعد منها، أدخنة سوداء خانقة..

وكلما اقترب من الجرز ظهرت تفاصيل أكثر بشاعة، كالجبال المشتعلة، وعيون اللهب، والحفر العميقة التي لا قرار لها، والتي لا تكف الأبخرة الحارقة عن الخرج من فوهاتها..

وعندما اقترب أكثر، لمح ذلك الوادي المقفر، الذي نصبت فيها الصلبان العملاقة، التي صلب عليها المئات من المخلوقات، المختلفة الهيئة، بعضها بشري، وبعضها يشبه الشياطين، والبعض الآخر، يشبه الزواحف، ومخلوقات

أخرى لم يرَ له مثيلًا، ما بين عمالقة وممسوخ وأقزام، من له جسد دون أطراف، ومن هو متعدد الأطراف، ومن يشبهون الأشباح بأجسادهم الطيفية، وزبانية مشوهون يقومون على تعذيبهم دون رحمة أو شفقة.

مجموعة منهم سُلخت جلودهم، وصب النحاس المصهور على أعضائهم العارية، وهم يصرخون ويتلون من الألم الحارق.

ومجموعة أكبر تمزقهم سياط حادة تشق اللحم شقًا، وهم يستغيثون ويطلبون الرحمة.

هذا غير من علقوا في وسط حفر الماجما المشتعلة التي تلتهمهم ببطء من أقدامهم إلى رؤوسهم، وهم يتلون ويصرخون على نحو يمزق نياط القلوب..

ثم رأى من يسحلون على أيدي زبانية الجحيم على أراضٍ غير ممهدة، وتسحق عظامهم بمقامع من حديد.

وعندما رآهم وهم يسلكون البعض بسلاسل مشتعلة تدخل من أدبارهم وتخرج من أفواههم لم يتحمل المشهد، فراح يصرخ ويصرخ ويصرخ، فانتقل وعيه إلى داخل إلى إحدى القلاع التي مر عليها منذ وقت قصير، لتنتفض روحه من الصدمة والوحشية.

فالعديد من المخلوقات كانت بداخل إحدى قاعتها، موضوعين على أسياخ ويجري شيّهم ببطء شديد، وقد تقطعت أحبالهم الصوتية من الصراخ، فراحوا يئنون على نحو يمزق نياط لقلوب.

هذا غير الموجودين في آنية عملاقه، بداخل سائل أسود والنيران من أسفلها، والسائل يغلي ويحرقهم دون هوادة..

صوت الصراخ زلزل روحه..

المشاهد المفزعة أورثته كل يأس وقنوط..

شعر بروحه تتداعى..

أي هول هذا الذي يصنعه الشيطان..

إن مشهدًا واحدًا مما رآه، كفيل بأن يورثه فزع لا ينتهي حتى اللحظة الأخيرة في حياته..

لقد صنع الشيطان بالفعل جنته وناره.

صنع جنة حقيقية وجحيم حقيقي، قادرين على العبث بمعتقدات كل من يراهم..

إن كل شيء متقن، ومفزع على نحو مرعب، فما الهدف منه؟

إنها أسوأ تجربة يمر بها منذ دخل إلى تلك الذكريات المشؤومة.

لقد عاش كل لحظة هلع، وخوف، وفزع كابدها ذلك الوغد (يونس فهمي)، وشعر بالرعب كما لم يشعر به في حياته، ورأى كيف يسيطر الشيطان على أتباعه!

إنه غير قادر على مشاهدة كل هذه الأهوال، إن عقله سينفجر أو يجن في أفضل الأحوال.

وعندما تبدلت الذكريات كاد أن يقضي نحبه من الرعب.

فقد كان في مواجهة مباشرة مع أحد زبانية الجحيم بهيئته العملاقة المليئة بالقروح والصديد، وعينيه المشتعلتين بنار الجحيم، وهو يسوق أمامه العشرات من المخلوقات العارية، التي كانت تركض في فزع أمامه، وهو يجلدهم بسوطه المشتعل، وكلاب الجحيم الضخمة تنهش لحم من يتعثر أو يسقط منهم.

كانت المخلوقات العارية تركض عبر طريق مليء بالأشواك يمزق أقدامهم، مجبرين على الخوض فيه، غير قادرين على التراجع، فإما الأشواك أو السوط الجهنميّ الذي يمزق لحومهم، أو أنياب الكلاب العملاقة.

ولم يكن يوجد خيار.

وبكل غلظة راح ذلك الوحش المشوه الذي لا مثيل لبشاعته هو وكلابه، يسوقنهم أمامهم كالخراف الضالة نحو هوة مظلمة لا قرار لها.

الصراخ المتألم والفزع ينتقلان إليه وكأنه أحدهم..المخلوقات المسكينة تتدافع، ويسحق بعضها بعضًا..

وعندما لم يجدوا مهربًا أمامهم إلا الهوة المظلمة، ظنوا أن فيها خلاصهم بالموت..

وعندما قفزوا إليها، تخطفتهم عشرات الأيدي المخلبية القاتلة، وراحت تمزقهم في بطء شديد..

كان مشهد الدماء والأشلاء مروع على نحو لا يحتمل، ولو رأى المنكرون كل هذه الأهوال لما فكروا لحظة في عصيان سيدهم.

وفي هذه اللحظة دوى الصوت العميق، ليرج الجحيم رجًا.

صوت مروع مدمر للأعصاب يقول في قسوة وشماتة:

- فلتعودوا من الموت لتذوقوا العذاب.. عذابًا أبديًّا لا ينتهي..

وهنا شاهد أشلاء المخلوقات الممزقة، تعود لتلتئم، والأرواح تبث في الأجساد، والعذاب يبدأ من جديد..

كانت صدمة (وليد) مضاعفة، وهزت معتقداته أكثر، فبرغم أنه عانى معاناة (يونس فهمي) الرهيبة ذاتها، ولكنه صدمته بقدرة الشيطان على إحياء الموتى، كانت أشد.

فكيف امتلك تلك القدرة الإلهية، التي لم يصطف بها الخالق إلا بعض الأنبياء وعلى نحو محدود؟

إنه مع هذه القدرات المذهلة، لن يصمد أمامه مخلوق واحد، ولن يأمن أحد على دينه أو نفسه..

إنها محنة رهيبة لجميع مخلوقات الكون، فأين الحقيقة وأين الخداع في الأمر؟

وقبل أن يسترسل في أفكاره، تبدلت الذكريات، ورأى (يونس فهمي) يقف في غرفته المخصصة لممارسة طقوس عبادة الشيطان في إحدى فيلاته، وهو يقبض على يده التي التف أحد أماكن أصابعها المفقودة برباط طبيّ، وعلى وجهه ملامح رعب عظيم، وهو يتطلع في صدمة واستنكار إلى الشيطان الابن، الذي تمثل أمامه بهيئته الطبيعية المفزعة، وعلى وجهه ملامح خوف رهيب، وهو يصرخ في لوعة:

- ماذا تريد مني أيها المتمرد الخائن؟ إنّ سيدي لن يرحمك هذه المرة، وما أن يصل له خبر وجودك على قيد الحياة، فإنه سيمزقك إربًا، ولن يغفر لك مساسك بكاهنه الأكبر.

عينا الشيطان الابن تشتعلان بنيران الجحيم، وهو يقول في صرامة:

- لقد خدعكم سيدكم الحقير بادعاء موتي، كما خدعكم بجحيمه وجنته الصناعيين، أنت تعبد الإله الخاطئ، الإله الضعيف الكاذب، وتصدق كل مزاعمه، لأنك لم ترَ الحقيقة كاملة بعد.

يحاول (يونس فهمي) أن يتمالك أعصابه ورابطة جأشه، وبعضًا من شجاعته، وهو يصيح بصوت مضطرب:

- بل أنت الخائن المخادع، السيد الأعظم لا يكذب، السيد الأعظم لا يخدع رجاله، بل يمنحهم الثراء والقوة والنفوذ، وبعد موتهم سيدخلهم نعيمه..

يبتسم الشيطان الابن ابتسامة قبيحة، ثم يقول بهدوء:

- ولكني هنا أمامك، وبإمكاني أن أريك الخدعة الكبرى والحقيقة التي غابت عنك! وحقيقة الجنة، وحقيقة الجحيم، أنت كاهنه الأكبر، وحامل رايته، فكيف تكون بهذه الحماقة؟

يتضاعف اضطراب (يونس فهمي) وهو يحاول أن يتجاهل عيني الشيطان المطفأة التي أثارت توتره، وهو يقول في توتر:

- لقد حذرنا السيد المعظم من خداعك، إنك لن تغرر بكبير كهنته، نحن لن نخون السيد، ولن نتبعك..

يخفق جناحا الشيطان الابن في قوة، وهو يقول بالصرامة ذاتها:

- هل تخشى على إيمانك به ومعتقداتك من الحقيقة؟ ثم ماذا لديك لتخسره؟

تصارعت الأفكار في عقل (يونس فهمي) وهو يفكر أنه ربما يكون اختبارًا جديدًا من سيده، ليتأكد من ولائه وطاعته له.

فالشيطان الابن قد قُتِلَ على يد سيده، وهو قد ذاق طعم النعيم، وأدرك ما ينتظره في النهاية، وهو من اصطفاه بالاختيار، وجعله (المبعوث) ويهيئه ليخلف سيده (مازن شهاب).

وهنا قاطع الشيطان الابن أفكاره، وقال بالهدوء نفسه:

- لك كل الحق في أن تشك، وتظن أنها خدعة برغم أنك تكذب ما تراه عيناك، إخلاصك وولاؤك يثيران الإعجاب حقًا، ولكنهما في الاتجاه الخاطئ، إن سيدك مخادع كبير، وأنت تعرضت لخداع لا يتحمله بشريّ، والآن سنلعب معًا لعبة سهلة، وبعدها ستكون أنت الحكم.

هتف (يونس) في توتر، بعد أن ظن حوار الشيطان الابن معه، دليلًا على ضعفه:

- أي لعبة هذه أيها المارق، الـ..

وقبل أن يتم عبارته، شعر بجسده كله يشتعل بالنيران، وبآلام مروعة تجتاح كل خلية من خلاياه، وبقبضة باردة تعتصر قلبه، وتكاد تزهق روحه، وصوت الشيطان الابن، يرج رأسه قائلًا بقسوة وغضب:

- عليك في البداية أن تتعلم طريقة التعامل مع سيدك الحقيقيّ، أنت مجرد نكرة، وعندما تحدث سيدك عليك أن تتعلم الاحترام والخضوع، وإلا رأيت الجحيم الحقيقي.

كان (يونس فهمي) يعاني آلامًا رهيبة، وكان من الواضح أن الشيطان الابن لن يرأف به، ولهذا صرخ في ضراعة، وهو يجثو على قدميه أمامه:

- الرحمة يا سيدي.. الرحمة..

وهنا خفت قبضة الشيطان الابن عنه، فقال بصوت متألم:

- أي لعبة تريد أن نلعبها يا سيدي؟

وهنا تلاشت آلامه كلها دفعة واحدة، بعد أن تعلم الدرس، والشيطان الابن يقول:

- سنلعب لعبة الحقيقة..

ثم اقترب منه، ووضع يده المخلبية على رأسه، وبدأت المشاهد تتدفق إلى عقله دون هوادة..

وهنا شاهد الآلاف من كتائب الشياطين وسراياهم، وهو يغادرون عالمهم في أفواج كبيرة منظمة، ويتجهون إلى كواكب عدة، في مجرات مختلفة، بسرعات خارقة، وعلى رأسهم أقرب معاوني الشيطان إليه، ثم يهبطون على هذه الكواكب ويتوزعون في نظام شديد.

فريق منهم يقوم بحفر الجبال والصخور، لاستخراج كميات هائلة من الذهب والفضة، وبعضهم يعيد صهره وتشكيله في مسابك عملاقة على هيئة قوالب تُصقل.

وآخرون يجرون نيزكًا هائل الحجم مكون من ماس طبيعيّ بحجم قمر كامل، ويعملون على تقسيمه إلى ألواح وصقله، والبعض يفتح بوابات نجمية محدودة، وينقلون من خلالها كل هذه المعادن الثمينة إلى الكوكب الذي وقع الاختيار عليه ليكون الجنة، وبقدراتهم الشيطانية، يحرثون التربة الخصبة ويزرعونها، ويمهدون الأرض، ويشقون الطرق، يبنون القصور، ويصنعون الجسور، ويعمقون البحيرات، ويقودون قطعان الحيوانات ويوزعونهم في أماكنهم المحددة.

هذا غير المئات منهم الذين انهمكوا في تنظيف المخلفات، والإشراف على إزالة كل ما يشوه الشكل الجماليّ، لتحويلها إلى أنهار وبساتين ساحرة.

ثم تبدل المشهد، ورأى مجموعة من كتائب الشياطين الطائرة، وهم يضعون في مدار الشمس وبحسابات دقيقة، مرآة عملاقة بحجم قمر الأرض، حجبت كتلة الشمس، وعكست فقط ضوءها، ليظهر كل شيء على الكوكب، وكأنه يشع بضوئه الخاص..

وعندما تبدل المشهد، شاهد الكوكب العملاق الغارق في الظلام الذي اختير ليكون الجحيم، وشاهد الشيطان وهو يستدعي (آكلي النيران) من مجرتهم البعيدة ليشعلوا محيط الكوكب متعدد الأغلفة، ويفجرون أعماقه ليتحول إلى جحيم حقيقيّ..

ثم شاهد كتائب البنائين، وهم يبنون القلاع، ويصنعون أدوات التعذيب، ويعمقون الحفر، ويصنعون مجارٍ داخلية، لجذب الحمم إليها..

ليرى بعد ذلك كتائب شيطانية أخرى، وهم يهاجمون بعض الكواكب المعمورة، من ضمنها الأرض، ويتخطفون مخلوقاتها، ويدفعون بهم نحو جحيمهم الصناعيّ،

ويضعونهم في أقفاص معدنية، ولا يباشرون معهم سيناريو التعذيب، إلا عند حضور أحد الزائرين..

ثم تبدل المشهد، ليرى معملًا حديثًا عملاقًا يشرف عليه الشيطان بنفسه، وبداخله تُخلَّق أجنة الملائكة والولدان المخلدون، وزبانية الجحيم على نحو صناعي، كما تُزرع ذكريات خاصة في عقولهم ليؤمنوا بأنهم خُلقوا على هذا الشكل..

خطة جهنمية، لا تخرج إلا عن شيطان رجيم..

لم يستوعب عقل (يونس) ما يراه للوهلة الأولى، ولكن (وليد) استوعبه، فالشيطان كان جادًا في مخططه، وما صنعه قادر على خداع كل من لا يعرف الحقيقة..

وعندما أبعد الشيطان يده عن رأس (يونس) صرخ من الألم قبل أن يقول في ظفر:

- هل رأيت قدرات السيد الأعظم؟ هل رأيت جنته وناره؟ لا أحد قادر على أن يخلق ما خلق، أو أن يصنع ما صنع.. أو يحي الموتى!

وهنا ظهرت ملامح تفكير عميق على وجه الشيطان الابن، قبل أن يقترب منه في سرعة، ويضع يده على رأسه مجددًا ليرى المشهد الصادم ...

العشرات من الشياطين ينقلون من أحد كواكب المجرة المتقدمة إلى حيث يوجد الجحيم، بعض الأجهزة المتطورة التي تشبه أجهزة البث البشرية، ويثبتونها فوق أعلى قمم جبال الجحيم الصناعيّ، ويُموهون وجودها، فلا تظهر للناظرين.

ثم شاهد بعضهم داخل قاعة عملاقة بقلب أحد الجبال، وهم يبثون الوهم عبر المكان، مؤكدًا على خداع الشيطان..

فهو لم يكن يحي ويميت، بل هو يوهم أتباعه بهذه القدرة الإلهية.

وعندما نزع يده، من على رأس (يونس فهمي) قال في صرامة:

- لا أحد قادر على إحياء الموتى، إنه وهم، وحدي فقط من مت، ووحدي فقط من عدت من الموت، فأي منا الأعظم الآن.

التبس الأمر على (يونس) الذي بدأ يحيط بخدعة الشيطان المتكاملة..

والأفكار تتلاحق في عقله..

ملائكة زائفون، وجحيم صناعي، وجنة صنعتها كتائب البنائين من الشياطين، لقد تم العبث بعقله، وبعقول رفاقه.

ثم إنه ادعى قتل الشيطان الابن..

وها هو حيٌّ أمامه..

وبعدها دار حوار مطول بين (يونس) وابن الشيطان، والعجيب أنه لم يستطع فهمه، وكأنه يدور بلغة غير مفهومة، أو حُجِبَ بوسيلة يجهلها، لسبب لم يحط به علمًا.

طال الحوار كثيرًا، وعندما انتهى، ابتسم (يونس) في ارتياح، وهدأت روحه، وأطلق تنهيدة طويلة أخرج فيها كل توتره، وهو يقبض على مكان إصبعه المبتور الذي ضحى به من أجل إله مخادع، بعد أن قدم قربان الألم والدم، ليثبت ولاءه له، وهو ينظر نحو الشيطان الابن بكل تبجيل واحترام، في حين تألقت عينا الشيطان الابن في ظفر، وكأنه أنهى للتو مهمة خطيرة مستعصية..

وكان هذا يعني أن (يونس فهمي) كاهن الشيطان الأكبر، والرجل الثاني في عائلة (مازن شهاب) أصبح أحد رجال الشيطان الابن، وأن خطته مستمرة في نجاح كاسح..

وهنا تمنى، (وليد) لو يحقنه الروبوت المتطور بالعقار الجديد كي يفيق من غيبوبته، ويقطع سيل الذكريات المنهمر.

إنه بحاجة إلى فترة راحة ونقاهة ينسى خلالها كل ما رآه

وكابده من أهوال.

وكان من الجليّ أن وقت الراحة لم يحن بعد.

لأن الأبشع كان ينتظره في الذكرى التالية.

(١٠)

هل الروح تتسمم؟

هذا هو السؤال الذي قفز إلى عقل (وليد)، ووعيه يتجسد في الذكرى التالية، دون أن يحظى بأي فرصة للراحة..

كان الظلام يغلف روحه، والخوف يملأ قلبه، مع شعور عارم بأن كل جزء من كيانه قد تلوث بكل شرور العالم..

كان يتمنى أن ينتهي كل هذا ولو بموته..

إن ما يحدث أكبر منه، وأكبر من كل تدخل بشريّ واحد.

لقد ظن للحظة أنه قد يصنع فارقًا معينًا في الأحداث، وعاد ليخوض في هذه الذكريات بنفسه..

ولكنه الآن يدرك أنه مجرد قطعة هزيلة في لعبة شطرنج كونية كبيرة، وأن التضحية بها هي مصيرها في النهاية..

إنه لا يملك القوة أو القدرة أو الإيمان الذي يساعده على المواصلة في هذه الرحلة المشؤومة..

كما أنه لا يملك قرار الانسحاب..

فالشيطان الابن يتحكم في كل خيوط اللعبة، ويخرجه من ذكرى إلى أخرى دون هوادة، وكأنه يرغب في أن تصل إليه

رسالة، لم يقرأ حتى حروفها الأولى..

إنه لم يكن شيئًا هامًا في حياته السابقة، ولا يظن أنه سيمثل أي أهمية في القادم..

كل شيء غامض، وموحش، وينهك روحه، ويلوثها. فهل سيستمر الأمر حتى ينهار تمامًا ويخضع للشيطان الابن؟

وهل سيستطيع مقاومته؟

ثم ما جدوى مقاومته إن كان له هذا التأثير الكاسح عليه؟ وهو لم يفعل ما يجعله يعتقد أن له دور محوري أو حقيقي فيما يحدث..

فهل ما يعانيه هو جزء من ذلك المخطط الشيطاني الرهيب، أم أن عقله قد تلف تمامًا وسيبقى هو سجين هذه الذكريات، يتعذب حتى يصاب بأزمة قلبية ويفقد حياته؟

إن الموت ليس سيئًا له في هذه اللحظة..

ربما هو طوق النجاة الوحيد الذي لا يعلم كيف يحظى به؟

روحه أظلمت، وتسممت، فمتى يحدث الإظلام الكبير، ويفارق هذا العالم الموحش؟

لقد صمد عقله أمام الأهوال التي خاضها، فكيف ينتزع لنفسه الموت من وسط هذه الذكريات، فمن يموت في الحلم

يموت في الحقيقة، وهذا هو مخرجه الوحيد..

وقبل أن تمتصه هذه الأفكار السوداء، تردد الصوت الرهيب في عقله...

- اكتب..

نظر حوله في هلع، محاولًا فهم ما يحدث..

صوت آخر مضطرب يدوي في عقله متسائلًا:

- ماذا أكتب؟

يعود الصوت الأول الرهيب، ليصعق عقله:

- اكتب ما يوحى إليك من إلهك..

الارتباك يجتاح عقل (يونس فهمي)، و(وليد) الذي أدرك أنه يعيش ذكرى جديدة خاضها كاهن الشيطان، وفي اللحظة التالية تأكد حين وجد نفسه في صومعة ذلك الكاهن التي أعدها لممارسة طقوس عبادة الشيطان، وأن من يحادثه هو الشيطان نفسه دون حجاب.

كانت أمامه مخطوطة صنع غلافها من جلد البشر المدبوغ، وبداخلها أوراق أقل سماكة، صنعت من مزيج من ورق البرديّ والكتان، وبجواره محبرة ممتلئة بالدماء، وهو يمسك في يده ريشة ذات طرف حاد...

(وليد) يرتجف من أعماقه، وهو يرى هذا المشهد المهيب، فالشيطان يتواصل مع الكاهن الأكبر على نحو مباشر، ليدون وحيه الشيطانيّ..

ارتجف (وليد) من أعماقه..

فهو في عقيدته يعلم عن وساوس الشياطين، ووحيهم إلى شياطين الإنس، وهي المرة الأولى التي يراها رأي العين..

(يونس) يغمس الريشة في المحبرة المليئة بالدماء، ويقول بصوت كله رهبة وخشوع:

- أنا جاهز أيها الأب المعظم..

الصوت الرهيب يدوي، من حوله، وكأنه ينبع من كل مكان:

- اليوم أنت كليمي، أنت (المبعوث) نبي هذا الزمان، أنت من ستدون تعاليمي، وتنشرها عبر العوالم، أنت الآن ستتحدث بلسان إلهك، وإله كل العوالم، ورب هذا الكون الظاهر، المتواصل مع عباده..

يرتجف (يونس فهمي) وتتقلص ملامح وجهه في عصبية، وهو يقول في خضوع:

- أنا (المبعوث) خادمك، وسأحرص بحياتي على أن تنتقل تعليماتك دون تحريف إلى كل أتباعك.. أنا طوع بنانك ورهن

إشارتك.

وهنا عاد الصوت ليقول بقوة وصرامة:

- البشر لم يعودوا بحاجة إلى إفساد في هذا العصر، لقد أفسدوا عالمهم دون مجهود من جانبنا يذكر، وصارت الفوضى هي القانون، وحان الوقت ليبعث فيهم المرشد، بدين جديد، وعقيدة جديدة، تناسب تطورهم في هذا الزمان، وتناسب كل مخططاتي لهم.

اليوم أُملي عليك تعاليمي، لتصبح حامل الكتاب، ولتقودهم بها، فقد حان الوقت، ليعلموا أن الإله حاضر بقوة بينهم، وأن وحيه قد عاد.

ارتجف (وليد) بشدة من أعماقه، وهو يستمع إلى مخطط الشيطان بنفسه، في حين كان (يونس) في حالة من النشوة، والصوت الشيطانيّ يكمل حديثه قائلًا:

- في مثل هذا اليوم طُردت من الملكوت الأعلى، لم يشفع لي عملي واجتهادي، أو ما قدمت من أعمال، واليوم سيتبعني الجميع، وكما خرجت من الملكوت سيخرجون، وكما أصبحت سيصبحون.. اكتب الوصايا بالدماء، اكتب ليعلموا أنَّ كل قواعد اللعبة قد اختلفت، واليوم سنسن قواعد جديدة، وسنمنحهم إجابات على ما شغل عقولهم،

إجابتنا نحن، ونهجنا نحن.

أعاد يونس غمس الريشة في الدماء وبدأ يكتب، خلف الشيطان الذي قال في قوة:

- الوصية الأولى: الكون والزمان لا نهائيان، وإلهكم كذلك، هو أقرب إليكم من أفكاركم، قدموا القربان، لينصت لكم ويستجب، فلم يعد الرب بعيدًا أو غريبًا.

- الوصية الثانية: الجنة والجحيم موجدان، والطريق إليهم بالتضحية، لو رغبت في رؤية الجحيم، فلتقدم قربان الألم، ولو أردت زيارة الجنة، فعليك بقربان الدم، فالألم والدم هما الطريق.

- الوصية الثالثة: الجميع عباد للإله المستمع، والجميع أحرار، لا قيود إلا طاعته، وكل شيء مباح، طالما أنت على عقيدته.

- الوصية الرابعة: كل الأطفال أبناء الرب، لا يوجد شيء اسمه ابني وابنك، الجميع محللون لبعضهم وذريتهم ذرية الرب، العقيدة وحدها هي الرباط، وكل ما ينتمي للعقيدة، مباح له التناسل مع الجميع.

- الوصية الخامسة: الأموال أموال الرب، وكل الطرق مشروعة للحصول عليها، وكل أموال أعداء الرب هي غنيمة

لأتباعه.

- الوصية السادسة: الرب رحيم فقط بأتباعه، وأتباعه لا يعرفون الرحمة مع غيرهم..

- الوصية السابعة: كهنة الرب هم ممثلون الرب، كلمتهم كلمة الرب، رغباتهم رغبات الرب، كل من أطاعهم أطاع الرب وسيكافأ، وكل ومن عصاهم عصي الرب، وعقابه أليم..

- الوصية الثامنة: جميع أتباع الرب هم أنبياؤه، وجميعهم لا حجاب بينهم وبينه، وكل من أدخل عبدًا جديدًا في معية الرب، نال الجزاء الفوريّ، قوةً وعمرًا مديدًا..

- الوصية التاسعة: هذا العالم فاسد لأنه لا يتبع تعاليم الرب، ولذا علينا هدمه، وبناؤه من جديد.

- الوصية العاشرة: الرب قادر مطلع يعلم ما يجيش في صدوركم، فالأفكار خيانة، والخيانة عقابها الجحيم الأبديّ.

- الوصية الحادية عشر: كل التعاليم سرية حتى يتجلى عليكم الرب، وحتى نهدي كل الضالين، نحن نعمل في الظلام، نحن نعمل بصمت، والرب يبارك.

- الوصية الثانية عشر والأخيرة: الطاعة، ثم الطاعة، ثم الطاعة.

انتهى الشيطان من وحيه، فأغلق (يونس فهمي) المخطوطة وراح يلهث، في حين تملك الفزع من (وليد)، الذي سمم روحه أكثر وحي الشيطان الرهيب الذي قرر أن يستغل الفوضى العالمية، في إرسال نبي جديد، وقرر أن يتواصل بنفسه مع أتباعه، في خطوة شديدة الجرأة والدهاء..

إن عقله يستعيد في أريحية كل ما صبه أبوه في روحه عن دينه وعن تعاليمه، التي تجاهلها بنزق ورعونة في صباه، ويرى في كتابه المقدس كل الآيات التي تحدثت عن الوحي الإلهيّ والشيطانيّ..

وكيف أن وحي الله لم ولن ينقطع للبشر، فهو لم يعد في صورة معجزات واضحة أو كتب سماوية، بل رسائل وإشارات تنير الطريق أمام أتباعه..

وكيف أن الشيطان حاول تقليد الخالق فبث سمومه عبر وسوسته أو وسوسات أتباعه من الشياطين، فعبث في فكر البشر، وفي قناعاتهم.

بل وزاد الأمر باستخدام قدرته على التشكل في هيئة آدمية؛ ليقودهم نحو هلاكهم..

ولأن الشيطان مجرد مخلوق، يتطور فكره وعقله بمضي

الزمن، لذا فإنه راح يتعامل في كل عصر بفكره وتغيراته، يطور في استراتيجياته.

واليوم بعد أن فسد العالم تمامًا، وتحول إلى مستنقع من الكراهية، ولم يعد هناك من يؤمنون بالقيم والمبادئ التي شرعها الخالق، ودبت الفوضى في أطنابه، فقد بدأ الشيطان يقلد الخالق العظيم، ويوحي بوحيه الدموي لأتباعه، تمهيدًا لإرسال نبيه المزيف..

والآن يدرك (وليد) لماذا زاد العنف، والثورات، والجريمة، والقتل..

ولماذا صار التنكيل والتعذيب للأبرياء هو شعار العصابات..

بل وأدرك أن قسوة القوادين، وإحراقهم لحبيبته، لم تكن إلا جزءًا من هذه الممارسات الشيطانية الجهنمية..

الآن يعلم أين يكون ثأره!

الآن يعلم لماذا يريه الشيطان الابن كل هذه الذكريات!

الان أصبح لديهما ثأر مشترك.

وعدو واحد.

ولا يعرف هل ما سمعه كان وهمًا أم حقيقة، ولكن ضحكة الشيطان الابن كانت تدوي في عقله وهو ينتقل إلى الذكرى

التالية، التي رأى فيها (يونس فهمي) وهو يحمل بين يديه، مخطوطة الوصايا، ويقدمها بكل تبجيل واحترام إلى (مازن شهاب) الذي لأول مرة تظهر على وجهه ملامح القلق، وهو يقول في توتر:

- هل تعرف معنى هذا التكريم يا كاهننا الأكبر؟

هز (يونس) رأسه في هدوء، وهو يتطلع إلى عينيّ (مازن) العميقتين، ويقول في بطء:

- بالفعل يا سيدي، لقد كلفني الأب الأعظم بمهمة ثقيلة، وعليّ أن أتمها على أكمل وجه.

ابتسم (مازن شهاب) ابتسامة صفراء، سرعان ما غابت عن شفتيه، وهو يقول في صرامة:

- بل معناه أن الأب الأعظم، يطلبني إلى جواره، وأن عليّ أن أقدم قربان الفداء..

شحب وجه (يونس فهمي) الذي برغم ذكائه، قد غابت عنه هذه النقطة، لأنه لم يتوقع أن يحتل موقع سيده (مازن) بمثل هذه السرعة، فقال مستنكرًا:

- لا أظن أن الأمر قد حان بهذه السرعة، ربما أنت تؤول الأمور على نحو خاطئ.

ثبت (مازن شهاب) عينيه الحادتين في عينيه، وقال بصرامة ولوم:

- سيدك لم يخطئ قط في تأويل الأمور، ولم تكن لمثل هذه الكلمات أن تخرج من فمك، فأنت لا يُوحى إليك وحدك، والأب المعظم يوحي إليّ من قبل أن يوحي إليك بسنوات عدة، وهو الآن يطلبني بجواره، وأنت ستكون يده الجديدة في الأرض، وعلى رحيلي أن يكون بأكبر ضجة ممكنة، لذلك سيكون الفداء والتضحية علنيين في الوقت المناسب، ودون تدخل من أحد، وعلى كل الأتباع أن يعلموا أن المرحلة القادمة حاسمة، وأن التضحية لا تخصهم وحدهم، بل هي تأتي من قمة الهرم، وأن الغاية هي عقيدة الأب المعظم، والجميع في التضحية سواء.

علينا أن نبدأ في ترتيب البيت من الداخل، استعدادًا للتغيرات القادمة، الأمر ليس سهلًا، ولكنني لن أرحل قبل أن أطمئن أن كل شيء قد أُنجز على أفضل وجه، إن أمامك الكثير لتعلمه وتتعلمه، لكن لا تقلق، فأنا بجوارك، والمجد كل المجد للأب المعظم..

كان وقع المفاجأة على روح (وليد) شديدًا، فلم يتوقع قط أن يقدم (مازن شهاب) نفسه كقربان للشيطان الأكبر..

إن شخص بمثل ذكائه ودهائه قادر على فهم الحقيقة..

ولكن من الواضح أنه ضلاله يعميه..

وعندما تبدلت الذكرى، كان الذهول هو ما اعتراه، وهو يشاهد (مازن شهاب) وهو ينحر عنق زوجة رئيس الوزراء الحالي التي أوقعها في حبائله، في قلب منزلها، وعلى الفراش الذي يجمعها بزوجها، بعد أن مارس معها أعنف أنواع الجنس، ثم حمل رأسها معه، وخرج بصدر مكشوف إلى الحراس، الذين هاجموه، وأفقدوه وعيه بعد أن انهالوا عليه بعصيهم المكهربة..

ثم انتقل المشهد إلى لحظة إعدامه، التي شاهدها الملايين على شاشات البث التفاعلية، وشاهدها هو بنفسه..

ولكن المرعب أنه كان داخل عقل (مازن)..

(مازن) الذي أراد أن يكون هو مسيح هذه الجماعة، ويقدم نفسه فداءً للأب الأعظم، وهو يحلم بالنعيم الذي زاره، وباللحظة التي سيوقظه فيها إلهه من ظلام الموت..

وبرغم أنه كان يعلم أن الإعدام بالكرسي الكهربائي، مؤلم على نحو مروع، ولكنه بأعماقه كان يدرك أن الألم هو الطريق..

وأراد (وليد) أن يغادر هذه الذكرى، ولكنه عجز..

وعندما رأى الجنود يحكمون قيود (مازن) على المقعد، ويتأكدون من كل الوصلات، وصلاحية جهاز الصعق، اغتاله الهلع..

لم يكن يرغب في أن يمر بتلك التجربة المروعة، ولا أن يكابد ما سيكابده ذلك القاتل الدمويّ..

ولكن الصوت المعدنيّ الذي دوى في الغرفة المغلقة المحاطة بكاميرات كل وسائل الإعلام، أورثه فزعًا أكبر وهو يقول برتابة غير مناسبة للموقف:

- بناء على حكم القاضي الآلي المفوض، وبعد ثبوت كل جرائمه الوحشية، واعترافه بها، قد تقرر تنفيذ حكم الإعدام صعقًا بالكهرباء على هذا الوحش الآثم، مع الحرص على أن يذوق الألم حتى لحظته الأخيرة.. والحكم سيتم خلال ثلاث ثوان.. ثانيتين..

لم يتبق إلا ثانية واحدة، و(وليد) يقاتل ليحرر عقله من هذه الذكريات المشؤومة، دون جدوى.

إنه لا يرغب في الهلاك قبل أن يثأر لمحبوبته..

وقبل ثانية واحدة من تنفيذ الحكم القاسي، شعر وكأن الزمن توقف، ورأى الشيطان الابن يتجسد بداخل عقل (مازن شهاب) بهيئته المخيفة، وهو يبتسم ابتسامة قبيحة، ليحدث

بينهما تواصل خارق.

وباستخدام تعويذة خاصة بدأ الشيطان الابن يستولي على كل ما في عقل (مازن شهاب) من معلومات وأسرار وذكريات والتي كانت أكبر وأخطر مما توقع الشيطان الابن الذي جازف بالبقاء في عقله لفترة أطول من المطلوب، ليحدث مع تدفق التيارات الكهربائية المختلفة في جسد (مازن) امتزاج رهيب بين ذاكرته وذاكرة الشيطان الابن، وصار كل منهم يحمل ذاكرة الآخر..

وهنا انكشف لـ(وليد) السر!

وعلم كيف وصلت ذاكرة الشيطان الابن إلى عقل (مازن) عابد الشيطان ورجله الأول على الأرض، بعد أن كان يحيره هذا الأمر.

وفي اللحظة نفسها فهم (مازن) الحقيقة.. وأدرك أنه قد خُدع.

فلم يكن الوحي الذي أوحي إليه من الشيطان الأكبر، بل من الشيطان الابن، الذي خدعه طوال عدة سنوات، واستخدمه في غفلته كمخلب قط في تحقيق أهدافه، مستغلًا انهماك الشيطان الأكبر في تنفيذ مخططه الكونيّ الذي وقف له الشيطان الابن بالمرصاد، بمساعدة الرجل

الثاني في منظمته، (يونس فهمي).

ليمني الشيطان الأكبر بأكبر هزيمة له، على يد الشيطان الابن ورجاله الذين لم يكتفوا بهزيمته خارج الأرض، بل سيطروا بقبضة من حديد على الشبكات والمنظمات التي أنشأها هو وزبانيته، لإفساد البشر وبسط سيطرته على عقولهم.

وفهم (وليد) الكثير، وغمض عنه الكثير، وخاصة كل ما يخص الإخفاق الكونيّ للشيطان الأكبر، واستغلال (مازن شهاب)، ودور (يونس فهمي).

ولكن كل هذا تبخر، عندما بدأت الكهرباء تسري في خلايا (مازن شهاب) وتفقده تماسكه، ليصرخ في قوة، وهو يشعر بروحه تصعق وتحترق، وكل أعضائه الداخلية تغلي وتفور، وتجتاح عقله صدمات متتالية من الألم الصاعق..

كان الألم أكبر من توقعه وتحمله. لذا راح يتلوى، وينتفض في مكانه، ومعاناته تنقلها آلات التصوير الحديثة عبر الشبكة العالمية التفاعلية لكل مكان في العالم، كقصاص للأرواح التي استباحها.

لينتقل بعدها برنامج الإعدام الآليّ إلى المرحلة الأخيرة التي أُجلت بعد أن جرى تعديل القانون استثنائيًا من أجل أن

يحظى بمزيد من الألم والمعاناة، ليكون عبرة للجميع، بعد أن وصل غيه وشروره إلى زوجة رئيس الوزراء.

فتركزت بؤرة الصعق على رأسه، بعد أن تصاعدت الأدخنة من جسده، الذي لم يُستخدم معه أي وسائل للرحمة أو تقليل الألم.

وقبل أن يصاب بشلل دماغيّ، كان (وليد) قد تحرر..

ليجد نفسه في زنزانة ضيقة لا يستطيع فيها أن يفرد قامته، وحوله تنتشر رائحة البول والنشادر والغائط..

وعندما نظر حوله، من إحدى فتحات الزنزانة التي كانت عبارة عن صندوق معدني مغلق، أدرك أنه معلق في مكان موحش، وحولة العشرات من الصناديق المعلقة..

وكان من الواضح أنه سيرى المزيد من الأهوال..

وأن رحلته لم تنته بعد.

وأن القادم أسوأ بكثير.

(١١)

عندما تخطى (وليد) صدمة الاحتجاز في تلك الزنزانة الضيقة، راح ينصت بكل اهتمام إلى الأصوات من حوله محاولًا أن يستجلي طبيعة المكان وسجانيه، فلن يظل وعيه محتجزًا في عقل هذا السجين الذي يعاني من إجهاد شديد، والذي توقفت كل أفكاره عند لحظة الموت..

لم يكن السجين خائفًا من الموت، بل يتمناه، بعد أن قضى في زنزانته الضيقة هذه، وقت لا يستطيع حسابه، حتى كاد أن يجن..

الأصوات من حوله تزيد من يأسه، فجميعها أنات متألمة، أو صرخات غاضبة أو حشرجات الاحتضار..

لا معلومات عن هذا الشخص أو ذكريات..

الروائح تخنقه، وتزيد من معاناته، ولكنه يواصل التفتيش في أطلال ذلك العقل المنهار..

لقد عُومل هذا السجين بوحشية، وعُذب حتى نسي كل شيء عن نفسه، ولم يعد لديه أي ذكريات صالحة.

وعندما دوى صليل السلاسل، التي ترجمها بإحضارهم سجين جديد، بدا وكأن عقل ذلك السجين قد أصابته صدمة

شديدة..

وبدأت آخر ذكرياته تتدفق إلى عقله، وراح (وليد) يتابعها في فضول وتوتر.

كان السجين يركض في قلب غابة كثيفة الأشجار بأقصى سرعة ممكنه، وهو يلهث.

قلبه ينبض بعنف ليضخ الدماء، وتكاد رئتاه أن تتمزقا من الضغط عليهما، ولكنه لا يملك أن يتوقف ليستريح أو يلتقط أنفاسه..

صوت الكلاب في الخلفية كصوت أجنحة ملك الموت.

لقد علم بما يدور في ذلك المنزل المشؤوم الموجود في قلب الغابة من أهوال، ويعرف أن سقوطه في أيديهم يعني الهلاك بأبشع الطرق وأطولها..

لم يكن على فضوله الصحفيّ أن يجره لمغامرة محفوفة بكل هذه المخاطر، ولكن سبق السيف العزل، فقد اكتشفوا وجوده من اللحظات الأولى، وها هي كلابهم الشرسة تطارده دون هوادة..

ولولا أنه كان مراسلًا حربيًا، وجنديًا سابقًا في قوات المارينز، لما نجا لمثل هذا الوقت..

إنه يعرف بعض حيل المطاردات، فهو يركض مع اتجاه الريح، لتضليل الكلاب وإخفاء رائحته، ويجعل الشمس في عيون مطارديه كي ينهكهم ويعميهم عن تحركاته، وقد لطخ وجهه وذراعيه وملابسه بالطين، لوأد رائحته تمامًا..

أما ما عجز عنه فهو عدم ترك أثر خلفه، فلم يكن لديه الوقت لطمس آثاره، ومن سرعة اقترابهم من مكانه يتضح أن معهم قصاص أثر متمرس..

راح يركض عبر الغابة على نحو عشوائيّ ومتعرج وفروع الأشجار تجرح بشرة وجهه في قسوة، دون أن يهتم بها، فأذناه كانتا مع أصوت الكلاب التي ما زالت تقترب في إصرار من موقعه..

يركض لمسافة أخرى، وعيناه تمسحان المكان بحثًا عن مهرب أو مخرج، دون جدوى..

يشعر برئتيه ستنفجران، فيقف مضطرًا لالتقاط أنفاسه، وهو ينصت إلى أصوات الكلاب التي تقترب أكثر، ويعيد مسح المكان ببصره.

شيء ما من داخله يخبره أنه يركض في الاتجاه الخاطئ..

يهمس في قنوط:

- اللعنة على الاتجاهات! عليّ فقط ألا أتوقف عن الركض.

أصوات الكلاب، وصوت تهشم الأغصان يجبرونه على استكمال الركض، فقط لو يجد بعض الماء لأن حلقه جاف كالصحراء..

أصوات الكلاب تأتي من اليمين، فيركض نحو اليسار..

تأتي من يساره، فيركض نحو اليمين..

تأتي من أمامه فيغير اتجاهه..

قلبه سيتوقف من المجهود، ولكنه يواصل الركض..

أصوات الكلاب تأتي من عدة اتجاهات، فيصيبه الارتباك للحظة، ثم يركض وهو يشعر بأنه على وشك فقدان الوعي..

الأصوات تقترب أكثر، والاتجاهات تختلط في عقله..

إنهم يحيطون به..

قلبه يخفق في قوة، فيلعن الخمر والتدخين، وهو يفكر أن قلبه لن يتحمل كل هذا الضغط والركض المحموم لوقت أطول.

يعترض طريقه حاجز من الأشجار التي تصنع سورًا بدائيًا لا يعرف ما خلفه، فيقف لثانية يلتقط فيها أنفاسه، ثم

يتراجع إلى الخلف عدة خطوات، ويقفز ليتعلق به، ويتسلقه في مهارة، ويقفز خلفه، وهو يمني نفسه بالنجاة.

وما أن لامست قدماه الأرض الجافة، حتى شهق من المفاجأة..

فمطاردوه الأوغاد، لم يكونوا يطاردونه بعشوائية، بل كانوا يغلقون عليه السبل ليقودوه صوب مكان محدد لهم سلفًا..

لقد فشلت كل حيله، وها هو المنزل الذي هرب منه أمامه، وها هم يصنعون حوله دائرة محكمة، وينهالون عليه باللكمات والركلات دون رحمة، وكأنما أغضبهم أنه ما زال قادرًا على الوقوف على قدميه وتحديهم..

الضربات تتوالى على كل مكان في جسده في عنف دون أن يتمكن من صد معظمها أو الفرار.

إن قلبه سيتوقف من الرعب والتعب، وعقله يخبره بأنه لا سبيل للمقاومة، أو التغلب عليهم.

وعندما توقفوا عن ضربه أخيرًا، كان أشبه بخرقة بالية غارقة في الدماء بين أيديهم..

وعلى الفور حمله اثنان منهم من تحت إبطيه الغارقين في العرق، وجروه جرًا إلى داخل المنزل الملعون..

شريط من الذكريات يمر أمام عينيه، وهم يسحبونه للداخل.

إنه يذكر مهمته المشؤومة، وكيف تتبع المعلومات والشائعات ليصل إلى وكر تلك الطائفة المشبوهة، بعد أن تتبع حالات الاختطاف الممنهجة التي تتم في حدود المنطقة، وربطها بحالات الاختطاف المماثلة التي تتم حول العالم، وتوصل لطرف خيط حقيقيّ قاده إليهم، عبر أحد مصادره السرية الذي كان ينتمي لإحدى العصابات التي كلفت ببعض عمليات الاختطاف لصالح هذه الطائفة الشيطانية، كما كلف غيرها.

كان على علم تام بانتشار تلك الجماعات على نطاق واسع، وأن النظام الحاكم يغض الطرف عنها، فتجارة الأعضاء والرقيق، قد عادت منذ عقود بقوة، ولكن التحركات الأخيرة لهم كانت مريبة..

فهم كانوا يختطفون السحرة والمشعوذين، وكل من شاع عنه أنه يمتلك هبة أو إحدى القدرات الخارقة، ويجلبونهم من كل مكان إلى هذا المنزل المنعزل في قلب الغابة.

موضوع ملهم وفاتن، كان سيشعل فضول القراء، وسيجعله يحصل على مكافأة كبيرة هو في أشد الحاجة إليها، بعد أن بخر القمار كل مدخراته، وأصبح البنك يستعد للاستيلاء على

آخر ممتلكاته: منزله.

إنه لن يتحمل أن يصير مشردًا، أو يطرد خارج مدينته المسورة لعجزه عن دفع تكاليف الإقامة..

وها هو الآن قد وقع في أسر تلك الجماعة المخيفة..

وبرغم إنهاكه وخوفه الشديدين، فقد غلبته حاسته الصحفية، وراح عقله يدون الملاحظات..

البيت من الداخل شبه مهجور، ومضاء بشموع زاعقة، لها رائحة الدهن المتعفن، وجميعها موضوعة بداخل محاجر جماجم حقيقية، لتضفي على المكان جوًّا مشؤومًا.

الضوء غير قوي، ولكنه يظهر تفاصيل المنزل الفسيح الذي كان من الواضح أنه لم يحظ بأي نوع من أنواع النظافة أو التعقيم منذ زمن طويل، فالفئران تمرح في كل مكان دون كابح، ونسيج العناكب يصل حتى للأثاث المترب..

لا شيء مميز في المكان..

هو مجرد منزل شتويّ آخر بداخل الغابة..

تلتقط أذناه أصوات الأنين، والصرخات المكتومة لينقبض قلبه..

يجره الرجلان سيئا الرائحة إلى داخل غرفة تضاء بالطريقة

نفسها، ويقيدانه من ذراعيه إلى جدار بارد بسلاسل معدنية قاسية، يجاهد ليستعيد بعض سيطرته على أطرافه كي يتمكن من الوقوف، لأن السلاسل تضغط بشدة على لحم ذراعيه، وتكاد أن تدميه..

يستند إلى الجدار وهو في وضع المصلوب، فيخف ضغط السلاسل، ويبدأ في تفحص ما حوله، لتتسع عيناه من الدهشة، وهو يشاهد أمامه عمودًا ذهبيًا له قاعدة مستديرة موضوع عليها ما يشبه بيضة عملاقة فيروزية تتوهج بضوء خافت، في منتصف الغرفة.

نظر للبيضة في دهشة، دون أن يمنحه عقله تفسيرًا مقنعًا عن كنهها..

فتارة تبدو لعينيه كحجر كريم عملاق..

وتارة تتماوج مع الضوء، وكأنها مصنوعة من مادة لدنة شديدة المرونة، أو أن بداخلها ما يستعد الخروج!

يحاول أن يبعد عينيه عنها، ولكنها تجذب بصره كالمغناطيس، ليمر شريط حياته بالكامل أمام عينيه، وكأنّ وجوده في محيط البيضة يحفز ذكرياته..

وظل على هذا الوضع لفترة طويلة، شعر خلالها أنها تسحب روحه، لا ذكرياته وحدها، وتصيبه بالوهن.

البيضة تتألق، فيغزوه خوف رهيب، وبرغم هذا لا يتوقف عن النظر إليها، وكأن جاذبيتها تتضاعف، مع مرور الوقت..

لقد تذكر أشياء لم يكن يعرف أنه مر بها في طفولته، وصباه، وشبابه.

وعندما دوى الصوت العاصف، أزاح عينيه عنها بصعوبة، ونظر إلى مصدره، فلم يرَ أي شيء غير معتاد.

ما زال باب الغرفة مغلقًا، ولا أحد معه في الغرفة، وبرغم هذا اهتزت شعلات الشموع، وشم رائحة كبريتية خانقة، فزاد خوفه..

وعندما تألقت دوّامة نارية في منتصف الغرفة، وشاهد ذلك الرجل العملاق ذا العين المطموسة وهو يتجسد من قلب العدم، شهق من الفزع والهلع، فقد كانت عيناه الأخرى تتألق بنيران حقيقة..

رمق الرجل للحظات في جزع، ثم دوت الفكرة المخيفة في عقله، فراح يصرخ في روع:

- الدجال.. المسيخ الدجال!

وقبل أن يهدأ روعه، تألقت في قلب الغرفة دوامة نارية أخرى، وظهر في المكان أبشع مخلوقة يمكن أن يقع بصره

عليها في حياته.. وتعلقت عيناه بجناحيها الناريين وعينيها المشقوقتين طوليًا كأعين الثعابين، وحولها انتصب ثلاثة من البشر يرتدون أزياء داكنة كمسوح الرهبان، امرأتان فاتنتان، وشاب مفتول العضلات..

لم يعرف الصحفي من هي، ولا من هؤلاء، ولكن (وليد) كان يعرف..

إنها الماردة (آجر) معاونة الشيطان الابن، وسارقة مخطوطة ابن الشيطان السرية التي سعت كي تحصل على هذه البيضة العجيبة، والتي من الواضح أنها تدير كل الأمور من خلف الستار.

وهنا قرر (وليد) أن يخترق عقل الماردة، ليعرف أكثر..

وعندما اندمج وعيه معها، وتعمق أكثر من المرة السابقة، شعر بصدمة عقلية عاتية، وبدوار رهيب، فعقلها لم يكن يشبه أي عقل آخر قد اقتحمه من قبل، بل كان مظلمًا وباردًا، ومفعمًا بالشر البكر.

كانت تلك اللعينة أخبث من الشياطين مجتمعين، وبداخل عقلها من الذكريات والعلوم والمؤامرات ما يكفي لإفساد الكون كله، وكأنَّما ما يسري في دمائها هو شر خام خالص.

وظهورها الآن بصحبة الشيطان الابن، كان لمهمة محددة:

أن تثبت له ولاءها، وتدفع عن نفسها تهمة خيانتها له، بعد أن تركته في صراعه مع الشيطان الأكبر، وهربت بالمخطوطة..

ثم كانت دهشته مضاعفة عندما علم أن الثلاثة التي يحيطون بها من نسل الساحر الرهيب (ابن زوهار) الذي أخرجها من القمقم، الذي حبسها بداخله الشيطان الأكبر عقابًا لها بعد أن عجز عن قتلها، والذي استعبدته (آجر) وأفقدته إرادته، بعد أن أصبح طموحه لا يصب في مصلحتها، فصار بين يديها كالزومبي، فأجبرته على الزواج من امرأة يمتد نسلها إلى أحد قدماء المصريين، وباركت ذريته بسحرها، في حرص شديد منها لتنتقل علومه وقدراته الجهنمية إلى نسله.

فظلت إلى ما يقرب من خمسة قرون في كهفها السريّ، تعلمهم الفنون السوداء، وفنون استنطاق واستجواب الموتى، وتبث فيهم روح الولاء للشيطان الابن، الذي برغم فارق العمر بينهما وهيئته المشوهة تهيم بعشقه.

وها هو (وليد) يرصد خلال ذكرياتها المجهود الذي بذلته هي ورجالها، لعودته، وإحلال ما تبقى من كينونته في جسد آكل الموتى.

وذهل من كم المؤامرات التي نسجتها، وهي تجمع الأتباع، وتبث أسطورة عودته في كل مكان..

لقد كانت هي رسول الشيطان الابن في الأرض، وخدمته بكل إخلاص ووفاء، يندر بين المحبين.

وعندما وقع بصرها عليه بهيئته الجديدة، سجدت له في تعظيم وخشوع، وتبعها البشريين الثلاثة دون تردد، وهي تقول برهبة ومشاعر مضطربة:

- خادمتك (آجر) تجدد عهود الولاء والطاعة..

كان منظر الشيطان الابن في جسد (آكل الموتى) أشد إفزاعًا من هيئته الحقيقية المشوهة، وعينه السليمة تضج بنار الجحيم، وهو يقول بكل غضب العالمين:

- أي ولاء وطاعة أيتها الخائنة! إنّ قتلك وحده لن يشفي غليلي، و ...

وهنا دوى صوت الماردة ليقاطعه من وضع السجود، وهي تقول في ضراعة واستسلام:

- لو كان موتي هو الثمن لتعلم ما بذلته من أجل الحفاظ على المخطوطة وعودتك، فـ(آجر) ستقدمه لك عن طيب خاطر، لقد قرأت الصورة الأشمل، وأدركت ما فعله الشيطان الأكبر عندما حجب تأثير النجم الذي ارتبطت به حياتك، وكنت أدرك حقيقتك وقدراتك أكثر منه، وأدركت أن موتي في معركة خاسرة لن يفيد أحد، وها أنت الآن قد عدت،

والعالم مهيأ لك، وكل الأتباع بانتظارك، وأنت بنفسك رأيت أعوانك فور تجسدك.

تأملها الشيطان الابن بكراهية، وهو يقول في غضب:

- وما أدراني أنها خدعة جديدة، وأن ولاءك قد عاد لأبي اللعين، الأحمق من يلدغ من جحر مرتين!

هبت من مكانها لتواجهه، في حين ظل البشريون الثلاثة على وضعهم، وهي تقول في غضب ممزوج بالضراعة، وسحنتها الكئيبة تتقلص وجناحاها الناريان يخفقان بقوة:

- حاشاك أن تكون أحمقَ يا مليكي وسيديّ، بل أنا الحمقاء لأنني تصرفت دون علمك، أو ترتيبات مسبقة، ولكن ضيق الوقت، واحتدام الموقف، هو ما أجبرني على هذا، ثم لا يمكن لأحد أن يكذب في حضرة بيضة الحقيقة..

استدار الشيطان بحدة نحو البيضة، فوجدها تنبض بقوة، فلم يفهم، وعاد لينظر نحوها في تساؤل عاصف، وكان هذا حال (وليد) أيضًا الذي عجز عن فهم كنه البيضة أو وظيفتها، ثم تدفقت المعلومات في عقله كالعادة من مخزون ذكريات (آجر).

فهي لم تكن مجرد بيضة عادية، بل هي عمل سحريّ موغل في القدم، توصل إليه (راسبوتين) بعلومه السحرية في أثناء

بحثه عن مخطوطات السحر القديمة لتدعيم قدراته.

وعندما علم الشيطان بعثور تابعه الجهنمي عليها، أمر أقرب معاونيه أن يحضرها إليه.

ولما كانت قدرات البيضة توثر في جميع من في نطاقها، وترسل كل المعلومات التي تخصهم كأفضل أداة تجسس سحرية، إلى نسل الطغاة الذين تركوها خلفهم، وهجروا الأرض منذ زمن بعيد، ويضعهم الشيطان في خانة أعدائه، فإنه رأى أنه قد يُستفاد منها في مرحلة ما، فهو لم ينسَ ثأره عندهم.

ولم يجد أفضل ممن عثر عليها ليحفظها، وتوصلت هي إلى سرها منذ زمن بعيد، بعد أن فكت طلاسم المخطوطة، ولغة الشياطين السرية، وتتبعت أثرها السحريّ، حتى حان الوقت وأجبرت حفيد شيطان الإنس (راسبوتين) ليخرجها من مكمنها، لتدعم موقفها، وتؤكد على صدقها أمام سيدها.

فلا أحد يستطيع أن يكذب في حضورها، كما أنها السبيل للتواصل مع هؤلاء الجبابرة الذين يعادون الشيطان الأكبر، ليساعدوهم في مخططهم، لو قرر الشيطان الابن الاستعانة بهم، تحقيقًا لمقولة «أعداء أعدائي هم أصدقائي».

وليتأكد الشيطان من صدق مزاعمها وما تسوقه إليه، وضع

يده على رأسها، وهو يقاوم رغبته في قتلها، ليقرأ عقلها، ولينقل إلى ذاكرته كل محتوياته، لتثبت ذكرياتها براءتها وإخلاصها لسيدها، وتؤكد البيضة بقدراتها الخارقة على هذا.

وعندما تابع (وليد) الحوار الذي دار بينها، وبين الشيطان الابن، أدرك في هلع أن جعبة (آجر) لم تنته، حين أفصحت له عن حقيقة المكان الذي استدعي إليه، وحقيقة المحتجزين فيه.

فقد حولت ذلك البيت الشتويّ إلى سجن جهنميّ مطلسم، جمعت له فيه كل ما استطاعوا الوصول إليه من السحرة والمشعوذين الموالين للشيطان الأكبر، وحيدت كل قواهم، ليستخدم قدرات (آكل الموتى) في الاستحواذ على علومهم ومعارفهم، وطرق تواصلهم مع الشيطان الأكبر، من أجل أن يبني خطته على معلومات موثقة جمعها هو بنفسه.

كما أن البيضة المطلسمة ستساعده في استشراف حقيقة المعلومات التي سيجمعها من السحرة، فبعضهم تحميهم تعاويذ قادرة على تضليل من يقوم باستنطاق جثثهم، لذا فاستجوابهم قبل قتلهم سيوفر الكثير من الوقت.

ومع ربط (وليد) لكل الأحداث التي مرت عليه، مع ما تدفق لعقله من المزيد من المشاهد والذكريات من عقل (آجر)، أيقن أن الماردة العاشقة لم تضيع وقتها هباء، فقد استغلت

الوقت الذي غاب فيه محبوبها، وأعدت خطتها الكبرى.

وعندما عرضتها على الشيطان الابن أثنى عليها، وطورها، وبدأ في تجنيد المؤثرين من أتباع أبيه مثل (يونس فهمي)، وخداع المخلصين له، كـ (مازن شهاب) ليجعله يخون سيده دون أن يدري، واستغل نفوذه وثرواته، للسيطرة على أتباعه، وهدم مملكته الأرضية، في إطار خطته الأكثر خبثًا لتطويق والده، بعد أن حقق انتقامه منه على محاولة قتله، وأفشل مخططه الكوني.

وهنا وضحت أمام (وليد) الكثير من النقاط التي غفل عنها، واشتعل فضوله لمعرفة المزيد مما ما يزال محجوبًا عنه، فكل الأحداث تشير إلى مواجهة أخرى وقعت بين الشيطان الابن المنبوذ وأبيه الجهنميّ، بعد أن عاد على يد (آجر)، التي بعودة اتحادها مع الشيطان الابن، فإن أهوالًا كثيرة تنتظر الأرض والبشر، بل ومخلوقات الكون كله..

وعندما انسلخ من ذكرياتها، وعاد لذكريات ذلك الصحفي الذي كاد عقله أن يجن من هول يراه أمامه..

اعتصرت قبضة باردة قلبه، وشعر بالشفقة على ذلك المسكين الذي قاده حظه العسر، للوقوع في أيدي هؤلاء الزبانية، وحضور ذلك اللقاء الشيطاني الذي يفوق استيعابه.

وعندما هب أحفاد (ابن زوهار) من سجودهم، بعد أن أذن لهم الشيطان الابن، ليكونوا مساعديه في طقوسه الدموية، ونظروا نحو الصحفي متسائلين، لم يستطع الصحفي أن يتمالك نفسه وبال في ثيابه..

لم تكن للصحفي أي أهمية في خطة (آجر)، ولكنها لم تأمن جانبه، فأمرت حرس المكان بإخراجه ثم استجوابه، وعندما سألها أحدهم عن مصيره بعد الاستجواب، أخبرته أنه لو نجى من استجوابهم له، عليهم أن يتركوه في زنزانته حتى يتعفن ويموت، ويشرعوا في إخراج باقي السجناء ليبدأ الشيطان الابن استجوابهم.

وعندما تبدلت المشاهد، كان (وليد) يتمنى أن يكون لديه القدرة على التقيؤ، فقد شاهد الشيطان الابن وهو يعود لوحشيته ودمويته، ويعذب السجناء بأبشع الطرق وأكثرها همجية.

إلى حد أنه شق بيديه في فورة غضب جسد أحد السحرة الذي حاول استمالته إلى جانبه بعد أن رأى مدى قوته وبأسه، ورفض الإذعان له أو خيانة الشيطان الأكبر، ثم راح يلتهم قلبه وعقله ولسانه في تلذذ، ليحصل على أسراره ومعارفه، ضمن طقوسه الدموية..

ولساعات طويلة عايش (وليد) ذلك الهول، حتى لم يعد

باستطاعته أن يواصل، وأظلم من حوله كل شيء..

وعندما عاد له وعيه بروح منهكة، ونفس كارهة، وجد نفسه في مقر إحدى كبرى الشركات في عالمه (الشركة العالمية للمحتويات المصورة) التي كان شعارها المميز يحتل جدار كامل في غرفة الاجتماعات الكبيرة..

أما ما أثار دهشته أكثر من فزعه هو رؤية الشيطان الابن يرتدي حلة سوداء أنيقة، وفي يده سيجار ضخم، ويضع ساقًا فوق ساق، وعلى عينه المطموسة رقعة جلدية سوداء، ويجلس على المقعد الموجود في الصدارة، وحوله مجموعة من أهم وأكبر رجال الأعمال في هذا العصر، وكان يتحدث، والجميع ينصتون له في خشوع واهتمام..

وكان من الواضح أن الذكريات لا تعرض عليه بترتيب زمنيّ دقيقٍ، وإن كانت هذه الذكرى تلي الذكرى السابقة بعدة سنوات، ولكنها تسبق الكثير من الذكريات الأخرى في ترتيبها الزمنيّ.

وهنا تفجر السؤال في رأس (وليد): ما الذي يدور في هذا الاجتماع الغريب؟

وعندما لم يجد إجابة، قرر أن يخترق عقل أحد الجالسين حول الشيطان الابن..

وكان ما رآه هناك رهيبًا بحق.

(١٢)

فما أن اخترق عقل أقرب الرجال إلى الشيطان الابن، حتى تدفقت المعلومات لعقله على نحو سريع.

اسمه (رويتا فيتالي) رجل أعمال وسياسي أوكراني عتيد من أصول يهودية، وصاحب واحدة من أكبر المحطات الإعلاميّة التفاعليّة على ظهر الكوكب، ويمتلك عدة مراكز أبحاث بيولوجية، كما أنه من أباطرة تجارة السلاح والرقيق الأبيض، وأنه المسؤول عن ترسانة الأسلحة الخاصة بالمنظمة التي أصبحت تحتوي على عدة أسلحة جرثومية وفيروسية، ونووية فتاكة، على نحو يجعلها قادرة على تهديد كل دول العالم.

جميع ذكرياته عبارة عن مزيج فاسد من الخطط والمؤامرات والصفقات الدموية، التي تؤكد بما لا يدع مجالًا للشك أن (رويتا) شيطان حقيقيّ لا مبادئ له، وكل ما يسعى إليه دون هوادة هو مصلحته الخاصة؛ ولذلك كان ينصت لحديث ابن الشيطان باهتمام شديد، دون أن يعرف هويته أو شخصيته الحقيقية.

وكان هذا هو حال الجميع مما يحيطون به من رجال أعمال، مما أثار دهشة (وليد) وتساؤلاته، فكل ما يعلمونه

عنه يتلخص في كونه رجل أعمال ثائرًا ضد نظام الشركات الكبرى التي تعرقل أعمالهم، وتحيل الحياة في مجتمعاتهم إلى جحيم.

وكان هذا يعني أن لهم دورًا مختلقًا في ظل الصراع القائم، وربما حجب الشيطان الابن عنهم شخصيته الحقيقية، إمعانًا في السرية أو لأن ما يحتاجهم فيه يتطلب ألا يحتكوا بعالمه المظلم، وتكون صفحتهم بيضاء، بعيدًا عن أعوانه الحقيقيين، ورجال الأعمال المواليين له الذين يحيطون علمًا بحقيقته.

وقطع أفكاره صوت الشيطان الابن، الذي كان يتحدث بصوت عميق قائلًا:

- اليوم هو الاجتماع الأخير لمجلسنا، كل منكم يعلم دوره جيدًا في خطتنا الشاملة، لقد أصبحت المنظمة بفضل جهودكم العظيمة تمتلك ترسانة هائلة من الأسلحة المتطورة، وأسلحة ردع غير محدودة، وبات لدينا جيش مؤهل لخوض المعارك، وصرنا قادرين على إحداث التغيير المطلوب، ولكننا لن نلجأ لاستخدام أسلحتنا الفتاكة، إلا أمام تهديد قوي لا يمكن التصدي له، أو يهدد أحدكم على نحو مباشر، وهو الخيار الأخير في خطتنا الذي لا أتمنى الوصول إليه، ولكنه يظل احتمالًا قائمًا، أعلم أنكم جميعًا تدعمونني فيه.

همهم الجميع موافقين، وإن ظهر التوتر على وجوه بعضهم، فهو لم يكن قرارًا سهلًا، وضحاياه لا يمكن حصرهم، وإن كان في الوقت نفسه يمثل لهم ضمان أمان وحماية.

وعندما عم الصمت عاد ليكمل:

- لقد تفوقتم على أنفسكم خلال الفترة الماضية، وسبقتم جدولنا الزمني المحدد على نحو مبهر، ونجاح المرحلتين الأولى والثانية من حربنا الإلكترونيّة والإعلامية يعني أن نقطة الصفر تقترب، وأنكم جميعًا تستحقون المكافأة على ما بذلتموه من جهد.

وفور أن أنهى عبارته، دوت نغمات أساورهم الإلكترونيّة، ليشهق (رويتا) في جشع، فمبلغ المكافأة كان يفوق كل ما حلم به، فهتف دون وعي:

- إنها مكافأة تفوق كل تصور، لقد تضاعفت ثروتي الآن ثلاث مرات!

شاركه الجميع الهمهمة، في حين عاد الشيطان الابن ليقول في بطء، ليسود الصمت إلا من صوته:

- المكافأة كبيرة، لأن ما قمتم به كبير، خاصة أنت يا (رويتا) فنجاحك في دعم ترسانتنا بالأسلحة الجرثومية والفيروسية عبر معاملك، وتلك الصفقة الرائعة التي حصلت

خلالها على قنابلنا النووية، اختصرت الكثير من الوقت، وشجعتنا على التقدم في مخططنا، وهذا لا يقلل من عمل الجميع، فلولا تكاتفكم جميعًا، وإخلاصكم لقضيتنا، لما كنا هنا لنناقش المرحلة الحاسمة من خطتنا التي هي على قدر بالغ من الأهمية والخطورة. فالقادم سيمهد الطريق لنحكم سيطرتنا التامة على الاقتصاد العالميّ، ومقاليد الحكم، وهذا يعني أن مصير العالم كله سيكون بين أيدينا، ولكن كل هذا لن يتم إلا بعد نجاح المرحلة الأخيرة التي تعتمد عليكم بشدة.

رمقه الجميع في اهتمام، فعاد ليكمل:

- لقد نجحنا بعد مجهود وصراعات عنيفة، في برمجة الوعي العالمي الجمعي ليتبنى أفكارنا، بعد أن بدأنا بتدشين (الشركة العالمية للمحتويات المصورة) ذات الإنتاجات الضخمة، التي أنتجنا من خلالها المئات من الأفلام الطويلة والقصيرة، والبرامج والمسلسلات الموجهة، والمحتويات الترفيهية التي من خلالها تمكنا من بث أفكارنا في عقول المغيبين من الشعوب على نحو مدروس ومنظم ومكثف. وُدعمت من خلال صحفنا ووسائل إعلامنا المتنوعة بالتسريبات الحقيقية والمفبركة، والمصنعة بحرفية لتظهر فساد الأنظمة والشركات عبر مواقع التواصل الاجتماعيّ،

لتصبح مثار اهتمام الجماهير من كل الطبقات والتوجهات والعقائد. ودفعنا أتباعنا من المشاهير الذين استقطبوا لجانبنا، ومن صنعناهم ليؤكدوا على أفكارنا، لتوجيه القطعان من متابعيهم لاعتناقها وإذكاء نار الثورة في أعماقهم. هذا غير رجالنا المتخفيين الذين يعملون على الأرض، ويمهدون للطوفان القادم، والذين باتت الجماهير على أيديهم كقنبلة موقوتة تنتظر من يفجرها. وصار الجميع ينتظرون ظهور المخلص، الذي سيقودهم لإنهاء فساد هؤلاء الطغاة، لاستعادة عالمهم من بين أيديهم بعد أن غشيهم الظلم، وأرهقتهم الفوضى المنظمة، والقوانين الجائرة التي لا ترحم..

وأصبح العالم مهيأ للتغيير القادم، بعد أن دشننا حركة (ثائرون) العالمية، ودعمها المشاهير من أتباعنا، وعن طريقها سيتحد صف الشعوب الثائرة ضد كل الفاسدين وأتباعهم وجمعهم تحت لوائنا، فالشعوب تتوق للخلاص، ولو بتدمير كل شيء. وما أعتمد عليكم فيه، هو العمل في سرية تامة لبدء تلك الثورات الموجهة التي ستتبنى فكرة إنهاء القوانين الجائرة، ومدن الفصل العنصرية المسورة، وإلغاء الضرائب التي تثقل كاهلهم، والتجنيد الانتقائيّ.

وسيكون كل هذا من أساسيات برنامجي الانتخابي الذي سأقدمه للجماهير، بعد الفوضى المنظمة التي ستضرب

كل مكان في العالم في وقت واحد لتدمير النظام العالمي القديم، وبناء نظام عالميّ جديد، كما يحدث من الدول العظمى منذ قرون.

لن نتورع عن استخدام أي شيء لنجاح مخططنا، سنلعب بأوراق الدين والأخلاق والاقتصاد، وسنرسخ في عقولهم أن النجاة وحدها ستكون باتباعنا..

وبالتالي سنضرب أكثر من عصفور بحجر واحد، نسيطر عليهم، وعلى كل مقدرات هذا العالم، فيرون هم فينا المخلصين الذين هزموا أتباع الشيطان على الأرض، وأعادوا لهم عالمهم من قبضة الشركات، والأنظمة الغاشمة التي تدعمهم.

كان (وليد) مذهولًا من هول ما يسمع، ومن الثورة الشاملة التي يعد لها الشيطان الابن.

صحيح أن ما يقوم به ليس جديدًا، وتقوم به الأنظمة والدول العظمى دائمًا في الدول النامية أو الناشئة، من أجل استنزاف ثرواتها وإخضاعها، ولكنه هذه المرة يستخدم معظم رجال الأعمال ذي النفوذ والثروات، والمؤثرين في العالم، والذين يشكلون شبكة أخطبوطية عملاقة من النفوذ والأتباع، وقادرين على صناعة زلزال كاسح يطيح بكل الأنظمة في الوقت المناسب..

وما لم يذكره الشيطان الابن صراحة أن الثورات التي بهذا الحجم، سيتخلف عنها الملايين من الضحايا، لأنها ستكون ثورات مسلحة ضد أنظمة قمعية لا تعرف الرحمة..

صحيح أنه عمل في ظاهره الخير، ولكنه في أعماقه شر مستطير.

إن الشيطان الابن لم ولن يعمل في صف الحق يومًا، ولا يدعو لنبذ الشيطان الأكبر لإرضاء الخالق العظيم، إن كل ما يفعله من أجل تحقيق أهدافه الشخصية..

فهل يفعل كل هذا بدافع الانتقام، أم أن له غرض آخر؟

ولماذا يراود (وليد) ذلك الشعور الكاسح بأنه قادر على النجاح في مسعاه بالفعل؟

وكيف بات على يقين كامل من أنه لو انقسم العالم لنصفين، سيكون في صف الشيطان الابن!

إن كل ما يحدث يصيبه بالدوار.

فالحق والباطن مختلطان على نحو يثير الفتنة..

إنه يعلم من عقيدته أن القيامة ستقوم على شرار الناس، فهل هذا هو التمهيد الفعليّ للقيامة؟

إنه لا يتمنى هذا حقًا، فهي أسوأ نهاية للجنس البشري، بأن يحكمهم شيطان رجيم، يستخدمهم لتحقيق مخططاته الجهنمية.

كم هو بحاجة ماسة لوجود أبيه الراحل ليسأله، ويأخذ برأيه، فكل الاختيارات أمامه موحلة، وكلها تقوده إلى الضياع.

ثم لفت انتباهه، ما يقوله الشيطان الابن، فنفض أفكاره جانبًا، وراح يصغي بانتباه، وصوت الشيطان القوي يرج أعماقه:

- قد يراني البعض في أسلوبي هذا، لا أختلف شيئًا عن هؤلاء الطغاة الذين يديرون الشركات الخبيثة، ويتحكمون في مصائر الشعوب، ولكن كل من درس التاريخ، سيتأكد من أن الثورات الخضراء، لم تحقق يومًا أي نجاح عبر العصور، وأن كل تغيير بحاجة إلى تجاهل بعض المبادئ، والكثير من التضحيات.

همهم البعض مؤكدين على صحة حديثه، ولكنه تجاهلهم وأكمل:

- أنا على يقين تام بأن البعض منكم لا يؤمن بما أسعى إليه من تغيير، ويسعى لمصلحته الشخصية، وأنا لا أمانع في

هذا طالما أن الهدف الرئيسي سيتحقق، فالتغيير يحتاج إلى الجميع.

حاول بعضهم الحديث، ولكن إشارته الصارمة ألجمتهم، فاستطرد قائلًا:

- وطالما ظل ولاؤهم للخطة ولي، فإن مكاسبهم ومكانتهم محفوظة، ولتعلموا جميعكم أن للخيانة ثمنًا كبيرًا، لن يدفعه الخائن وحده، بل وعائلته بالكامل، لن تكون هناك رحمة، ولن تكون هناك فرصة ثانية. لقد تساءل البعض منكم عن غياب ثلاثة من أعضاء المجلس عن اجتماعنا اليوم، وظننتم جميعًا أنهم يقومون بمهام خاصة كلفتهم بها، ولكن يا للأسف هذا ليس صحيحًا، فقبل أن أجتمع بكم كان لا بد من التأكد من ولاء الجميع، ونجحتم جميعًا في اختبارات الولاء، وفشل هؤلاء الثلاثة فيها، ولم يعد لهم وجود هم أو عائلاتهم على ظهر هذه الأرض، ونقلت ملكية جميع شركاتهم للمنظمة. إننا سنبدأ بتطهير العالم من الفساد، وكان من الواجب أن أبدأ بتطهير المجلس الذي سيحكم العالم فيما بعد.

دوت الهمهمات بين الجالسين، فرفع ابن الشيطان يده، وعينه السليمة ترمق الجميع في صرامة، وهو يكمل قائلًا:

- لقد انتهيت هنا، وكوفئ المخلصون منكم، وعليكم أن تبدأوا باستخدام رجالكم ونفوذكم، وكل الوسائل المتاحة

في إنجاح المرحلة الأخيرة حسب الجدول الزمنيّ الموضوع، فالعالم ينتظر قادته، ولتعلموا أن شعارنا القادم: النصر فقط..

هتف الرجال بقوة بكلماته الأخيرة، فأشار لهم أن ينصرفوا، لينفصل وعي (وليد) عن وعي (رويتا) الذي كانت تختمر في عقله خطة شيطانية رهيبة سيستخدمها في إشعال الثورة في بلده.

لتخلو الغرفة، ويفتح باب جانبي، ليدخل منه أمام عيني (وليد) المندهشة، الماردة (آجر)، وخلفها أحفاد (ابن زوهار) الثلاثة، وبعدهم (يوشع)، ويليه (يونس فهمي)، وثلاثة من أقسى الوجوه وأخبثها، الذي علم على الفور أنهم من عتاة السحرة الذين جمعتهم (آجر) بعد أن أقسموا على الولاء للشيطان الابن، ليحتلوا مقاعدهم حول المائدة، وبصحبتهم عشرة من رجال الأعمال المواليين له، وكأنهم مجلس حرب رهيب، ليقول ابن الشيطان في حدة، فور أن احتلوا مقاعدهم، موجهًا حديثه إلى الجالسين قائلًا:

- لقد تابعتم جميعًا الاجتماع السابق الذي أثبت أن مخططنا الأرضي يسير بأسرع مما قدرنا له، فرجال الأعمال المعتنقين للقضية، لا مثيل لهم في تنفيذ المؤامرات، ولقد نجحت هذه التحركات في تأخير مخطط الملعون الأكبر بالنسبة للأرض وقاطنيها، وبرغم هذا ما زال ذلك الملعون، يسبقنا بعدة

خطوات في مخططه الخارجيّ، وهو ما يثير استيائي على نحو كبير. فقد بدأ الملعون فتنته الكبرى بأحد كواكب مجرة (اندروميدا) القريبة، وسراياه وزبانيته يقطعون الأرض طوال الوقت في محاولة لمعرفة من خلف ما يحدث عبر قارات العالم السبع.

واختراقنا لكل تنظيماته يجهض هذه الجهود، ولكنها لن تستمر لفترة طويلة، فالمواجهة قادمة لا محالة، وكل الأصابع ستشير إلينا حتمًا في وقت ما، وهو ما أريد أن يحدث في الوقت المناسب، ولذلك على من يتصدرون المشهد من أتباعنا أن يكونوا أكثر حذرًا..

وما أن انتهى من عبارته، حتى قالت (آجر) في اهتمام:

- نحن نتابع الجميع طوال الوقت، ولا نسمح بأي تجاوز، ولكن إلى أي مدى وصل نجاحه هذا؟ إن العزلة التي فرضتها علينا من أجل نجاح مخططنا، تحجب عنا الكثير.

استعرت عين ابن الشيطان السليمة بنيران الجحيم، وتجهم وجهه البشري، وهو يقول في مقت واضح:

- لقد نجح ذلك الحقير نجاحًا ساحقًا، لقد كنت هناك بنفسي، وشاهدت تفاصيل خطته العبقرية..

شهق بعض الجالسين من المفاجأة، وتوتر البعض الآخر،

وشخصت أبصارهم نحوه، في حين استعر فضول (وليد)، مع وصف الشيطان الابن لخطة أبيه بالعبقرية، وقرر أنه قد حان الوقت ليغادر تلك الذكرى، ويتحد مع وعي الشيطان الابن برغم مخاوفه الكثيرة.

ولكن الشيطان الابن لم يمنحه الفرصة، عندما أشار للجالسين حوله إشارة خاصة، فهمها الجميع، ليقبض كل منهم على يد الآخر، وقبض هو بيديه على يدي أقرب اثنين منهم إليه، لتكتمل الدائرة، وهو يقول بلهجة موحية:

- والآن سترون ما رأيته بنفسي، لتعلموا بأنفسكم كم أن المرحلة القادمة مهمة وحساسة لأقصى درجة، وعلينا إعداد جيوش حقيقية، وليس مجرد أتباع مخلصين.

وفي اللحظة التالية أظلم وعيهم جميعًا، واغتالت أرواحهم برودة عاتية أشعرتهم بالوحشة، قبل أن تتألق الذكرى في عقولهم، وهم يتابعون في ذهول ما يبثه إليهم الشيطان الابن، و(وليد) يتابع ما يحدث، ليدرك أنه بالفعل بداخل ذاكرة الشيطان الابن الأساسية، وليس مجرد ذكرى فرعية..

وقبل أن تنجرف روحه مع مخاوفها، جذب انتباهه مشهد كوكب (مندورا) المتألق ذي الحلقات المضيئة الذي يقع في الطرف البعيد من مجرة (أندروميدا)، ضمن مجموعة شمسية كبيرة، يحجبها سديم كونيّ عملاق عن الرصد، دليلًا

على دقة اختيار الشيطان وحسنه لموقع أول أهدافه.

ولأن الشيطان الابن كان حريصًا على السرية في هذه المرحلة الحاسمة، لذا فإنه استخدم ما لديه من علوم شيطانية ليسبح كيانه الطيفيّ عبر الأثير حتى وصل إلى الكوكب المستهدف، في وقت قريب من بدء خطة الشيطان الأكبر..

وعندما هبط إلى الكوكب أدرك أنه تأخر كثيرًا، ولم يقدر أباه الشيطاني وقدراته حق قدرها..

فوسط من تبقى من قاطني كوكب (مندورا) العمالقة الذين يشبهون البشر في هيئتهم الخارجية، ويختلفون عنهم في بشرتهم الكالحة الصفراء، وعدم وجود الحاجبين أو الرموش، بعد أن أنهت حربهم الأخيرة كل مظاهر حضارتهم المتفوقة التي سعى زبانيته لنشوبها، كان رسل الشيطان يهيؤون الجميع لقدومه، ويدعون أن الإله قادم ليتجلى على عباده، وأنه قريبًا سيأتي يوم الحساب..

كانت شريحة كبيرة من قاطني الكوكب مهيأة بالفعل لتلك الفكرة المخيفة، بعد ما لاقوه وما يلاقوه من أهوال، فالحروب والمحن، أفضل الأوقات لزراعة الأفكار وتوجيه الجماهير الخائفين لاعتناقها.

وهؤلاء لم يبذل رسل الشيطان أي مجهود لإقناعهم، فقد اتبعوا تعاليمهم وإرشاداتهم كالقطعان، وكفروا بإلههم الذي جعلهم يمرون بكل تلك الأهوال دون أن يهتم بدعائهم أو تضرعاتهم.

على عكس الرافضين الذين تمسكوا بدينهم وإلههم، وبرروا أن ما حاق بهم كان نتيجة أعمالهم، وراحوا يضايقون رسل الشيطان، بل ويعتدي بعضهم عليهم، في حين ظل الرسل يتخذون جانب السلم، ويتحملون كل هذه المضايقات، وهم يحذرونهم من مغبة التمادي، فلصبر إلههم حدود.

ولفترة زمنية طويلة، راح الشيطان الابن يطوف بالكوكب أو بأطلاله لو أردنا الدقة، ويتابعه (وليد) الذي صعقه مقدار الدمار الذي حاق بالكوكب وأنهار الدماء التي سفكت..

لم يكن هدف الشيطان الابن هو حصر مقدار الدمار والخراب الذي عم الكوكب ليصبح مجرد أطلال خربة شاهدة على حضارة ذاهبة بغير عودة، بل كان يدرس تداعيات ما يحدث وتبعاته، وتأثيرها في الرافضين والمؤمنين بها، فخطة الشيطان الأكبر كانت تشبه خطته المستقبلية من أوجه كثيرة..

كما أنه كان يرغب في أن يعرف طرق رسل الشيطان في بث أفكارهم، والحجج التي يسوقونها لخداع الجميع..

كان الأمر مجهدًا وصعبًا في هيئته الجديدة، ولكنه كان يمتلك الصبر والحماسة الكافيين لمواصلة مهمته، واستطاع في النهاية أن يلم بكل تفاصيل تلك الخطة الرهيبة ودقائقها من موقعه الخفي عبر الأثير، بعد أن استخدم سحره لاختراق الأذهان، وتفتيش العقول، وقياس مدى قناعة من تبقى من قاطني هؤلاء الكوكب بفكرة قدوم الإله، ويوم الحساب.

لقد تعلم الشيطان الابن الدرس، ولم يعد يقلل من قدرات عدوه، وعلم أن الإعداد لأي خطة أهم من سرعة تنفيذها، وأن المعلومات هي التي ستمنحه النصر القادم.

وكانت كل هذه الأفكار تنتقل إلى أذهان جميع المتابعين للحدث المهيب من أتباعه، وتترسخ في عقولهم..

وغرق (وليد) في هذه الأفكار، فلم يلحظ تبدل الذكرى، إلا عندما سمع اللغة العجيبة الأشبه بنقيق الضفادع، وشاهد أمامه جمع كبير من هذه المخلوقات صفراء البشرة، وهم يتحلقون حول أحد رسل الشيطان، الذي كان يراه الشيطان الابن بهيئته الحقيقية، لا الهيئة المخادعة التي تشبه قاطني الكوكب، وهو يقول في أسى:

- لقد أفنيتم عالمكم بأيديكم، والرب الأعظم غاضب منكم،

وصلاتكم وتضرعكم إليه، قد تطفئ نار غضبه، لقد اقترب يوم الحساب، والرب الظاهر قادم ليتجلى عليكم، ويأخذ الصالحين منكم تحت جناحه، ويهلك الكافرين.. الخيار لكم.. نعيم أبديّ، أو جحيم أبديّ.

يصيح أحد العمالقة:

- ولكننا نعبد الرب، ولم ننقطع عن عبادته!

يهدر صوت رسول الشيطان:

- بل كنتم تعبدون (مولوخ) وتطبقون شريعته الفاسدة، التي قادتكم للهلاك.

وعلى الفور أدرك (وليد) أن (مولوخ) هو اسم الشيطان في عالمهم، فعاد لينصت في اهتمام:

- الرب قادم إليكم بنفسه، ليعيدكم إلى الطريق الصحيح، بعد أن خدعكم (مولوخ) وقادكم للضلال، وأوهمكم بأنه الرب.

صوت آخر يدوي في المكان:

- ولكن الرب كان يستجيب لنا..

يهدر صوت رسول الشيطان مستنكرا:

- بل هو (مولوخ) الخبيث، الذي خدعكم وخدع أجدادكم، وأوهمكم أنه من تدعونه فيستجيب لكم، وجعلكم تتمادون في غيكم وضلالكم، حتى دمرتم كوكبكم، واستحققتم العقاب، والرب لا يعاقب الغافلين، أو المخدوعين، لأنه رب عادل، وأرسلنا لنمنحكم فرصة أخيرة. إن الرب قادم والخيار خياركم، وسيتجلى عليكم قريبا في وادي (تاتم)، لذا عليكم أن تفروا من ضلالكم إلى وادي (تاتم) وتنتظروه..

وفي اللحظة التالية، لطخ وجه رسول الشيطان، سائل أزرق كريه الرائحة، وارتفع صوت أحد الرافضين قائلًا:

- كف لسانك عنا أيها الزنديق! نحن لن نتبعك ونكفر بإلهنا أيها الكاذب المهرطق، ألم تكتفوا من خداعنا وتغييب عقولنا! أنتم لستم رسل الرب، بل أنتم أعوان الشيطان (مولوخ).

وهنا هدر صوت رسول الشيطان، قائلًا:

- الرب لن يغفر لك هذا، وستلقى عقابه الفوري الرادع، لتكون عبرة لأمثالك.

وفي اللحظة التالية شقت السماء صاعقة هائلة، حولت جسد المعتدي إلى غبار، ليسجد على أثرها الجمع في رهبة وخشوع..

وصوت رسول الشيطان يزلزلهم:

- الرب قادم، ولم يعد يقبل إهانة رسله، ولينتظر الكافرين والمنكرين منكم يوم الحساب الرهيب.

كان مشهد احتراق المنكر مروعًا للجميع، وترك فيهم الأثر المطلوب، فجميعهم ضائعون، ويحلمون بالخلاص بعد دمار كوكبهم على أيديهم، وما يحدث يفوق حتى خيالهم..

وكان ما حدث تحركًا ذكيًّا، وفي توقيت مناسب جدًا من الشيطان الأكبر الذي من الجليّ أنه يتابع ما يحدث عن كثب، فغير استراتيجية في الوقت المناسب من الترغيب الذي لم يؤت بثماره إلى الترهيب، ليجعلهم يسيرون حسب المخطط..

إن هؤلاء المخلوقات المسكينة يتعرضون لأكبر ابتلاء وفتنة في حياتهم!

فكيف كان سيكون مصير البشر، لو بدأ الشيطان الأكبر مخططه بغزو الأرض في ظل حالتهم المتردية هذه؟

وقطع أفكار (وليد) تبدل المشهد، عندما ظهر أمام عينيه وعيون المتابعين، عشرات الآلاف ممن تبقى من مواطني (مندورا) الذين أتوا من أرجاء الكوكب، ليتجمعوا في وادي (تاتم) الذي كان له قدسية خاصة في عقيدتهم، والذي حدث فيه الرب رسولهم في الزمن القديم..

لم يكن مواطني الكوكب من البدائيين، بل هم أصحاب فكر وحضارة عظيمة، إلا أن ما حاق بهم من كوارث متتالية، وأنباء صواعق الشيطان التي تحرق المستنكرين التي ذاعت في كل مكان طوال الفترة السابقة، أوهنت عزيمتهم، وأضعفت قناعتهم، وجعلتهم قابلين لتقبل كل ما يقوله رسل الشيطان، بل ويتعبون إرشاداتهم للتجمع في وادي (تاتم) الذي نجا بمعجزة من محرقة الكوكب الأخيرة..

كما أن رسل الشيطان في هذه المرحلة الحاسمة، كثفوا من حضورهم، ورحوا ينذرونهم، ويدعونهم ليستعدوا لأن الرب سيتجلى لهم في وقت قريب..

القلوب الواجفة ترهب اللقاء..

والقلوب المؤمنة تتمناه..

والقلوب المنكرة التي قادها الخوف، تنتظر اللحظة التي سيثبت فيها كذبهم..

وعندما انتصف الليل، دوى في المكان صوت قصف رهيب، وكأنما هناك ضجيج معركة حامية الوطيس تدور في السماء دون أن تراها العيون!

وعلى أثره استيقظ النائمون المجهدون من نومهم، وفزع

المستيقظون، وشخصت أبصار الجميع صوب السماء، حيث مصدر الصوت المروع، الذي جعل قلوبهم تخفق دون هوادة.

وأمام أعينهم المترقبة، حدث خسوف كلي لأقمار كوكبهم الثلاثة تباعًا، وهبت رياح شديدة أطفأت النيران التي أشعلوها، وأظلم المكان على نحو كليّ، وساد الهلع والاضطراب، إلى حد أن البعض منهم فكر في الفرار، وراح الرسل يصرخون، ويخبرون المجتمعين بأن اللقاء الموعود قد حان..

وقبل أن يأتي أي منهم، بأي رد فعل، تألقت السماء لمساحة رهيبة بضوء ساطع رهيب، أعمى كل العيون للحظات، ثم عادت لتظلم، لتتألق المئات من النقاط المضيئة في قلب السماء، تابعتها العيون وهي تندفع نحوهم بسرعة كبيرة، مما سبب ارتباك عظيم وسط الحشود، الذين ظنوا أن النجوم تركت مواقعها وستضرب كوكبهم، وسط هدير مروع، وضجيج يصم الآذان.

وعندما اقتربت النقاط المضيئة أكثر، وبدأت تتضح معالمها، تبدل رعبهم وقلقهم لدهشة ورهبة عظيمان.

فأمام أعينهم ظهرت (الكروبا) أو الملائكة المجنحين كما ذكر في عقيدتهم، يسبحون في جوف السماء، والهدير الناجم عن أجنحتهم يصم الآذان، وهم يصنعون في صفحة السماء

تشكيلًا مميزًا أحال المكان بهيئتهم المضيئة إلى نهار..

ثم دوت من قلب المجهول موسيقى حماسية رهيبة سحرت عقول العمالقة، قبل أن يظهر عرش مهيب بحجم مدينة كاملة، وفوقه ظهر الشيطان ككيان كونيّ عملاق، يجلس على العرش في هيئة مضيئة، وله أجنحة متعددة، خر له الجميع فور رؤيته ساجدين، ودعواتهم وابتهالاتهم ترفع إليه.

كان المشهد مهيبًا ومفزعًا لقاطني الكوكب، ولكن الشيطان الابن لم يكتف بالمشاهدة، بل انطلق عبر الأثير ليخترق العرش المهيب الذي أحاطت به ملائكة الشيطان، ليدرك الخدعة الجهنمية..

فالعرش المصنوع من معدن مضيء على نحو مبهر، لم يكن سوى سفينة فضائية هائلة الحجم، لا صوت لمحركاتها، والشيطان استخدم معرفته العميقة بالخيمياء ليضاعف حجمه، ويبدل هيئته، ليبدو بهذه الضخامة والمهابة..

وأدرك الشيطان الابن أنه مع وجود العرش في السماء، لن يستطيع أحد أن يكتشف الخدعة بسهولة، خاصة عندما خرج من أسفل العرش المهيب بساط كبير مضيء، وبدأت الملائكة تحيط به على الجانبين في نظام..

وأمام أعين قاطني الكوكب المسحورين، انفصل عنهم مجموعة، بدأت في حشد المواطنين وتنظيمهم في صفوف طويلة..

ثم بدأوا يحملونهم تباعًا إلى البساط، ويعرضونهم على الشيطان في هيئته المخادعة..

وكان كل واحد منهم يضع قدمه على البساط المضيء، تحيط به على الفور هالة زجاجية تعزله عما يحيط به، وليدوي الصوت في عقله ليخبره بأنه لا يستطيع النظر إلى وجه إلهه، أو الحديث معه إلا من وراء حجاب، لأن قوة نوره قد تحرقه..

وكانت الخدعة الكبرى في قارئ العقول الذي كان يستنسخ ذكرياتهم، ثم يعرضها أمامهم في هيئة مشاهد هولوجرامية، ويبدأ برنامج ذكاء اصطناعيّ متطور في مناقشتهم فيها، وكأنما يُحاسبون..

ولوقت طويل جدًا خضع الموجودين في وادي (تاتم) لمراسم الحساب.

في حين رصد الشيطان الابن تحركات خفية في أنحاء الكوكب، وعندما تتبعها، رصد خلالها سرايا الشيطان الخفية تفتك أو تختطف من لم ينصتوا لدعوة رسل الشيطان

ويحملونهم إلى الجحيم، لإكمال سيناريو يوم الحساب..

كان من الواضح أن الشيطان الأكبر مستمتع بما يحدث، وسيمنحه كل الوقت..

وقبل أن يشعر (وليد) أو المتابعين المصدومين بالملل من كثرة تكراره، تبدل المشهد، وشاهدوا سفن الرب التي تحيط بها ملائكته المزيفون، وهو ينقلون قاطني الكوكب المغيبين عن الوعي على دفعات إلى نعيمه، ويوزعونهم على أماكنهم المحددة، ليستفيقوا في جنتهم.

ليتركهم الشيطان الأكبر لبعض الوقت لينعموا بما كافأهم به، ويخدر عقولهم ما يرون من أشياء لم يصل إليها أكثرهم خيالًا.

وما أن اطمئن إلى أن شكوكهم قد تبخرت، وأنهم قد اطمئنوا لمصيرهم، حتى تجلى الشيطان الأكبر لهم ليحدثهم بنفسه، ويعلن عن وجهه البشع، وينكشف هدفه الرئيسيّ، وهو رغبته في أن يعبدوه عن قناعة بعد أن غرر بهم وخدعهم، وصار إلههم الظاهر.

وما صدم (وليد) أنهم بالفعل أصبحوا لا يرون غيره إله، وهم يرفلون في هذا النعيم.

وهذا يعني أن خطته الجهنمية نجحت باكتساح، وأن ما

خدع تلك المخلوقات الذكية قادر على خداع غيرهم..

حتى من رفضوه، تجلى لهم قبل أن يزجهم في جحيمه، ليؤمنوا به قبل هلاكهم، ليذهبوا إلى العالم الآخر كفارًا بإلههم..

لقد تمادى الشيطان الأكبر بشدة في مخططه..

ومن الواضح أنه لن يترك كوكبًا مأهولًا وبه حضارة عاقلة، إلا وسينفذ فيه هو وزبانيته خدعته الجهنمية، لتصير جميع المخلوقات من أتباعه، ليبعدهم عن طريق الحق، ويشاركوه في النهاية نار الجحيم...

وهذا ما لن يسمح به ابن الشيطان..

وكان هذا يعني أن الصراع لم ينته، وأن الصدام آتٍ لا محالة..

وعندما انتهى ما يبثه الشيطان الابن في عقول أتباعه، ساد الصمت في المكان، ولم يقطعه إلا صوت (آجر) المتوتر، وهي تقول في صدمة:

- إنها خدعة رهيبة، ولا أعرف كيف سنتغلب عليها، إن ما رأيته يعني أننا لم نقدر هذا الملعون حق قدره.

وعلى الرغم من توترها، إلا أن صوت الشيطان الابن دوى

في أنحاء القاعة بكل هدوء قائلًا:

- كل خدعة مهما كانت ضخامتها، تبقى في النهاية مجرد خدعة، لقد أخطأ الشيطان عندما استخدم العلوم الحديثة في نسج خدعته، وصناعة عرشه وسلاح الوهم المتطور، فبهذا نقل المعركة إلى ساحة جديدة، قادرون نحن على التحرك فيها و ...

وهنا قاطعه (يوشع) في اهتمام قائلًا:

- هل هذا يعني أن لديك خطة لردعه يا سيدي؟

لم يظهر الاستياء على وجه ابن الشيطان لمقاطعته، بل نظر نحو (يونس فهمي) وابتسم، ليهتف (يونس) قائلًا:

- السلاح السريّ.. أنت عبقري بالفعل يا سيدي..

لم يفهم (وليد) كنه الحوار الأخير، ولا طبيعة السلاح السري الذي يتحدثون عنه، فقرر أن يخترق عقل (يونس فهمي)، وهناك علم لماذا حجب عنه الحوار الذي دار بينه، وبين ابن الشيطان في الذكرى السابقة..

فهو لم يرغب في أن يسبق الأحداث، ولا أن يكشف عن طبيعة ذلك السلاح السري الذي تحدث عنه (يونس) إلا في الوقت المناسب، ليؤكد له أنه ما زال يسيطر على كل

الخيوط، ويتحكم في مسار الأحداث، التي من الواضح أنها غير مرتبة زمنيًا لتخدم رؤية محددة.

وفي اللحظة التالية أظلم كل شيء حوله..

وكانت الذكرى التالية مروعة على نحو لم يتخيله (وليد) حتى في أسوأ كوابيسه.

(١٣)

عندما اخترق (وليد) عقل (يونس فهمي) لم يتوقع لحظة ما رآه هناك، فسلاح الشيطان الابن السريّ هو جهاز الانتقال الآني شديد التطور الذي نجح (يونس)، وعلماء شركته في تطويره ليناسب مخطط الشيطان الابن.

وهذا السلاح سيُستخدم لنقل عدة قنابل نووية من ترسانة المنظمة، التي حصل عليها (رويتا) ورجاله بالفعل من إحدى دول الاتحاد الروسي الجديد، في إطار صفقة فاسدة مع رأس النظام هناك بعد أن تعرض للابتزاز، من أجل هدف وحيد: تفجير جنة وجحيم الشيطان الأكبر..

كانت الذكرى مليئة بالتفاصيل الفنية المعقدة، فلم تثر حماسة (وليد)، ولكن عندما فُعِّلت المحاكاة الفعليّة لما ينون فعله، أصابه رعبٌ هائلٌ، فخطة الشيطان الابن أكثر دموية من خطة أبيه.

وعندما انتقلت الذكرى به إلى المشهد التالي، صعق مما رأى.

فجهاز الانتقال الآني المتطور زُرِع بعمليتين نوعيتين من أتباع الشيطان الابن، وفي غفلة من الشيطان الأكبر، وزبانيته، على أقرب أقمار الكوكبين اللذين يمثلان جنة

الشيطان ونعيمه، والذي نقل في هدوء وسرية ثلاثة من القنابل النووية الستة شديدة التدمير من الأرض، إلى كل من القمرين، بمنصات إطلاقهم المتطورة.

وفي توقيت محسوب، وباستخدام برنامج ذكاء صناعيّ مُتطور، وُجهت منصات الإطلاق فائقة الدقة، لإطلاق القنابل النووية شديدة التدمير، نحو الكوكبين، قبل أن يعمل نظام التدمير الذاتيّ، ليمحو كل أثر لمنصات الإطلاق.

لترفرف فوقهم أجنحة الموت النووية.

وخفقت قلوب أتباع الشيطان الابن، وهم يتابعون القنابل الثلاثة الأولى، الهابطة بسرعة كبيرة نحو جحيم الشيطان، كرسل موت لا راد لها.

كان من الواضح أنّ الكوكب لا يخضع لأي رقابة حقيقية من زبانية الشّيطان الأكبر، وأنه هو نفسه لا يملك تلك الرؤية الشاملة ليرصد ما يحدث في سماء جحيمه، من مكانه البعيد.

فبدون أي اعتراض أو مشاكل اخترقت القنابل الثلاثة الغلاف الجويّ المُظلم للكوكب، واخترقت طبقاته المتعددة حتى وصلت إلى ارتفاع محدد، وتفرقت كل منها إلى نقطة محددة، بُرمجت عليها مسبقًا.

غاصت القنبلة النووية الأولى في محيط الحمم، والثانية في منتصف منطقة الجزر السوداء الرهيبة، والثالثة في قلب هوة شديدة العمق التي تعد أقرب مكان لنواة الكوكب غير المستقرة.

ونتج عن القنابل الثلاثة الشكل المميز لفطر عيش الغراب، وانطلق منها ثلاث موجات تضاغطية وحرارية هائلة، سحقت في طريقها (آكلي النيران) الثلاثة، والجزر السوداء العملاقة بكل ما فيها ومن فيها، وفجرت نواة الكوكب الحديدية غير المستقرة.

ليتمزق الكوكب إربًا في لحظات، ويتحول ما تبقى منه إلى قذائف فضائية مشتعلة، سحقت في طريقها قمريه اللذين حجبتهما عن الرؤية سحب الدخان الهائلة.

وأحدث اضطراب شديد في مجموعته الشمسية، قد يتسبب في فنائها، وفي أفضل التوقعات تصادم بعض كواكبها.

وفي التوقيت نفسه تقريبًا، انطلقت المجموعة الثانية من القنابل النووية من منصات الإطلاق المتطورة، نحو فردوس الشيطان، وتفرقت الثلاث قنابل في غلافه الجوي، كما حدث من قبل، لتصنع مثلثًا وهميًا، ضم معظم كتلة الكوكب في محيطه، دون أي عوائق أو عقبات، لتنفجر في قوة مُحولةً

الكوكب العملاق الخلّاب إلى حفرة من حفر الجحيم، دون أن تتمكن من تفجيره، نظرًا لاستقرار نواته، وكتلته الهائلة.

اللحظات التالية للانفجار كانت كافية لتبخر موجاتها التضاغطية المتتالية، وعواصفها النارية شديدة الحرارة، كل ما بناه الشيطان، وأعوانه، وملائكته، وعشرات الآلاف من مخلوقات كوكب (مندورا) الغافلين، في مذبحة دموية غير مسبوقة.

ليجهض الشيطان الابن المنبوذ خطة أبيه الشيطان الأكبر، ويعيده للمربع صفر، بطريقة أقل ما يقال عنها شديدة الدموية والحقارة.

لم يستطع (وليد) أن يتحمل كل ما رآه من خراب ودمار، وشعر بأن روحه تسحب منه..

وأنَّ الظلام يحيط به من كل اتجاهات..

ولفترة طويلة لم يغادر هذا الظلام الكثيف.

وظن أنه سيظل محتجزًا فيه إلى الأبد، حتى فُتحت عيناه دون أن يبذل أي مجهود منه لفتحها، عندما رأى الضوء الخافت، فتوقع أنه عاد إلى واقعه، ولكن صدمته كانت أعمق، عندما سمع الصوت المعدنيّ الرتيب يدوي في رأسه، ويقول في برود معدنيّ:

- انتهت مغامرتك الحالية في المحاكي أيها الزائر، نتمنى أن تكون مغامرة ممتعة، ولا تنسَ أن تتفقد عرضنا الجديد، وحسومات يوم الاستقلال.

نظر (وليد) حوله في ذهول، غير مصدق ما يراه، فالمحاكي لم يصب بأي أضرار، وجسده سليم لم يصاب بخدش، وكل شيء يوحي له أنَّ كل ما مر به كان مجرد وهم معقد بثه المحاكي في عقله..

ولوقت غير قصير شعر بالحيرة، وكادت الدموع أن تقفز من عينيه، وهو يفكر أن رحلته انتهت، وأن عليه أن يعود الآن إلى مصنع اللحوم المصنعة، وحياته القديمة التي ظن أنه ودعها منذ زمن بعيد.

إنه غير مصدق أو مستوعب ما يراه..

ولدقيقة كاملة ظل في مكانه متجمدًا كتمثال من الشمع لا يتحرك أو يأتي بأي رد فعل، حتى عاد الصوت المعدنيّ ليدوي بداخل عقله بكل قوة مطالبًا إيّاه بمغادرة المكان، لوجود زائر آخر، وفي حالة شعوره بأي اضطراب أو تشوش عقليّ فعليه مراجعة القسم النفسيّ، فالحسومات تشمل الفحص أيضًا.

وبروح كسيرة غادر مبنى المحاكي الضخم، وهو يجر

قدميه جرًّا، ولا يعرف كيف سيكمل حياته، وكل ما يحيط به يؤكد على أن أحلامه بالثراء قد انتهت، وأنه لم يعد من السادة، بل عاد مجرد رقم آخر في مصنع اللحوم المصنعة، ليتضاعف مقته وكراهيته لكل شيء، ويتصاعد يأسه وخوفه من الغد..

وأمام بوابة مبنى المحاكي الخارجية الضخمة التي لا ينقطع عن عبورها الزائرون وقف مرة أخرى، وحاول أن يرتب أفكاره، فوجد أن كل شيء في عقله مشوش.

تمنى لو أنه يستطع العودة إلى داخل المحاكي ليكمل رحلته، أو يحظى برحلة جديدة، ويهرب من هذا الواقع المشؤوم، عندما نهره أحد رجال الأمن، فتحرك في طريقه وهو محطمٌ نفسيًّا.

وعندما عبر الميدان الكبير المزدحم متوجهًا صوب النفق الذي سيقوده إلى محطة الحافلات العامة التي ستقله إلى المنطقة الصناعية، حيث مقر عمله وعنابر النوم.

لمح على شاشة العرض صورة الشيطان الابن بعينه الوحيدة، وهو يجلس أمام أشهر مذيعات دولته وهي تقول في حبور:

- أعزائي المشاهدين والمتابعين في كل مكان، أظن أننا

لسنا بحاجةٍ إلى انتظار نتيجة الفرز النهائيّة من لجان الانتخابات، لنعرف من هو الرئيس القادم، ألست معي في هذا يا فخامة الرئيس؟

وهنا هز الشيطان الابن المتجسد في هيئة (آكل الموتى) رأسه في وقارٍ قبل أن تنقلب هيئته لتتخذ شكل الرئيس الحاليّ، وهو يقول بدبلوماسية تنافي ما يظهر على وجهه من سعادة:

- دعينا لا نسبق الأحداث يا سيدتي، فأنا لن أعلن فوزي إلا بعد إتمام فرز جميع الأصوات كما تنص القوانين.

تتسع ابتسامة المذيعة لتشمل كامل وجهها، وهي تقول في عناد:

- سيدي الرئيس لقد فُرز تسعون بالمائة من الأصوات، وحظيت أنت منها على نسبة ثمانين بالمائة، إنه نجاح ساحق، لا حاجة إلى انتظار أي نتائج، لقد أُعلنت الجماهير رغبتها، وعليك أن تؤيدها..

لم يستمع (وليد) لباقي الحوار، بل راح ينظر حوله في ذهول دون أن يفهم ماذا يحدث حقا!

وفي رأسه، دوت ضحكة الشيطان الابن، لترج أعماقه.

ليرد عليها بصرخة غاضبة، وهم يمسك رأسه في قوة..

بعد أن اكتنفه شعور عارم بالضياع.

تمت بحمد الله...

أعمال الكاتب:

- صوت الشيطان – رواية
- عزيف – رواية
- الاستدعاء الأخير – رواية
- همسات- رواية
- المسخ – مجموعة قصصية
- سايكو – مجموعة قصصية
- شمس المعارف – رواية
- لقاء مع ميت – رواية
- أوديسا الظلام - رواية
- أحبك أكثر - رواية
- الطوطم - رواية
- سايكو ٢ - مجموعة قصصية.
- بدم باردة - رواية
- مخطوطة ابن الشيطان – رواية

- سر الحانوتي- رواية
- المسلخ- رواية
- بعد الحب- رواية
- طقوس شيطانية- رواية
- الرسائل السوداء - رواية
- العفريت – رواية
- صندوق نهاية العالم-رواية
- إلا أنتِ-رواية
- بئر برهوت-رواية
- عين الحياة- رواية
- موسم قتل الزوجات - رواية

للتواصل مع الكاتب:

A_elmenofy@yahoo.com

https://www.facebook.com/profile.php?id=
750695622